كلية الدراسات العليا

برنامج الدراسات الإسرائيلية

دراسة أولية حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛ "قبل عام 1948 وبعد"

Preliminary study on the landscape and land uses in the village of Sataf, "Before 1948 and after"

إعداد

علاء اقطيش

1155006

إشراف: د. عمر تسدل

بيرزيت– فلسطين

2018

أ

دراسة أولية حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛

"قبل عام 1948 وبعد"

Preliminary study on the landscape and land uses in the village of Sataf,

"Before 1948 and after"

اشراف: د. عمر تسدل

اعداد: علاء اقطيش

قُدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الدراسات الإسرائيلية، من برنامج الدراسات الإسرائيلية، كلية الدراسات العليا، في جامعة بيرزيت- فلسطين

وتم اجازتها بعد عرضها للنقاش في 21 أيار 2018

بمشاركة:

لجنة النقاش

د. عمر تسدل (رئيسًا)

د. رنا بركات (عضوًا)

د. منير فخر الدين (عضوًا)

التوقيع

.....

.....

.....

ملخص

تنبع أهمية الدراسة من كونها تعالج ممارسات تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛ قبل عام 1948 وبعده. إذ يتصف المشهد في صطاف بصفة المشهد المركب، الذي يتكون من مشهدين؛ أحدهما مشهد القرية الفلسطينية الزراعية التي تتميز بغنى وتنوع الغطاء النباتي فيها، سواء كانت الزراعة البعلية في المدرجات الزراعية أو الزراعة المروية في الحبلات الزراعية والتي يسميها أهل صطاف "الجنان". أما المشهد الآخر، فهو مشهد المتنزه في صطاف، والذي يحمل ذات الاسم، إذ أنشأه الصندوق القومي اليهودي على أنقاض القرية. يتصف هذا المتنزه بتراتبية ممنهجة تعبر عن ممارسات مختلطة تدخل في سياق هندسة المشهد: مشهد ما قبل عام 1948 ومشهد الأحراش والغابات التي تمّت زراعتها بعد تدمير القرية.

تُعبّر هذه الدراسة الأولية عن محاولتها في تفكيك الممارسات التي تشكل المشهد في صطاف وتحولاته التي وقعت عليه قبل وبعد عام 1948. ومن أجل ذلك، تستخدم الدراسة منهجية متنوعة تراعي من خلالها تعدد المتغيرات التي تدخل بتركيب المشهد الطبيعي، ليشكل التاريخ الشفهي جزءًا بنيويًا من منهجية الدراسة من أجل فهم وتوثيق الممارسات الزراعية لأهل القرية قبل عام 1948، مع التركيز على الفئات المظللة أدوارها كالنساء. بالإضافة إلى ما سبق، تشكل وثائق الأرشيف الصهيوني حول بناء المتنزه في صطاف وسيلة في فهم تبلور فكرة إقامة المتنزه في صطاف، خاصةً في كيفية نشوئها ودعمها بالميزانيات.

تأتي الوسائل الأخرى كالصور الجوية والخرائط والزيارات الميدانية والصور الفوتوغرافية كأدوات تستخدمها الدراسة في إعادة بناء المشهد الطبيعي في صطاف، ومن ثم رصد التغييرات والتحولات التي طرأت على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض خلال فترة ما قبل عام 1948 وما بعدها.

Abstract

The importance of this study is due to the fact that it deals with landscape formation and land use practices in the village of Sataf, before and after 1948. The village of Sataf is characterized by a composite landscape, which consists of two layers: one is the Palestinian agricultural village layer, which is characterized by richness and diversity of vegetation cover, ether rain-fed agriculture on the agricultural terraces or irrigated agriculture in the agricultural gardens, which are called "Jinan" by the people of Sataf.

The other layer is the Israeli park in Sataf, which carries the same name. Established by the Jewish National Fund on the ruins of the village, the park is characterized by a systematic approach that reflects mixed practices, which express the policy of shaping the landscape, pre-1948 landscape and the landscape of forests that were planted after the destruction of the village.

This study expresses an attempt to investigate the spatial practices that shape the landscape in Sataf. For this purpose, the study uses diverse methodologies that take into consideration the multiplicity of variables involved in the production of the landscape in Sataf. Oral history is a structural part of the methodology of this study to understand and document the agricultural practices of the villagers before 1948, with emphasis on marginalized groups such as women. In addition to this, the documents of the Zionist archives about the construction of the park in Sataf emphasis that this study aims to understand the park in Sataf, especially in how financial support was found and used.

Other methodologies, such as aerial photographs, mapping, fieldwork, and photographs, are tools used in this study to reconstruct the landscape in Sataf, and then monitor the changes and transformations that occurred in the landscape and land uses during the pre-1948 and post-1948 period.

شكر وتقدير

لكل من ساهم في إنجاز هذه الرسالة، ابتداءً من مشرفي د. عمر تسدل الذي كان موجودًا لسماع كل خطوة أقوم بها منذ مرحلة البكالوريوس وتقديمه المشورة اللازمة، الصديقة الأستاذة يسرى تحسين عثمان التي أسهمت بشكل مباشر ومطول في إرشادي بترسيم الصور الجوية وتدقيق الخرائط وإخراج نتائج الدراسة، عروبة أيوب عثمان التي عدا كونها صديقة وزميلة في ذات البرنامج كانت قد ساهمت في التدقيق اللغوي والنحوي للرسالة كاملةً، الصديقة إيرينا براون منصور في تدقيقها الإملائي لملخص اللغة الإنجليزية، بلال اسعيد لدوره في مساعدتي للوصول إلى مكان سكن بعض الأفراد الذين قابلتهم ضمن مقابلات التاريخ الشفهي حول صطاف. كما أود أن أشكر كل من د. منير فخر الدين الذي إلى جانب إدارته لبرنامج الدراسات الإسرائيلية كان عضوًا في لجنة مناقشة الرسالة، والتي فيها وضع بصمته بالملاحظات الناقدة والبناءة من أجل أن يخرج مضمون ومبنى الرسالة بشكل أفضل. أود أن أشكر د. رنا بركات التي كانت أيضًا عضوًا في لجنة مناقشة الرسالة، خاصة حول دورها في نقد وتقديم الملاحظات المرتبطة بالفصل الثاني عن استخدام التاريخ الشفهي كوسيلة في توثيق ممارسات تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض.

لم يكن نتاج هذه الرسالة وليد الأمس، بل هو نتاج تراكمي امتد لما يزيد عن الثلاثة أعوام؛ منذ اليوم الأول لدخولي برنامج الماجستير للدراسات الإسرائيلية في أيلول عام 2015، ومن هذا المنطلق، أود أن أذكر أسماء الأساتذة الذين قاموا بتدريسي خلال هذه الفترة؛ د. امطانس شحادة، د. ريما حمامي، د. عادل مناع، د. صالح عبد الجواد، د. مهند مصطفى محاجنة، د. نبيه بشير، د. مجيد شحادة، د. أحمد أمارة، د. جورج جقمان (مساق اختياري من خارج البرنامج)، د. كمال عبد الفتاح جبارين (مساق اختياري من خارج البرنامج). أود أن أشكر أستاذي د. نبيه بشير و د. ناصر الدين أبوخضير لدورهما الإرشادي وتقديمها النصائح حول كتابة الرسالة والوصول إلى بعض المصادر الأولية. لا بد لي من أن أذكر كل من مواكب مسّاد ولينا الجندي اللواتي رافقنني في جميع الخطوات الإدارية منذ دخولي إلى البرنامج حتى تخرجي من الجامعة. لا أنسى طالبات وطلاب البرنامج كافة، خاصة الدفعة الأولى والثانية الذين رافقتهم طوال فترة دراستي في البرنامج.

لا يكتمل الشكر والتقدير بدون الاعتراف بدور العائلة ومساهمتها بهذه الرسالة، لكونها الحلقة الأولى والأكبر التي وفرت ظروف إمكانية الكتابة والتخرج من الجامعة، لذلك بدايةً أود أن أشكر الوالد والوالدة سليمان وبسمة، أخواتي نادين والآء، عمتي ناهدة

وعاهدة، جدتي زهدية ذياب شاكر أبوغوش والتي صاحبتني بكل نجاح، عمي أكرم وزوجته ظريفة، عمي عاهد وزوجته زهية بنت عمتي وسام وزوجها إياد الشمالي اللذان لم يبخلا في تقديم النصائح والمشورة؛ خاصة في الفترة التي سبقت كتابة الرسالة.

في نهاية الأمر، من الصعب أن أذكر جميع الأشخاص الذين كانوا معي خلال هذه الفترة الطويلة؛ خاصة من أصدقائي، وأذكر منهم: سانيلا براكوبيتش، لينا أبو الحلاوة، ميرنا زيادة، إبراهيم الطلاع، نجلاء أبو شلبك، مرح خليفة، ياسمين مسودة، محمد رجبي، مالك سمارة، فارس شوملي، فادي عاصلة، عروبة أيوب عثمان، نتاشا كريستين، معاذ الطلاع.

الشكر الكبير لعائلات صطاف الذين قابلوني بكل رحب وسعة وقدموا لي كل ما أحتاج إليه في المقابلات التي أجريتها معهم.

شكرًا للجميع،

علاء اقطيش

تقديم

يظن المرء عند النظر إلى مشهد الحبلات الزراعية المروية وأراضي البساتين البعلية أنه في قرية بتير أو قرية الولجة، ويبقى في ذلك متأملًا حتى تفاجئه لافتة المتنزه، أنت هنا! في متنزه صطاف التابع للصندوق القومي اليهودي، فينقطع تأمله في جمالية المشهد الزراعي حتى يرى أن ذات المشهد هو حبيس الأحراش والغابات الصنوبرية التي تطوقه من الشمال والغرب والجنوب، فتتداخل الأفكار مع بعضها البعض ولا يعود المرء إلى فهم ما حوله.[1] لكن بالعودة إلى مشهد الحبلات الزراعية المروية والبساتين البعلية، تعد الممارسات فيها من أكثر الجزئيات التي تتشابه بين ما كان يمارسه أهل القرية حتى عام 1948 وما بين مشروع متنزه بستان صطاف الذي بدأ بممارساته عام 1984،[2] ولمن لا يعرف صطاف حق المعرفة له المبرر في تتداخل الأمور عليه والتباسها؛ بين ما كان بالماضي وماذا يوجد الآن. يتراءى إلى الناظر مشهد الأرض المتخيَّل؛ الأرض التي تختبئ من ورائها مشاهدُ عدةٌ، لكن لا يظهر منها إلا مشهدٌ أوحدُ يشكّله من يقبض على المكان ويسيطر عليه من علٍ. هذا المكان الذي تركه أصحابه بسبب الأساليب التي كانت أغلبها أساليب القوة والخوف في سبيل طرد أصحاب البلاد مما كانت بالماضي أرضهم ولا تزال بالنسبة إليهم الأرض التي لم ينسَها الأبناء كما الأحفاد. إن المرء لا يحتاج إلا لشرارةٍ واحدةٍ من ذكرى ما كان، لإشعالِ لهيبِ استحضار المكان في ذاكرة الأجداد أمام الأحفاد. هذ هي مقدمة استحضار المشهد "القريب البعيد" للقرى الفلسطينية المهجرة والذي يقبع في ذاكرة من عاصر الحدث زمن النكبة.

يتضمن المكان العديد من الأوجه التي تشكل المشهد بجزئياته كافة، وهكذا هو الأمر في القرى الفلسطينية المهجرة. إن لكل قرية مشهدها العام التي تشترك فيه مع مثيلاتها من القرى المحيطة، كما لها مشهدها الخاص التي تتميز وتتفرد به عن غيرها. وكما تعددية المشهد في تلك الأمكنة، يوجد تعددية أخرى؛ وهي تعددية الممارسات والوسائل في صناعة تشكيل مشهد آخر على ذات المكان، يكون من خلالها المشهد الأوحد الذي يتضمن الرواية حول ما كان بالمكان. هكذا هو النهج الذي واجهته القرى الفلسطينية المهجرة من مؤسسات إسرائيلية عدة تضافرت في ما بينها في إعادة هندسة وتشكيل المشهد في المكان.

جاءت هذه الدراسة بهدف إعادة بناء مشهد كان يلفّ إحدى قرى القدس المهجرة قبل عام 1948، لكن تم تغييبه وطمسه بعد ذلك. اختارت الدراسة قرية صطاف المهجرة (ولها مبرراتها في ذلك)، فهي إحدى تلك القرى التي واجهت ممارسات تشكيل

---

[1] زيارة ميدانية إلى صطاف

[2] مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني.

المشهد فيها. فهذا المكان الذي يتموضع في جبال غرب القدس احتوى على مشاهدَ عدةٍ قبل طرد أهلها عام 1948، وبالتحديد في حر الصيف من شهر تموز آنذاك كما يذكر (وليد الخالدي) في كتابه "كي لا ننسى"؛ إذ تميز بامتلاكه مشهدًا فريدًا من نوعه، يهيمن عليه المشهد الزراعي في وسط طبوغرافية المنطقة الجبلية، وما زاد في أهمية الحاجة إلى دراسته كانت ممارسات تشكيل المكان فيها من قبل المؤسسة الإسرائيلية، خاصة الصندوق القومي اليهودي الذي بخلاف العديد من المناطق التي كانت تحت سيطرته ودُمر المشهد فيها (خاصة المشهد الزراعي) حافظ على أغلب جزئيات المشهد الطبيعي واستعمالات الأراضي في صطاف، بل وقام بتعزيزها (في بعض المواقع)، ما أدى إلى إيجاد حالة مركبة ترتقي لتكون حالة خاصة تعالجها الدراسة ضمن قرى القدس المهجرة.

يكمن ادعاء الدراسة في كون التنوع الذي كانت تتمتع به منطقة الدراسة (قرية صطاف المهجرة)، سواء بالمشهد الطبيعي واستعمالات الأرض خلال فترة الانتداب البريطاني لفلسطين متغيرًا، تبعًا لتغيرٍ في الممارسات لكن مع بقاء أمور أساسية يشترك فيها بسبب جغرافية المكان، حيث إن هناك العديد من الممارسات التي تحضر في ذات المكان، ومنها مشروع المتنزه الذي أُقيم في بداية ثمانينيات القرن الماضي، ما أدى لبروز مشهد مركب ومتوتّر من بين المشهدين: من جهة الممارسات التي كانت حاضرة قبل عام 1948 والتي تتمثل في ممارسة أهل صطاف في صنعهم للمكان، وهو يتركز في مشهد التنوع النباتي والممارسات الزراعية التي كانوا يمارسونها في صطاف. ومن جهة أخرى، مشهد المتنزه الذي أُقيم على أراضي صطاف، والذي يتميز بتركيبة أشجار دخيلة إلى جانب الأشجار التي يتم زراعتها في المكان. وقد حافظ الصندوق القومي اليهودي على جزء منه مع افتتاح مسالك للتنزه (بكافة أنواعها)؛ أي عدم محو كامل للمشهد الذي كان يعيش فيه سكان القرية الفلسطينية قبل هدم القرية عام 1948 من خلال الممارسات التي تتم على ذات الحيز المكاني.

في معالجتها لادعائها حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، تتبنى الدراسة مبدأ معالجة الممارسات التي هي جزء من معالجة الخطاب، ذلك بكون الممارسات هي ما تشكل تاريخ وحاضر المكان، كما أنها الأداة التي من خلالها يمكن كشف وفهم أصول الأفكار. وهذا ما تحاول الدراسة تطبيقه على حالة صطاف، ذلك من خلال شقين: معالجة ممارسات أهل صطاف والتي شكلت المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف حتى انتهاء فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (حتى عام 1948)، أما الشق الثاني فهو تفكيك ممارسات الصندوق القومي اليهودي تجاه تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأراضي، خاصة المشهد الزراعي فيها بدلًا من تفكيك خطاب الصندوق حول ذات الحالة الدراسية (بعد عام 1948).

حاولت الدراسة التنويع في المصادر التي تعتمد عليها في محاولتها للتوصل إلى صورة متعددة الأبعاد تستطيع من خلالها التوصل إلى إجابات حول تساؤلاتها بخصوص تشكيل المشهد الطبيعي في صطاف؛ قبل عام 1948 وبعده، وكيف أن صطاف تشكل حالة مركبة من الممارسات، فاستخدمت توليفة من المصادر المختلفة. ومن أهم تلك المصادر التأريخ الشفهي، إذ يعد مصدرًا اعتمدت عليه الدراسة بشكل بنيوي في توثيق الحياة في صطاف؛ وبالتحديد الممارسات الزراعية. بالإضافة إلى ما سبق، في صطاف تزداد أهمية التأريخ الشفهي كمصدر توثيقي للممارسات المرتبطة بالزراعة لكونها لم تحظَ بكتاب ذكرى يوثق الحياة التي كانت فيها مثل معظم القرى الفلسطينية المهجرة الأخرى (على سبيل المثال كان لقرية صوبا القريبة من صطاف كتابا ذكرى يوثقان الحياة فيها)، ما فرض على الدراسة إجراء مقابلات لتغطية فجوة عدم وجود كتاب ذكرى. أما المصدر الثاني، فهو وثائق الأرشيف الصهيوني، إذ تعتبر وثائق الأرشيف الصهيوني ذات أهمية لدى الدراسة، ذلك لكونها المصدر الأولي لتوثيق ممارسات الصندوق القومي اليهودي في صطاف (توثيق الممارسات دون الاكتفاء بظاهر الخطاب الأيديولوجي والدعائي)، ما يعطي الدراسة قابلية كبيرة في توثيق ادعائها حول دور الصندوق القومي اليهودي في هندسة المشهد في صطاف. وتشكل الوثائق سبيلًا للوصول إلى كيفية البدء بممارسات الصندوق في صطاف؛ بدءًا بطرح فكرة المتحف الحقل المفتوح لتوثيق الحياة الزراعية في جبال القدس، مرورًا بتطويرها إلى فكرة بستان صطاف لتوثيق الأشجار في "أرض إسرائيل"، ووصولًا إلى تنفيذ تلك المقترحات على أرض الواقع.

تستخدم الدراسة مصادرَ أوليةً أخرى مثل الخرائط البريطانية حول صطاف التابعة لمشروع مسح فلسطين عام 1933، بالإضافة إلى الصور الجوية التي تعود إلى العام 1944-1945 وعام 2014، فاستخدام مصادر الخرائط والصور الجوية يضفي على الدراسة مزيدًا من المصداقية في معالجتها للممارسات التي تشكل المشهد من خلال توثيقها للممارسات، ومقارنتها للتغييرات والفوارق التي حصلت على المكان في فترة ما قبل عام 1948 وما بعدها؛ بالتحديد بين عام 1945-2014. الأمر الآخر الذي اعتمدت عليه الدراسة كمصدر أولي هو إجراء المقابلات مع مسؤولي صطاف في الصندوق القومي اليهودي. وعلى الرغم من صعوبة اتخاذ هكذا قرار وصعوبة إجراء المقابلات، إلا إن الدراسة قد مضت في هذه الخطة، والتي جنت فوائدَ كبيرةً في توضيح ممارسات الصندوق القومي اليهودي في صطاف، خاصة من خلال المقابلة التي أجرتها الدراسة مع (غيدي بشن) مسؤول الغابة والتواصل المجتمعي في صطاف، إذ تم إجراء مقابلتين معه والمقابلة الثالثة كانت مع العاملين العرب في صطاف، والذين يتبعون أيضًا الصندوق القومي اليهودي. في صطاف كان للزيارات الميدانية جزءٌ كبيرٌ من عمل الدراسة، إذ ساهمت زيارة المكان إلى موقع الدراسة والقيام بمقطع عرضي مرتبط بالممارسات الموجودة بالمكان والتقاط الصور الفوتوغرافية في توثيق الممارسات الزراعية التي

تشكل جزءًا من تشكيل المشهد الزراعي الحالي للمكان، بالإضافة إلى توثيق مسالك التنزه وبنية المتنزه والتشجير في صطاف، كما ساهمت في تحليل وتمييز الممارسات؛ ما بين الممارسات التي بقيت منذ قبل عام 1948 والممارسات الأخرى التي أضيفت كالتشجير وبناء مسالك التنزه.

يتضمن الفصل الأول من الدراسة ثلاثة أجزاء؛ يبدأ الجزء الأول بتوضيح ماهية شكل الدراسة من ناحية الموضوع الذي تعالجه الدراسة والحالة الدراسية التي تم اختيارها، ومن ثم تنتقل إلى السؤال المركزي الذي تعالجه الدراسة وما هو ادعاؤها، وكيف ستتم معالجة السؤال المركزي (المنهجية)، فضلًا عن أهمية الدراسة وسبب اختيار الحالة الدراسية في الإجابة على سؤال الدراسة. بعد ذلك، ننتقل إلى توضيح المصطلحات والمفاهيم كالمكان، والمشهد الطبيعي، واستعمالات الأرض. أما الجزء الأخير الذي يعالجه هذا الفصل هو مراجعة الأدبيات التي تم التطرق إليها؛ كونها تشكل مادة بحثية قريبة (لا تعالج سؤال الدراسة بشكل مباشر).

أما الفصل الثاني، فتتم خلاله معالجة الممارسات التي كان يؤديها أهل قرية صطاف، والتي تُعتبر مُجتمعةً إحدى العوامل في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها، خاصةً خلال فترة الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين 1917-1948. سيتم ذلك عبر منهجية التأريخ الشفهي والذاكرة الشعبية إجمالًا. أما بخصوص الممارسات التي كان يؤديها سكان قرية صطاف، فستركّز على عدة جوانب فيها وليس على جانب واحد، بما يتضمّن ذلك أنواع الزراعة، وتسويق المنتجات، ودور المرأة الصطافية في تشكيل المشهد الزراعي، ومنتجات زراعية صطافية.

يعد الفصل الثالث مخصصًا للممارسات التي يقوم بها الصندوق القومي الإسرائيلي ضمن المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، إذ أصبح دور الصندوق محوريًا بعد إقامة المتنزه على أرض صطاف، إلى جانب عمليات التشجير على جزء من أراضي القرية، خاصةً في المنطقة البعيدة عن مركز البلد. كما سيتم التعمق في ممارسات الصندوق من ناحية الممارسات المركبة التي يؤديها في دوره الاستثنائي، "بالمحافظة" على المشهد الزراعي الموجود في صطاف ومحاولة ترميمه، عدا عن ترميم السلاسل والحبلات الزراعية.

يعتمد الفصل الرابع على دراسة الخرائط والصور الجوية؛ باعتبارها جزءًا من الممارسات التي ساهمت في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، حيث يمكن اعتبارها ممارسات أدّت دورًا توثيقيًا لقرية صطاف ضمن حقبة تاريخية معينة؛ أي حقبة الانتداب الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين 1917-1948. تستطيع الدراسة عبر هذه الممارسات المنهجية إعادة

تركيب وبناء المشهد الطبيعي، الذي إما قد غاب فعلًا أو يتم تغييبه بشكل متعمد، إضافة إلى معالجة استعمالات الأرض فيها، إذ إن هذه طريقة مستحدثة تتمّ من خلال تتبع الأشجار والنباتات التي كانت (لا يزال بعضها) تنمو في القرية.

يعد الفصل الخامس الجزء التحليلي الأكبر من الدراسة، باعتباره محاولة ربط الممارسات ببعضها البعض، واقتفاء الممارسات التي تشكل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، وتكون متناقضة في ما بينها أحيانًا. وهنا، يأتي دور الدراسة في إبراز ذلك التناقض وتفكيكه، عدا عن كون هذا الفصل يأتي في سياق تلخيص نتائج الدراسة حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة عام 1948.

تناولت العديد من الأبحاث والدراسات موضوع القرى الفلسطينية المهجرة، بدءًا من (دراسة مصطفى مراد الدباغ ووليد الخالدي) اللذين أسهما بشكل كبير في توثيق ما أمكن من بيانات ومعلومات عنها، ثم في حالات كثيرة بدأت الدراسات تتخذ منحىً أكثر تعمقًا في ذات الموضوع، خاصة في دراستها لجوانب محددة مثل (دراسة راشيل ديفيس) أو (دراسة نوجا كادمان).لكن وعلى الرغم من أهمية تلك الدراسات حول القرى الفلسطينية المهجرة، إلا أنها لم تأخذ منحىً محددًا في حالة محددة وتتناولها بطريقة تفصيلية ومعمقة كما تفعل هذه الدراسة تجاه تناولها جزئية المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛ قبل عام 1948 وبعده.

فهرس المحتويات

الفصل الأول: حول الدراسة، الإطار النظري، وأدبيات تتناولها الدراسة.....1

أولًا: حول الدراسة.....2

ثانيًا: الإطار النظري.....13

ثالثًا: أدبيات تتناولها الدراسة.....21

الفصل الثاني: التأريخ الشفهي؛ وسيلة للوصول إلى الممارسات الزراعية الموجودة في صطاف.....29

أولًا: التأريخ الشفهي وسيلة لتوثيق الممارسات الزراعية 30

ثانيًا: التأريخ الشفهي حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف.....33

ثالثًا: البطاطا الصطافية: بطاطا ذهبت ولم تعد.....49

رابعًا: درب الآلام؛ نساء صطاف ودورهن في تشكيل المشهد الزراعي.....51

خامسًا: تلخيص.....55

الفصل الثالث: ممارسات الصندوق القومي اليهودي في هندسة وتشكيل المكان – حالة صطاف.....56

أولًا: تأسيس الصندوق ووظائفه.....59

ثانيًا: ممارسات هندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف.....72

ثالثًا: فكرة المتنزه: ما بين المخطط والتنفيذ.....73

ثالثًا: المشهد الزراعي في صطاف بعد إقامة المتنزه.....83

رابعًا: تلخيص.....101

الفصل الرابع: تمثيل صورة المشهد الزراعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف من خلال الخرائط والصورة الجوية 102

أولًا: خلفية حول الخرائط والصور الجوية 103

ثانيًا: تمثيل صطاف من خلال خارطة مسح فلسطين.....111

ثالثًا: تمثيل استعمالات الأرض في قرية صطاف من خلال نظم المعلومات الجغرافية.....114

رابعًا: استعمالات الأرض في صطاف: تغييرات وتحولات!.....126

سادسًا: تلخيص.....131

الفصل الخامس: تحليل وخلاصة.....132

أولًا: ربط الممارسات وتحليلها.....133

ثانيًا: الخلاصة.....146

الملاحق.....148

قائمة المراجع.....195

الفصل الأول:

حول الدراسة، الإطار النظري، وأدبيات تتناولها الدراسة

أولًا: حول الدراسة

ثمّة العديد من الممارسات التي من خلالها يتم تشكيل المكان، حيث إن هذه الممارسات تختلف من مكان إلى آخر، تبعًا لخصوصية المكان والحيز المحيط به؛ لكن يمكن أن تتشابه بين عدة أمكنة خضعت لذات الممارسات أو ذات الجهة التي قامت فيها. لذلك في هذه الدراسة، سيتم التركيز على الممارسات بوصفها الأداة التي يمكن تفكيكها للوصول إلى فهم أعمق حول مشهد المكان الذي تعالجه الدراسة.

هذه الدراسة ليست الأولى في معالجتها للممارسات من أجل تكوين صورة حولها وفهمها، فمن خلال دراستها لكتب الذكرى عن القرى الفلسطينية المهجرة والتي وصلت أعدادها إلى 112 كتابًا، كانت تغطية راشيل ديفيس الأفقية قد اشتملت على الكثير من تلك القرى، لكن بنفس الوقت لم تقم بدراسة كل قرية بذاتها، وإنما اهتمت بدراسة الوسائل التي قام من خلالها أهل تلك القرى بتأريخ كل ما يتعلق فيهم، بما فيها عقد المقابلات الشفهية مع أشخاص تربوا وعاشوا في أحضان تلك القرى المهجرة. إذ تُعتبر طرق دراستها المتعددة (عملت من أجل أن تكون دراسة لكافة الجوانب في طرق توثيق المكان الفلسطيني) وسيلة يتم من خلالها إيجاد قدرة كبيرة على تشريح المشهد الذي كان يلفّ تلك القرى. لكن بعيدًا عن التركيز على جانب واحد من الممارسات أو زاوية واحدة متخصصة منها، فاهتمت الدراسة بالعادات الاجتماعية، وتاريخ العائلات، والخرائط، إضافةً إلى القصص التي كانت تدور في القرية، بالتالي كانت دراستها تتصف بنوع من العمومية وعدم التخصص في مجال واحد.[3]

أما دراسة كادمان فكانت تعالج- وإلى حد كبير – كيف تم التعامل الرسمي مع القرى المهجرة بعد نكبة عام 1948 من تغيير المشهد فيها من كافة جوانبه، كما تم تغيير أغلب أسمائها. أيضًا، تتناول دراستها قضية القرى المهجرة بشكل أفقي، لكن مع التركيز على عينات لم تكن صطاف إحداها (على المستوى القطري للقرى المهجرة من الشمال حتى الجنوب). إضافةً إلى ما سبق، ترتكز دراسة كادمان على محاولة تسليط الضوء على الوعي الإسرائيلي حول المكان الفلسطيني من الجليل والقدس إلى النقب، وذلك من خلال محاولة الخطاب الإسرائيلي الرسمي طمس وتغييب المكان الفلسطيني، ما يساعد في تشكل حالة من الاغتراب ما بين السيطرة على الأرض التي كان "العرب فيها"، وما بين محو تاريخ تلك القرى المهجرة. [4] بينما تكمن أهمية دراستها بكونها

[3] Rochelle Davis, *Palestinian village histories: geographies of the displaced*, (Stanford: Stanford University Press, 2011), p. 150-151.
[4] Noga, Kadman, *Erased from space and consciousness: Israel and the depopulated Palestinian villages of 1948*, (Indiana: Indiana University Press, 2015), p. 2.

محاولة لتسليط الضوء على ما تم طمسه من قبل "السلطات" أثناء حرب عام 1948 وما بعدها، طمس للقرى الفلسطينية دون إهمال معالجة التساؤلات التي كانت توجد لدى القيادة الإسرائيلية في كيفية التعامل مع هذه القرى بعدما وضعت الحرب أوزارها وتم طرد السكان الفلسطينيين من أراضيهم.

لم تأتِ هذه الدراسة لتتناقض مع ما بنته كلٌّ من ديفيس وكادمان، إنما تأتي لتكمل ما بدأت فيه ديفيس، لكن من خلال التركيز بشكل عمودي على حالة دراسية واحدة في منطقة الجبال الغربية للقدس، إذ يساعد ذلك على معالجة معمقة متعددة الزوايا حول مجال معين فيها. وفي هذه الحالة الدراسية، ستتم معالجة جانب واحد فقط؛ وهو جانب المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها. تعالج هذه الدراسة الدور المؤسساتي الصهيوني، وبشكل خاص دور الصندوق القومي اليهودي في تأثيره على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، كإحدى الممارسات التي تشكل المكان في الزمن الحاضر أي قرى القدس المهجرة بعد احتلالها عام النكبة 1948. بالتالي، تهدف هذه الدراسة –بكافة محاورها– إلى تفكيك العناصر التي من خلالها يتمركز مكان الحالة الدراسية من ناحية الممارسات، والتي من خلالها يتم صناعة المكان بالرغم من وجود عناصر متناقضة ضد بعضها البعض، ما بين المكان الذي شكلته ممارسات سكان القرية الذين عاشوا فيها حتى سنة 1948، وما بين المكان التي شكلته ممارسات الصندوق القومي اليهودي التي تعالج موضوع الأرض وممارساتها لكن بدون السكان، فأصبح المكان يحوي هذه الممارسات التي تشكل جزءًا من المشهد الموجود في مكان الحالة الدراسية لكن بدون سكانها.

ثمّة محاولة جادة من خلال هذه الدراسة لمعالجة جمالية المشهد الموجودة في المكان؛ المشهد الذي تشكّله أشجار متنوعة وخلابة من ناحية المظهر ومثمرة من ناحية الثمار، إلى جانب فوائدها الزراعية. يساهم كل ذلك في استحالة المكان أكثر سحرًا وجمالية، خاصة باحتماء تلك الأشجار بالمدرجات الزراعية التي تتكون بشكل أساسي من المصاطب الحجرية. ثمّة زوايا جمالية أخرى تقع ضمن ممارسات صناعة المكان في صطاف، حيث ترى المسالك المخصصة للمشي في الطرق الجبلية وفي الهواء الطلق، لا تخفى عن الأعين رؤية المتنزهين في الاستجمام. كما أن التنزه ليس بعيدًا عن كروم الزيتون والتين التي تفترش استعمالات الأرض فيها، لكن ذات الأعين لا ترى ماذا يكمن خلف هذا المشهد من غموض وقصص يعرفها الجانب الآخر من الناس الذين لا يتركون فرصة إلا للحديث عما كان في مشهدهم من ذكريات تشترك في جماليتها مع المشهد الحاضر اليوم والذي ربما لا يكون غدًا. لا ترى تلك الأعين البيوت التي تم تسويتها بالأرض، والأشجار الصنوبرية وقد غطت كامل سفح الجبل، حتى إنها لا ترى الكروم الجديدة التي تم إعادة "إحياؤها" من أجل "الحفاظ على ذات المشهد الذي تركه العرب عند هربهم من المكان"؛ هذا ليس بقول تدعيه الدراسة،

إنما هذا ما قاله "حارس المكان" الذي تركه أصحابه.[5] ما هو هذا المكان الذي ضم في داخله أكثر من ممارسة من أكثر من اتجاه ساعدت مجتمعة على صناعات مختلفة للمكان؟

هذا المكان هو صطاف، القرية التي تم تهجير أهلها في شهر تموز عام 1948 دون السماح لهم بالعودة، وحتى إن تم الادعاء عكس ذلك. ضمن دراسة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، هنالك العديد من الجوانب التي يمكن دراستها، لكن في هذه الدراسة الأولية ثمّة محاولة جادة من أجل حصر المادة الدراسية كمًا ونوعًا، ضمن سياق مقاربة نقدية حول استحضار المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف من خلال استحضار ممارسات صنع المكان فيها خلال الفترة الانتدابية على فلسطين، إضافةً إلى ممارسات المكان الأخرى التي أثرت على بنية المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض خلال تلك الحقبة الزمنية في صطاف. لم يكن اختيار قرية صطاف المهجرة محضَ صدفةٍ أو حالةً دراسيةً عشوائيةً، فهذه القرية التي لطالما اشتُهرت بمناخها الجبلي الواقع على مشارف الجبال الغربية للقدس تميزت بنباتاتها المتنوعة، خاصةً وأنها كانت تُعتبر سلة الغذاء لمدينة القدس.

بالتالي هدف الدراسة هو تقصي الممارسات الحاضرة في صطاف، والتي من خلالها تم تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، سواء كانت ممارسات أهل القرية الذين بقوا فيها حتى عام 1948، أو ممارسات المؤسسة الاستعمارية؛ أي الصندوق القومي اليهودي في تشكيل المكان، ولا يتم التغاضي أيضًا عن ممارسات الانتداب البريطاني في تشكيل المكان من خلال الخرائط البريطانية حول المكان وآلية التصوير الجوي.

تسمية القرية وموقعها

من حيث الموقع، تختلف القرى الفلسطينية في موقع بنائها إلى عدة أنماط، والتي عادةً ما تكون مرتبطة بالعامل الطبوغرافي للمنطقة، فهنالك نمط القرية الأكروبوليس الذي تكون فيه القرية متمركزة على هضبة مرتفعة، أو نمط القرية التي تكون على القسم العلوي لسفح الجبل ونمط أخر في أسفله. إضافة إلى ذلك، هناك القرية التي تكون في وسط السفح الجبلي، وهذا النمط هو الذي كان حاضرًا في قرية صطاف.[6]

[5] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول صطاف في الصندوق القومي اليهودي حول الغابة والجمهور، بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

[6] شكري عرّاف، القرية العربية الفلسطينية " مبنى واستعمالات الأراضي"، الطبعة الثالثة. (معليا: دار نشر إلى العمق، 1996)، صفحة 135-136.

صطاف، لها العديد من المعاني الشعبية حولها لكن تبعًا لبحث ناصر الدين أبوخضير":

"تعود تسمية صطاف إلى الجذر السامي "شطف שטף" الذي معناه سال، وجرى، فمعناها: الوادي الجاري، وهذه التسمية تتواءم مع طبوغرافية المكان؛ إذ تكثر في القرية عيون الماء. ثم تحولت الشين السامية على السين العربية، فأصبحت سطاف ومع تأثير المماثلة الرجعية، قلبت السين العربية إلى صاد؛ ذلك من أجل ملاءمة الطاء المفخمة، فأصبحت صطاف".[7]

أما موقع صطاف، فهي قرية تقع إلى الغرب من مدينة القدس، [8] لا تبعد أكثر من 10 كيلومترات عن مدينة القدس، تنتصب وسط السفوح الغربية لجبال القدس. تطل القرية على وادي الصرار الذي لا يبعد عنها أكثر من نصف كيلومتر من جهتها الشرقية. كانت الطرق الترابية هي الوسيلة الوحيدة التي تربط قرية صطاف بالقرى والتجمعات السكانية الأخرى، حيث شكلت بديلًا للطرقات الرئيسية، والتي لم تكن أيٌّ منها تصل إلى القرية، فتلك الطرق (وخاصة طريق يافا القدس كان يبعد إلى الشمال الشرقي منها، والذي كان أقرب لقرية القسطل وأبوغوش) كانت في المناطق الأقل وعورة وانحدارًا ، والتي كانت مهمة لتوصيل مدن فلسطين الرئيسية ببعضها البعض.[9] تحيط بقرية صطاف العديد من القرى الأخرى التي كانت في ما بينها علاقات اجتماعية وتعاونية مثل: قرية صوبا وأبوغوش إلى الشمال، قرية عين كارم إلى الشرق، وخربة اللوز إلى الغرب منها.[10]

ليس من السهل تتبع ماضي القرية من خلال ممارسات تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الارض خاصة من خلال الأشجار والنباتات التي كانت (لا يزال بعضها) تنمو في القرية، لكنها طريقة مستحدثة للمساهمة في إعادة بناء المشهد الطبيعي الذي إما قد غاب فعلًا أو أنه يتم تغييبه بشكل متعمد (من خلال إعادة هندسة وتشكيل المشهد الموجود في المكان). في المجمل، تشكل الحياة النباتية في قرية صطاف جزءًا لا يتجزأ من الحياة النباتية الموجودة في فلسطين (مع التركيز على موقعها الجغرافي الذي فرض عليها المناخ الجبلي القريب من السهل الساحلي)؛ الأمر الذي يفرض تنوعًا في الحياة النباتية الموجودة في البيئة الطبيعية، إذ يوجد في فلسطين 718 جنسًا من النباتات، إضافةً إلى 2250 نوعًا من النباتات الوعائية. [11]يعود ارتفاع أرقام هذه النباتات وكثافتها

---

[7] ناصر الدين أبوخضير، "أسماء قرى القدس، دراسة لغوية دلالية"، مجلة "اتحاد الجامعات العربية للآداب"، المجلد 13، العدد 2، (2016)، ص 362.

[8] محمد حسن شرّاب، معجم بلدان فلسطين، الطبعة الثانية. (عمّان: مؤسسة الاهلية للنشر والتوزيع، 1996)، صفحة 484.

[9] وليد الخالدي، كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، صفحة 629.

[10] مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين. (كفر قرع: دار الهدى، 1991)، صفحة 160.

[11] ليوناردو حوش وعبد الله اللحام، النباتات في فلسطين وطرق تصنيفها، المجلد الثامن (القدس: مؤسسة أمرزيان، 1993)، صفحة 5.

إلى عدة عوامل أساسية منها: الموقع الجغرافي الذي تتميز فيه فلسطين من حيث توسطها الطريق بين القارات الثلاث، مما يجعلها منطقة التقاء لأنواع من النباتات أصلها من مناطق بعيدة مثل أواسط آسيا أو شمال أفريقيا. أما العامل الآخر، فهو تكيف الحياة النباتية الفلسطينية مع مناخ البحر الأبيض المتوسط، والذي أدى إلى تحمل الحياة النباتية لفترات الصيف الطويلة والقاحلة.[12] ثمّة دور بشري من خلاله أصبحت الحياة النباتية أكثر تنوعًا من خلال النشاطات المختلفة للإنسان الذي عاش في فلسطين منذ أقدم العصور، ما أدى إلى تغيير الغطاء النباتي بجلبها أنواع نباتات من مناطق أخرى وتوطينها كبديل عن النباتات المحلية غير المرغوب فيها. ومن العوامل الأساسية في وجود حياة نباتية فلسطينية متنوعة كان وجود التباين المناخي الكبير في فلسطين الذي أدى إلى إيجاد بيئات مناخية مناسبة ومتباينة بنفس الوقت، ما زاد من قدرة أنواع مختلفة من النباتات على النمو. [13] في هذه الجزئية، تحاول الدراسة أن تجّمع الأشجار التي تمت زراعتها حتى طرد سكان القرية من بيوتهم في 13 تموز 1948 من أجل تكوين نواة المشهد الزراعي الذي يعتبر جزءًا من المشهد الطبيعي للقرية خلال الفترة الانتدابية على فلسطين.

سؤال الدراسة

يكمن السؤال المركزي للدراسة حول طبيعة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة، وذلك من حيث ماهية الممارسات التي من خلالها تم تشكيل المشهد الطبيعي الذي تتميز فيه قرية صطاف منذ الفترة الانتدابية (فترة الانتداب البريطاني لفلسطين منذ عام 1920-1948) حتى الزمن الحاضر. كما يبرز سؤالان آخران منحوتان من ذاك السؤال: كيف كان يتم استغلال المكان الجغرافي واستعمالات الأرض في منطقة الدراسة خلال تلك الحقبة. كيف أثرت الممارسات على المشهد بعد تهجير القرية عام 1948؟

مجادلة الدراسة

إن التنوع التي كانت تتمتع فيه منطقة الدراسة (قرية صطاف المهجرة) سواء في المشهد الطبيعي أو استعمالات الأرض خلال فترة الانتداب البريطاني لفلسطين متغير، تبعًا لتغير الممارسات لكن مع بقاء أمور أساسية يشترك فيها بسبب جغرافية المكان، حيث إن هناك العديد من الممارسات التي تحضر في ذات المكان، ومنها مشروع المتنزه الذي أُقيم في بداية ثمانينيات القرن الماضي، ما

[12] مصدر سبق ذكره، صفحة 5.

[13] مصدر سبق ذكره، صفحة 5-6.

أدى لبروز مشهد مركب ومتوتّر من المشهدين: من جهة الممارسات التي كانت قبل عام 1948 والتي تتمثل في ممارسة أهل صطاف في صنعهم للمكان، وهو يتركز في مشهد التنوع النباتي والممارسات الزراعية التي كانوا يمارسونها في صطاف. ومن جهة أخرى، مشهد المتنزه الذي أُقيم على أراضي صطاف، والذي يتميز بتركيبة أشجار دخيلة إلى جانب الأشجار التي يتم زراعتها في المكان. وقد حافظ الصندوق القومي اليهودي على جزءٍ منه مع افتتاح مسالك للتنزه (بكافة أنواعها)؛ أي عدم محو كامل للمشهد الذي كان يعيش فيه سكان القرية الفلسطينية قبل هدم القرية عام 1948 من خلال الممارسات التي تتم على ذات الحيز المكاني.

منهجية الدراسة

من أجل الإجابة على السؤال المركزي التي تطرحه الدراسة حول ممارسات المشهد الطبيعي الذي كانت تتمتع به قرية صطاف خلال الفترة الانتدابية (الانتداب البريطاني لفلسطين منذ عام 1920-1948)، إضافة إلى السؤال حول استغلال الحيز الجغرافي واستعمالات الأرض في منطقة الدراسة خلال تلك الحقبة، وما الذي حصل لذلك المشهد بعد هدم القرية عام 1948، لا بد من استخدام توليفة من الأساليب والأدوات العلمية، منها التاريخ الشفوي، الأرشيفات، العمل الميداني، بالإضافة الى استخدام التقنيات الجغرافية الحديثة.

اعتمدت الدراسة على منهجية التاريخ الشفوي، وعقد "مقابلات" مع أشخاص عاشوا في المنطقة قبل تدميرها؛ أي قبل عام 1948 وذلك من أجل معرفة وفهم طبيعة الممارسات التي كانوا يقومون فيها من حيث استعمالات الأراضي والغطاء النباتي، خاصةً الأنواع النباتية وطبيعة الأشجار التي كانت تتم زراعتها خلال وجودهم في المكان؛ أي في الفترة ما قبل 1948، كونهم المصدر الحي لوصف المشهد الطبيعي الجغرافي في المنطقة، كما يشكلون السردية الفلسطينية حول المكان الذين شكلوا جزءًا منه، علمًا أن ثمّة مقابلات تم توثيقها من مواقع كموقع (فلسطين في الذاكرة).[14]

تعد الأرشيفات وجهة من الوجهات التي من المهم التطرق إليها، والتي من أهمها الأرشيف الصهيوني الذي يحتوي على وثائق الصندوق القومي اليهودي. يتم تسليط الضوء على وثائق الصندوق القومي، كونه يُعتبر الجهة "المسؤولة" عن المتنزه الذي أُقيم

[14] تم اقتباس تلك المقابلات لأهميتها في توضيح ممارسات أهل صطاف ولأن الأشخاص الذين قد تم مقابلتهم قد فارقوا الحياة ولا يمكن أن يتم عمل مقابلة معهم مرة أخرى.

على أرض قرية صطاف المهجرة، وذلك من أجل بناء تصور واضح ومتكامل حول كيفية قيام الصندوق القومي اليهودي من خلال ممارساته في صطاف في صناعة مكان على ذات الحيز الجغرافي والمشهد الطبيعي الذي تقع فيه القرية. التناقضات هي قضية مركبة وتحتاج إلى تفكيك من أجل معالجة أكثر دقة لا تعتمد على وضع المعلومات في قالب أو وجهة نظر ضيقة تُضعف من أهمية الدراسة وبقائها ضمن السياق الأكاديمي، فالتناقضات التي تفرزها صناعة مكان آخر تؤدي إلى حدوث تشوهات في كلٍّ من المشهد الطبيعي واستعمالات الأراضي في حيز قرية صطاف المهجرة، سواء كان ذلك من خلال القيام بممارسات تؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تغيير هوية المكان، إضافة إلى تشجير أشجار دخيلة على البيئة الطبيعية في صطاف مثل أشجار السرو والصنوبر، وبناء طرق ومسالك للتنزه، ومسالك لركوب الدراجات الهوائية. لكن المحافظة على جزء من المشهد الزراعي (دون من كان يقوم فيه أي سكان القرية) هو أيضًا حالة استثنائية قام بها الصندوق القومي اليهودي في صطاف، وهذا يحتاج إلى فهم وتفسير للممارسات هذه، والذي لا يمكن إتمامه إلا بفهم المكان أولًا ضمن سياقاته المتعددة: طبيعة المكان وجغرافيته. ستكون الوسائل الأساسية المستخدمة هي وثائق الصندوق القومي اليهودي حول بناء متنزه صطاف من أجل توثيق الممارسات، والمنشورات التي نشرها الصندوق القومي اليهودي حول النباتات في صطاف، لما فيها من تفصيلات معرفية حول المشهد الطبيعي ومن ضمنه المشهد الزراعي، إجراء مقابلة مع موظفي الصندوق القومي اليهودي (JNF) الذين يتولون مسؤولية القيام بتلك الممارسات في صطاف.

المقطع العرضي (Transect): يُعتبر أحد الأدوات المستخدمة في العمل الميداني الذي يكمن في الملاحظة الميدانية الحالية للوصول إلى وصف المكان الحالي الذي يساهم في معرفة ودراسة التغيرات التي حصلت في المنطقة. يعكس استخدام أداة عمل المقطع العرضي العديد من الأهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها من خلال هذه الأداة، فمن خلالها يتم تحديد استعمالات الأرض الحالية الموجودة، إضافة إلى توضيح المشهد الطبيعي المهيمن. كما يضيف استخدام المقطع العرض فهمًا عامًا حول طبيعة المنطقة المستهدفة، سواء كان ذلك حول طبيعة المشهد الطبيعي أو حول استعمالات الأرض الموجود في الزمن الحاضر. الأمر الآخر الذي يضيفه المقطع العرضي هو محاولة الإجابة على كيفية استغلال حيز جغرافي معين ضمن إسقاطات ثقافية معينة. مثلاً، يتم استغلال المنطقة المستهدفة للدراسة كمتنزه "في أحضان الطبيعة" من أجل التنزه والترويح عن النفس، سواء كان ذلك في بناء مسالك للمشي والاستجمام أو مسالك لممارسة رياضة ركوب الدراجات الهوائية ومكان من أجل الزراعة العضوية "الصديقة" للبيئة، بينما كانت في السابق مكانًا يسكنه أشخاص ويعتبرونه بيتهم.

يكمن الدور الأساسي الذي يمثله استخدام المقطع العرضي في تتبع المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض من خلال النباتات والأشجار التي بقيت دون بقاء الإنسان ضمن الحيز الجغرافي لمنطقة الدراسة. يُقصد بكلمة تتبع أي أن يتم إعادة بناء المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض لقرية صطاف، من خلال عمل مقطع عرضي (Transect)، والذي من خلاله يتم تتبع للنباتات والظواهر البشرية التي كانت في صطاف (بيوت، مزارع، طرق إذا أمكن)، فهذه الوسيلة تعمل على إعادة بناء المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض التي تم دثرها مع هدم القرية عام 1948. وبالتالي، يتم بناء تصور حول ما كان، خاصة النباتات والأشجار التي بقيت كشاهد على ذلك المشهد. يتم تعزيز المقطع العرضي من خلال التقاط الصور الفوتوغرافية وربطها بإحداثيات جغرافية من أجل توضيح مسار المقطع العرضي، والذي سيكون مخططاً تبعاً للظواهر المستهدفة في الدراسة.

تعتمد الدراسة على التقنيات الجغرافية الحديثة كبرنامج (QGIS) من أجل معرفة طبيعة استعمالات الأراضي وأصناف النباتات وبيانات عن تلك الاستعمالات والأصناف، ذلك بالاعتماد على الصور الجوية (عام 1944-1945)؛ أي خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، حيث تم التقاط هذه الصور في الأربعينيات من القرن العشرين. تم اختيار الصور في تلك الفترة كونها الصور التي تعرض طبيعة المنطقة قبل التغير الذي حصل، كما تستعرض الصور الجوية مشهد تراتبية الأشجار الذي كان منتظمًا خلال تلك الحقبة "الفترة الانتدابية على فلسطين"، حيث تكمن أهمية هذه النقطة في كونها تشكل معيارًا للتمييز ما بين الأشجار التي تمت زراعتها خلال وجود سكان صطاف الفلسطينيين (حتى نهاية حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين)، وما بين الأشجار الدخيلة التي تمت زراعتها لاحقًا في ذات المنطقة (بعد طرد السكان الفلسطينيين وهدم قرية صطاف). تم ربط الصور الجوية كمرجعية جغرافية (WGS1984) باستخدام الـ(Georeferencing) ومن ثم إجراء ترسيم لاستعمالات الأرض حسب الصورة لمعرفة طبيعة استعمالات الأرض وربطها بخرائط عام 1933 التي تم الحصول عليها من (مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، والتي توفر بيانات تفصيلية عن استعمالات الأرض من حيث نوع الشجر والنباتات المزروعة وتوزيعها ونسبة الإنتاج لكل الأصناف المزروعة.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في فحوى دراستها للممارسات التي من خلالها تمّت صناعة وإعادة إنتاج الحيز لكل من المشهد الطبيعي/ الجغرافي واستعمالات الأراضي في المنطقة المستهدفة من الدراسة، في كونها تتميز في التركيز على منطقة محددة جغرافيًا؛ أي

التخصيص والابتعاد عن العمومية في معالجة الموضوع. دراسة كادمان كانت دراسة ذات مقياس جغرافي واسع من منطقة الجليل إلى منطقة النقب؛ وهذا يعطي دلالات واسعة ويهمل خصوصية الحيز المكاني لكل منطقة على حدة (على الرغم من أهمية الدراسة التي قامت فيها). وأدى هذا المقياس الواسع (في دراسة كادمان) إلى عدم التركيز على قرى القدس المهجرة (ما عدا الخرائط التي كانت شاملة وتتصف بوفرة المعلومات). أما (دراسة ديفيس) فقد شملت أيضًا دراسات ذات مقياس جغرافي واسع وعالجت موضوع كتب الذاكرة الفلسطينية بدرجة عالية من الموضوعية والدراسات المتعمقة حولها، كما أنها تشكل مصدرًا غنيًا لمعالجة بحث الدراسة، إلا أنه مع ذلك تحتاج منطقة الدراسة (قرى القدس المهجرة) إلى تعمق أكثر، خاصة في الحالات الدراسية التي لم تعالجها (دراسة ديفيس).

تضم هذه الدراسة أهمية أخرى تتمثل في التركيز على الممارسات البيئية ضمن المشروع الاستعماري الصهيوني (خاصة بعد حرب عام 1948). ويُقصد بالممارسات البيئية ضمن المشروع الاستعماري الصهيوني بالأعمال التي تحمل أبعاداً بيئية (مثل التشجير، استصلاح الأراضي، إقامة مشاريع ري) من زاوية. ومن زاوية أخرى، تحمل أبعاداً تتمثل في العمل على تحقيق المشروع الصهيوني في إحداث التحولات على المشهد الطبيعي واستعمالات الأراضي ضمن الأراضي التي تقع تحت نفوذها، وتقوم بهذه الأدوار المؤسسات الصهيونية أو المؤسسات التي أصبحت جزءًا من منظومة الدولة الاستعمارية، مثل سلطة حماية الطبيعة والمتنزهات الإسرائيلية، والصندوق القومي اليهودي.

حاول بعض الباحثين دراسة تلك الممارسات (دراسة شاؤول كوهن) دون أن يتطرق للسياق الاستعماري بالشكل الكافي، إذ إنه حاول الوصول إلى العديد من النقاط المفصلية من حيث استخدام وسيلة التشجير كأداة للسيطرة على الأرض، وكيف وظفت إسرائيل هذه الأداة في منع "المواطنين العرب" من العودة إلى الأرض أو استغلالها، لكنه تفادى بشكل أساسي العودة إلى المصادر الفلسطينية، من حيث الرواية حول صناعة المكان أو الدراسات التي تتحدث عن القرى الفلسطينية والتي أصبحت الآن غابات أو متنزهات، ولم يقم بدراسة تحول الأرض من ملكية عربية إلى أرض تحت إدارة الدولة.[15]

تضيف عملية دمج مصطلحي صناعة/ إنتاج المكان الذي تعبر عنه (دراسة سميث) وهندسة المكان الذي تعبر عنه (دراسة بنفنيستي) مزيدًا من الأهمية لموضوع البحث المكثف حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرى القدس المهجرة؛ فالحيز أو

[15] Shaul Ephraim Cohen*, the Politics of Planting: Israeli-Palestinian Competition for Control of Land in the Jerusalem Periphery*, (Chicago: The University of Chicago Press Books, 1993), p. 63.

المكان المستهدف هو الحيز الجغرافي المرتبط ارتباطًا عضويًا بالأنشطة البشرية (مثل الاقتصاد) التي يتم ممارستها ذاك المكان أو الحيز، وذلك تعبيراً عن الوحدة ما بين الحيز والمجتمع.[16]

تضيف الدراسة الميدانية لموقع الدراسة ميزة أخرى، من حيث إن الوصول الميداني إلى حيز الدراسة يعطيها قدرة أكبر على عكس الواقع في المكان. ثمّة الكثير من الدراسات التي تستطيع تغطية الجانب النظري من المواد المتوفرة في المصادر والمراجع، لكنها تفتقر إلى الدراسة الميدانية التي لا تمثل أداة مكملة؛ إنما هي أداة محورية ورئيسية للدراسة.

إن التوليفة التي تعتمد عليها الدراسة (إلى جانب الدراسة الميدانية) تقوم على المزج ما بين الأساليب العلمية التقنية من جهة مثل الصور الجوية، ونظم المعلومات الجغرافية وما بين أساليب البحث الاجتماعي مثل التأريخ الشفهي. إن هذا الخليط من الأدوات والأساليب البحثية يأتي بغرض الارتقاء بالدراسة في محاولتها تغطية كافة الجوانب، التي تهدف إليها في دراستها للممارسات التي شكلت المكان في صطاف.

لماذا صطاف؟

هنالك العديد من قرى القدس المهجرة عام 1948 يمكن أن يتم دراسة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها، لكن في هذه الدراسة وقع الاختيار على قرية صطاف المهجرة للعديد من الأسباب التي يجب على هذه الدراسة توضيحها.

تتراوح أسباب اختيار قرية صطاف كحالة دراسية ما بين الأسباب الفنية التي تشكل جسرًا للإجابة على سؤال الدراسة المركزي في محاولته تتبع وتعقب المشهد الطبيعي في القرية، وما بين الأسباب الأكاديمية التي هي مرتبطة أساسًا في الأبحاث الأكاديمية حول صطاف.

تتميز صطاف بتنوع بيئي كبير بالرغم من وقوعها الجغرافي في منطقة جبلية، حيث يفرض التنوع البيئي في صطاف في جعلها منطقة جاذبة لتكون حالة دراسية حول ماهية الممارسات التي شكلت المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها، سواء كان ذلك في تنوعها البيئي أو تنوع المنتجات التي كانت تصل مدينة القدس ،وقد كان أهل صطاف يبيعون منتجاتهم في أسواقها.[17] تعتبر صطاف من الحالات التي يمكن فيها تفكيك الممارسات التي شكلت المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، من خلال ما كان في

[16] Neil Smith, *Uneven development: nature, capital, and the production of space*, (London: Verso, 2010), p. 106.

[17] وليد الخالدي، كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997، صفحة 630.

القرية قبل بناء المتنزه على أراضيها من خلال النباتات الموجودة من حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين. لا يتوفر هذا الأمر في أغلب قرى القدس المهجرة الأخرى بسبب بناء المستوطنات على أراضي القرة المهجرة أو تشجيرها، بشكلٍ أدى لضعف القدرة على دراسة الممارسات فيها. فعلى الرغم من قيام الصندوق القومي اليهودي ببناء "متنزه" على أراضيها، إلا أن صطاف لم تفقد كامل مشهدها الطبيعي. بالتالي من الممكن تعقب ذلك المشهد وتوثيقه قبل اندثاره لعدة أسباب، منها ما هو طبيعي ومنها ما هو منهجي.

على الرغم من أهمية قرية صطاف في تمثيلها للمشهد الطبيعي وتنوع استعمالات الأرض فيها، إلا أنها تعاني من ندرة الدراسات العربية الفلسطينية حولها مقابل دراسات تفصيلية إسرائيلية حولها؛ ما دفع الباحث إلى اختيارها من أجل بناء معرفة فلسطينية ومن خلال مصادر معرفة فلسطينية (في أغلبها). كان عدم وجود كتب ذاكرة حول القرية دافعًا آخر للتوجه نحو قرية صطاف، وليس قرية صوبا أو لفتا اللتان تتميزان في كونهما حالتان دراسيتان محتملتان تستطيعان أن تنافسا قرية صطاف في ذلك. يأتي اختيار صطاف أيضًا، باعتبارها وجهة الصندوق القومي اليهودي في إقامة متنزه "بيئي" تتمّ فيه العديد من النشاطات ذات منهجية وسياق معين تستهدف الأعمار كافة ابتداءً بالأطفال وطلاب المدارس وصولًا للبالغين، وهذا غير موجود في كل من صوبا أو لفتا. بالتالي، تزفر صطاف حالة لفهم جوانب عميقة في ديناميكية الاستيطان الإحلالي.

من ناحية الممارسات، تُعتبر صطاف إحدى الحالات الاستثنائية التي دخلت نطاق سيطرة الصندوق القومي اليهودي بعد إقامة المتنزه، فالمشهد الطبيعي فيها تم الحفاظ على جزء منه، بل تعدى الأمر إلى محاولة ترميمه وتطويره كما كان، سواء من ناحية السلاسل الحجرية أو المشهد النباتي فيها، مع عدم المحاولة في تغيير اسمها أيضًا، وكان هذا أحد الأسباب الأساسية التي جعلت الدراسة من صطاف حالتها الدراسية في دراسة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض.

ثانيًا: الإطار النظري

ما هو المكان؟

في البداية، ثمّة ضرورة لتوضيح مفهوم المكان، باعتباره مفهومًا يحتمل عدة أوجه ومعاني تبعًا لكيفية استخدامه ضمن سياق معين، وهذه الدراسة ليست بمعزل عن تلك الضرورة، حيث إنها تستخدم مفهوم المكان ضمن سياق ومعنى محدد تتخذ منه إلى جانب المفاهيم الأخرى أساسًا للبناء عليه. من جهة، لا تحاول هذه الدراسة إضافة ادعاء نظري حول المكان أو طبيعته، لكن من جهة أخرى ينبغي لتعريف المكان أن يتضمن عددًا من العناصر التي من خلالها تصبح للدراسة القدرة على بلورة مفهوم يراعي البيئة الاجتماعية، الزمان وخصوصيتها في دراسة المكان الفلسطيني الذي يحمل في طياته عدة معاني تتوزع بين الذاكرة والمكان. أما مفهوما المكان والحيز، فلا بد للدراسة أن تُبرز الفرق بينهما حتى لا يتم الخلط بين المفهومين.

لتجسيد المكان أهميةٌ كبيرةٌ في توضيح مصطلح المكان، كونه يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، بالتالي يرتبط بالإدراك الحسي دون التغاضي عن كونه بكامل دلالاته لا يعني الدلالة الجغرافية المرتبطة في إطار محدد فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى أفق أوسع يتسع ليشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها.[18] فالمكان في تصور الذهن البشري يرتبط بالمعنى الحسي من خلال صيغ الارتفاع والانخفاض، الكبير والصغير، المحدود واللامحدود، السطح والمادة، فهذا الأفق التصوري للأرض يشمل جزئيات الجدليات المتناقضة فيه.[19]

طرحت أشعار محمود درويش مساهمة بنيوية في تشكيل مفهوم للمكان– المشهد ضمن السياق الفلسطيني من خلال إعادة المكان الفلسطيني من قضية "مقدسة" لدى الأنظمة العربية و"الدفاع" عنها إلى علاقة مباشرة ما بين المكان والشعب الذي ينتمي إليه، بغض النظر عن مكان وجودهم وضمن أي حيز جغرافي موجودون فيه: في الوطن أو في الشتات. تبعًا لدرويش، فالمكان هو بيت

[18] صالح ولعة، المكان ودلالاته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف (إربد: عالم الكتب الحديث، 2010)، صفحة 52-54.
[19] مصدر سبق ذكره، صفحة 44-52.

الشعر "**الأرض والتاريخ، دائمًا كانا يحملان نصوصي الشعرية**". وهذا يطرح تفسيرًا كون أغلب قصائد محمود درويش تحمل رمزية المكان أو الشهادة حوله.[20]

في دراسته حول تهويد المكان، يتخذ نبيه بشير اتجاهًا واضحًا حول تعريف المكان والذي بشكل أساسي لا يقوم بفصله عن سياق العلاقات الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية التي تمثل شكلًا بنيويًا يتكون من خلال الناس الذين يسكنون المكان ذاته. بحسب بشير، فالمكان هو تركيبة اجتماعية لا يمكن تجريدها من البشر الذين يعيشون داخله، وهذا على النقيض من النظريات الاجتماعية: الليبرالية والماركسية على حد سواء، فتلك النظريات تقوم على الفصل ما بين البعد المكاني وبين المجتمع، حيث إنها تفتقر إلى البعد التاريخي والحيزي لتلك الفئات البشرية. [21] في خلفيته النظرية، كان التمييز بين مفهومي المكان (Place) والحيز (Space) حاضرًا، وذلك من أجل تفادي الوقوع في إشكالية التداخل بينهما، فمفهوم الحيز على العكس من مفهوم المكان يفتقر إلى العلاقات الاجتماعية وعلاقات السيطرة، وهذه الميزة تنحصر في سياق مفهوم المكان. [22] ثمّة مفهوم آخر منبثق عن مفهوم المكان، وهو مفهوم الإقليمية (Territoriality) والذي ينبغي التطرق إليه من أجل إيجاد القدرة على تفسير مفهوم المكان ضمن الحياة الاجتماعية والسياسية. يعرّف الباحث (Robert D. Sack) الإقليمية باعتبارها استراتيجية جغرافية تهدف من خلال السيطرة على المكان أن تبسط سيطرتها على مجموعة من الأشخاص أو على ظاهرة معينة أو على شبكة من العلاقات، وهذا يعني أن بناء إقليم يؤدي إلى بناء صنف للمكان. [23] يتوافق ادعاء بشير حول المكان مع دراسة (Neil Smith) حول صناعة المكان، [24] حيث إن العلاقة ما بين المكان الجغرافي والمجتمع أصبحت مرتبطة أكثر مما مضى بمكان جغرافي معين ومحدد؛ ذلك بسبب فرض الدولة سيطرتها وسيادتها على المكان الجغرافي نفسه. بالتالي كلما سيطرت الدولة على مكان جغرافي أكبر، أصبح لها قدرة وسيطرة أكبر على العلاقة ما بين المجتمع والمكان.[25]

مصطلح المشهد الطبيعي/ الجغرافي (Landscape): ما بين مفهومه العالمي ومفهومه ضمن السياق الفلسطيني

[20] Mitri Raheb, Palestinian Identity in relation to time and space, (Beit Jala: Diyar Publisher, 2014), p. 85-87.

[21] نبيه بشير، حول تهويد المكان، حيفا: مدى الكرمل، 2004، صفحة 36-39.

[22] مصدر سبق ذكره، صفحة 40.

[23] مصدر سبق ذكره، صفحة 40.

[24] Neil Smith, *Uneven development: nature, capital, and the production of space*, (London: Verso, 2010), p. 80.

[25] Ibid, p. 80.

يحمل مصطلح المشهد الطبيعي/ الجغرافي (**Landscape**) العديد من المعاني، تبعًا لكيفية استخدام المصطلح ضمن الدراسات والأزمنة المختلفة، لكن تعريف المشهد الطبيعي ضمن سياقه العام يُعرّف على أنه أحد العلوم البيئية التي تقوم بدراسة التحولات التي تطرأ على الغطاء الطبيعي (غابات، أراض خضراء) وذلك بسبب الاستخدام البشري لذلك الحيز الطبيعي، لكن في دراسات أكثر تعمقاً حول المشهد الطبيعي، يتم تعريفه على أنه انعكاس للقيم الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع.[26] وكان أول استخدام لمصطلح المشهد الطبيعي الجغرافي في هولندا الذي عبر عن الظهور المرئي للأرض، ومن ثم انتقل إلى الإنكليزية والألمانية، وارتبط "بالمنطقة" أو الريف حتى القرن الخامس عشر، ومن ثم تحول في القرون اللاحقة إلى الصورة التي تمثل المشهد الطبيعي داخل "المملكة" أو البلد. وفي القرن العشرين، توسع مفهوم مصطلح المشهد الطبيعي ليضم التصورات التي تعبر عن الشؤون السياسية والثقافية. أدى التنوع الثقافي في مفهوم المشهد الطبيعي إلى اختلاف استخدامات المصطلح، وفقًا لرؤى الباحثين. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يعتمد الاستخدام البريطاني لمفهوم المشهد الطبيعي على دراسة الجوانب الفيزيائية بشكل يرمز إلى المظاهر الطبيعية، بعيدًا عن النشاطات البشرية ضمن الحيز الطبيعي؛ أي أنه يعمل على الفصل ما بين النشاط البشري ضمن الحيز الطبيعي، وبين المظاهر الطبيعية التي يتم فقط التعبير عنها ضمن المشهد الطبيعي/ الجغرافي.[27] على العموم، ثمّة توجهان بارزان في الدراسات الجغرافية للتعامل مع معنى المشهد الطبيعي/ الجغرافي، إذ إن الجغرافيا الطبيعية/ الفيزيائية تعمد إلى استخدام المفهوم المجرد للمصطلح من خلال الخواص والظواهر الطبيعية وتوزيع المشهد البانورامي الطبيعي فوق الحيز الطبيعي، بينما تهتم الجغرافيا البشرية في دراسة المظاهر التي تتعلق مباشرة بالسكان وعلاقاتهم مع الحيز الطبيعي الجغرافي.[28]

ضمن الجغرافيا البشرية، ثمّة قسم من الدراسات النقدية ينضوي تحت مسمى الجغرافيا الثقافية، والتي تعمل على الخروج عن المعنى المجرد للعديد من المفاهيم، ومن ضمنها مصطلح المشهد الطبيعي. وبحسب دراسة (Thompson)، فإن الجغرافيا الثقافية أعطت مفهومًا جديدًا للمشهد الطبيعي، مرتكزًا على "أن المعاني والقيم لا يتم اكتشافها، وإنما يتم بناؤها". ومعنى ذلك أن المشهد الطبيعي يعكس صفات وخواص بعض الفئات المعينة من المجتمع/ السكان الذين يعبرون عن أنفسهم من خلال البيئة التي يعيشون فيها من منظور علاقتهم مع البيئة المحيطة، وكان هذا المنظور الاجتماعي قد طغى لونه داخل الجغرافيا الثقافية، ما جعلها تخرج

[26] Derek Gregory, *The dictionary of human geography*, (Malden: Wiley-Blackwell, 2012), p. 409-410.

[27] Jala Makhzoumi, *Ecological landscape design and planning*, (London and New York: Taylor & Francis, 2016), p. 3-4.

[28] Ibid, p. 5-6.

بشكل مباشر أو غير مباشر عن التفسير التاريخي والجغرافي التقليدي، وبذلك أصبحت تتجه نحو الاتجاه النقدي والتأويلي في دراساتها.[29]

أما في دراسات المكان الفلسطيني، كان ثمّة استخدام ذو طابعٍ خاصٍ مرتبط بخصوصية الحالة الفلسطينية. ولعل أكثر الاشخاص الذين استطاعوا توصيل تعبيرهم عن الحيز والمشهد الطبيعي كان إدوارد سعيد عندما مزج بتعريفه للمشهد الطبيعي ما بين الذاكرة وصناعة المكان. فاستخدام المصطلح العلمي وربطه بالبيئة والحيز الفلسطيني يعطي تصور أكثر انعكاساً ووضوحاً للحالة الواقعة على الأرض، فبنية الذاكرة من خلال ربطها بالمكان تكون فاعلة، وهذا على النقيض مما تفعله الحركة الصهيونية التي قامت (ولا تزال) بإفراغ الذاكرة الصهيونية حول المكان من التاريخ والسكان الفلسطينيين، ومن ثم العمل على استبدالها بمكان ومشهد جغرافي جديد، وبالتالي صناعة مكان جديد. تشدد أيضًا دراسة سعيد على المشهد الجغرافي الذي تم نفي الفلسطيني عنه من أشجار الزيتون والبرتقال، والذي يتذكرونه في وعيهم.[30] أما بنية المشهد الطبيعي الفلسطيني فتعتمد على استحضار الماضي (ذاكرة المكان حتى عام النكبة)، والذي بمقابله يعتمد المشهد الجغرافي الصهيوني على التدمير والقضاء على المشهد الطبيعي الفلسطيني؛ أي أن العلاقة مبنية على التناقض والتعارض التام ما بين بنية المشهد الطبيعي الفلسطيني وبنية المشهد الطبيعي الصهيوني لذات المكان، والذي برأي سعيد يمثله الصندوق القومي اليهودي الذي يعتبر أداة أساسية في إعادة تشكيل المشهد الطبيعي الفلسطيني.[31]

يعبر (Wagstaff) عن استخدام آخر للمشهد الطبيعي في فلسطين، وذلك بكونه دراسة للتغيرات الحاصلة في الطبيعة الفلسطينية ما بين الجبل والسهل، حيث تقوم دراسة (Wagstaff) على عدة طبقات معرفية تبدأ بوصف تفصيلي للتضاريس الفلسطينية (فلسطين الانتدابية)، ومن ثم ينتقل إلى دراسة التغييرات الحاصلة واستمرارية حصولها، لكنها ليست دراسة حول استعمالات الأرض الفلسطينية، كما كان استخدامه (Wagstaff) لمصطلح المشهد الطبيعي/ الجغرافي في السياق المجرد بعيداً عن السياق المرتبط بخصوصية الحالة الفلسطينية سيسيولوجياً؛ أي بشكلٍ يختلف عن حالة استحضار المكان التي مثلها إدوارد

[29] Ian Thompson, *Rethinking landscape a critical reader*, (London: Routledge, 2009), p. 7-8.

[30] Edward W Said, "Palestine: Memory, Invention and Space": *The landscape of Palestine equivocal poetry*, ed. Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef, (Birzeit: Birzeit University Publications, 1999), p. 13-16.

[31] Ibid, p. 19.

سعيد.[32] ثمّة دراسة أخرى أجراها غازي فلاح التي سلط فيها الضوء على مفهوم المشهد الطبيعي/ الجغرافي الثقافي ضمن دراسة المشهد الطبيعي للقرى الفلسطينية المهجرة بعد عام 1948. شكلت حالة دراسة غازي فلاح (التحولات في المشهد الطبيعي الثقافي الفلسطيني) مع دراسة إدوارد سعيد توضيحاً وربطاً لمفهوم المشهد الطبيعي ضمن السياق الفلسطيني، فالعمل على دراسة القرى الفلسطينية المهجرة والأساليب المنهجية في القضاء على الآثار والأطلال الموجودة فيها تشكل جزءًا لا يتجزأ من دراسة المشهد الطبيعي للحيز الفلسطيني بعد نكبة عام 1948، والتي ذهب فيها بدراسة تفصيلية حول تبعات حرب عام 1948 على بنية المشهد الطبيعي للقرية الفلسطينية، وكيف قامت جهات اسرائيلية عدة بمحاولة محو ذلك المشهد (بحسب فلاح).[33]

يطرح ميرون (Benvenisti) – في دراسته المشهد الطبيعي المقدس– تعريفه حول المشهد الطبيعي على أنه "**عمل في العقل أي أنه مشهد مبني من طبقات في الذاكرة مثل الطبقات في الصخر**"، والذي يعني في مفهومه بناء المشهد الطبيعي للحيز المكاني من خلال الذاكرة الحية للإنسان والمجتمع، لكنه أيضا يقوم بالتمييز ما بين المشهد الطبيعي الفيزيائي والمشهد الطبيعي في الذاكرة، لكن دون محاولة الفصل بينهما. بكلماتٍ أخرى، إنّ المشهد الطبيعي في الذاكرة الحية مكملٌ للمشهد الطبيعي الفيزيائي، فإذا تم استئصال المشهد الطبيعي من الذاكرة، يمكن من خلال المشهد الطبيعي الفيزيائي التوصّل إلى ما كان عليه المشهد الطبيعي للذاكرة خلال تلك الفترة (المقصود فترة حرب النكبة عام 1948)،[34] لكن ما يميز هذه الدراسة (دراسة بنفنيستي) هو تطرقها التفصيلي لكيفية حدوث التحول في المشهد الطبيعي للقرى الفلسطينية المهجرة من خلال إنتاج الخارطة "العبرية"، فيتم العمل على إعادة هندسة المكان بما يلائم الأهداف والرؤى الصهيونية حول المكان الفلسطيني بعد النكبة. على سبيل المثال، لم يأخذ تشكيل لجنة إعداد الخرائط وقتاً طويلاً بعد احتلال منطقة النقب، فهنالك لجنة خاصة بالنقب تمت تسميتها بلجنة أسماء النقب (Negev Names Committee)،[35] وتقوم إحدى الأساسيات التي كانت تحكم عمل لجنة الأسماء تلك على استبدال الأسماء العربية بأخرى ذات أصل توراتي، والتي بحسب (Benvenisti) كانت قليلة، ما حدا باللجنة للاعتماد على اللغة اليونانية

[32] Malcolm Wagstaff, "The Mountain and the Plain: Some Themes of Continuity and Change in Palestinian Landscape" in Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef (eds.) *the landscape of Palestine equivocal poetr*y (Birzeit: Birzeit University Publications, 1999), p. 23-26.

[33] Gazi Falah, "The Transformation and Resignification of Palestine's cultural landscape": *The landscape of Palestine equivocal poetry*, ed. Ibrahim Abu-Lughod, Roger Heacock, and Khaled Nashef, (Birzeit: Birzeit University Publications, 1999), p. 97-98.

[34] Meron Benvenisti, *Sacred landscape: the buried history of the Holy Land since 1948*, (Berkeley: University of California Press, 2002), p. 1-3.

[35] Ibid, p. 11-12.

والرومانية لعبرنة أسماء المواقع العربية الفلسطينية، لكن حتى استخدام اللغات اليونانية والرومانية كان مشروطاً بملاءمتها للغة العبرية.[36] لا تعمل دراسة بنفنيستي على إهمال الدور الذي لعبه الصندوق القومي اليهودي، بل تركّز عليه أيضًا من خلال دورها في إعادة رسم خارطة الساحل والكرمل، وبالتالي إعادة رسم المشهد الطبيعي في تلك الأماكن، إضافة إلى مواقع أخرى، (على الرغم من أن الصندوق القومي اليهودي كان قد فشل بتغيير الأسماء في بعض الأماكن مثل الخضيرة أو الكرمل، الرملة).[37] وفي الوقت ذاته كان للصندوق دورٌ وأساليبُ أخرى لتهويد المكان، مثل بناء مستعمرة إلى جانب القرية الفلسطينية المهجرة وتسميتها باسم قريب من الاسم العربي الأصلي – أي تحريف في اللفظ ليلائم عالم الصوتيات العبرية.[38]

في هذه الدراسة، يضم استخدام مصطلح المشهد الطبيعي/ الجغرافي عدة عوامل تشكل مع بعضها البعض توليفة تصبح من خلالها الدراسة قادرة على توضيح المشهد الطبيعي/ الجغرافي الفلسطيني في منطقة الدراسة مع مراعاة خصوصية الحالة الفلسطينية؛ من ناحية أن التحولات الناتجة في المشهد الطبيعي الفلسطيني هي تحولات نتجت ضمن سياق مشروع استعماري للحيز الجغرافي الفلسطيني، مع التركيز على خصوصية الحيز المكاني للدراسة في قرى القدس المهجرة بعد عام 1948.

تتضمن تلك العوامل المفهوم الذي طرحه إدوارد سعيد حول بنية الذاكرة للمكان بما يخص بنية الذاكرة الفلسطينية حول الحيز المكاني الذي تم إقصاء أهله عنه وطردهم منه. وفي هذا العامل، يتم التركيز على الفترة الزمنية التي كان (الفلسطينيون) فيها بالحيز بالمكاني (أي حتى زمن النكبة). أما العامل الآخر الذي من الجدير توظيفه هو عامل هندسة المكان الذي طرحه (بنفنيستي) لرصد التحول في المشهد الطبيعي بعد النكبة؛ لكن في هذه الدراسة يتميّز استخدامنا في عدم اعتبار الخارطة الوسيلة الأساسية في هندسة المكان، ورصد وسائل أخرى في هندسة المكان مثل الصور، الكتيبات الصادرة عن الصندوق القومي اليهودي، والبحث الميداني المباشر لرصد كيفية استخدام الأرض.

ثالثا، استعمالات الأرض (Land Use): أداة لدراسة المكان

يعبر مصطلح استعمالات الأرض عن استخدام الإنسان للأرض (بالمجمل)، وذلك يعود بشكل أساسي للدور التشغيلي للأرض ضمن النشاطات الاقتصادية فيها. ويرتبط بمصطلح استعمالات الأرض أيضًا مصطلح غطاء الأرض (land Cover) الذي

[36] Ibid, p. 20.
[37] Ibid, p. 36.
[38] Ibid, p. 25.

يعتبر أداة من أجل الوصول إلى تفصيلات مصطلح استعمالات الأرض، فالمفهومان مرتبطان ببعضهما البعض، إذ إن استعمالات الأرض هي البنية الأساسية أو الشكل العام، بينما غطاء الأرض هو البنية التفصيلية والمتخصصة حول استعمالات الأرض،[39] لكن مع أن المفهومين مرتبطان ببعضهما البعض، إلا أنهما بنفس الوقت يعبرّان عن أمور يمكن أن تتصف بالاختلاف، حيث إن مفهوم استعمالات الأرض يعبر عن كيفية استغلال الأرض من أجل النشاطات البشرية؛ أي أنه يعبر عن كيفية استغلال المشهد الطبيعي الجغرافي، بينما مفهوم غطاء الأرض يعبّر عن وصف مكونات سطح الأرض وتحليل الشكل الذي يغطي سطح الأرض مثل الغابات، المياه، الزراعة؛ أي أنه يعبر عن طبيعة الأرض الفيزيائية، والفرق بين المفهومين لا يتسم بالتناقض، بل على العكس من ذلك، إذ إن العلاقة بينهما تتصف بالتركيب والتكامل. لكن من ناحية التأثيرات، فإن استعمالات الأرض هي العامل المؤثر على غطاء الأرض، وذلك تبعًا لأهداف ذلك التأثير، سواء كانت أهدافًا اقتصاديةً أو اجتماعيةً.[40]

كانت أوائل التعريفات الإجرائية حول استعمالات الأرض ضمن إجراء المسح البريطاني لاستعمالات الأرض عام 1942-1945 في بريطانيا ذاتها، وكان هدف إجراء المسح هو حول "ما هو الاستخدام الفعلي لمسطح الأرض الخارجي؟". لكن مع تقدم حالة الدراسة والتطور العملي والأكاديمي حول دراسة استعمالات الأرض، تطور مفهوم دراسة استعمالات الارض وأصبح أكثر تركيباً من ذلك المفهوم المبسط، إذ إن (Best) – في دراسته حول استعمالات الأرض– ركز على أن معالجة الدراسات لاستعمالات الأرض تقوم أساسًا على الجوانب المكانية لجميع النشاطات البشرية على الأرض، فضلًا عن الطرق التي يتم فيها استغلال مسطح الارض (Surface) أو كيف يمكن استخدامه ضمن خدمة الإنسان واحتياجاته، [41] كما وتشترك معظم الدراسات الأخرى حول تعريف استعمالات الأراضي من خلال ربط المصطلح بالنشاطات البشرية ضمن الحيز المكاني، وهو الأرض. ولا تشكل هذه الدراسة (موضوع بحث الرسالة) أيَّ استثناءٍ في دراستها لاستعمالات الأرض في قرى القدس المهجرة من ناحية المفهوم، بحيث يتمّ التركيز على النشاطات البشرية للحيز المكاني (موقع الدراسة) سواء كان ذلك ما قبل (قبل حرب عام 1948) أو ما بعد حدوث التحولات على استعمالات الأرض، لكن مع إبقاء خصوصية للحالة الفلسطينية من خلال التركيز على الجانب الإثنوجرافي في دراسة استعمالات الأرض في الحيز المكاني الفلسطيني. وتقصد الدراسة بمصطلح الإثنوجرافي تحليل المواد الفلكلورية،

---

[39] James B Campbell, *Mapping the land: aerial imagery for land use information*, (Washington, D.C.: Association of American Geographers), p. 1983, p8-10.
[40] Antoinette M Mannion, *Dynamic world: land-cover and land-use change*, (London: Arnold, 2002), p. 35.
[41] Robin Hewitson Best, *Land use and living space*, (London and New York: Methuen & Co, 1981), p.19 -20.

والتأريخ الشفوي وإجراء المقابلات (إذا أمكن)، حيث تنبع خصوصية استخدام الأرض قبل حدوث التحولات عليها من خلال تأثير العادات والتقاليد ونمط الحياة المجتمعية الفلسطينية وتأثير ذلك على استعمالات الأرض فيها، فعملية طرد المجتمع الفلسطيني وإحلال مجتمع آخر (استعماري) كانت عاملاً مفصلياً وأساسياً في إحداث تغيير واستخدام مختلف لذات الحيز المكاني.

في فحوى دراسته، يعالج هذا البحث الفجوة التي تكمن في الأدبيات التي قامت بالتطرق إلى موضوع البحث، وذلك من باب التركيز على الممارسات التي عملت على صناعة وإعادة إنتاج الحيز لكل من المشهد الطبيعي/ الجغرافي واستعمالات الأراضي في المنطقة المستهدفة من الدراسة؛ وهي ضمن الحيز المكاني لقرى القدس المهجرة (حالات دراسية معينة تم اختيارها). وعلى العكس من الكثير من الدراسات التي تعالج الخطاب (خاصة خطاب المؤسسات الإسرائيلية التي تقوم بإحداث التحولات على كافة أنواعها)، تركز هذه الدراسة على الممارسات البيئية والتي تتضمن التشجير، واستصلاح الأراضي، وإقامة مشاريع ري (إلى جانب ممارسات تفصيلية أخرى مثل المتنزهات "الطبيعية" واللافتات فيها) التي قامت فيها جهات إسرائيلية عديدة، إلى جانب الدور الرئيسي للصندوق القومي اليهودي في مسؤوليته عن تلك الممارسات التي أدت بشكل مباشر إلى إحداث التحولات في المشهد الطبيعي واستعمالات الأراضي ضمن حيز الدراسة.

ثالثًا: أدبيات تتناولها الدراسة

يساهم كتاب شاؤول كوهن الذي يحمل عنوان "**سياسات التشجير: التنافس الإسرائيلي الفلسطيني للسيطرة على الارض في محيط القدس**" في فهم الحقائق والتحولات التي تطرأ على الأرض في منطقة القدس بشكل أكثر خصوصية من باقي المناطق. إن المقصود بفكرة الأرض هي توضيح شاؤول للتحولات التي شهدتها منذ العهد العثماني حتى السيطرة عليها بعد قيام إسرائيل على 78% من الأرض في عام 1948 ومن ثم احتلال كامل فلسطين الانتدابية عام 1967. وقد تضمنت تلك التحولات العديد من المجالات مثل منظومة الملكية للأرض وكيفية الاستحواذ عليها. أما الزوايا التفصيلية الأخرى حول الأرض، فهي النظرة الدينية للأرض سواء في اليهودية أو في الإسلام، فيقوم بمحاولة الربط وتوضيح العلاقة ما بين الأرض والمقصود فيها بالكتاب "أرض إسرائيل" وما بين اليهودية من الناحية التوراتية، حيث إن هذه العلاقة هي أساسية وجوهرية في التعامل مع الأرض في فلسطين، فتضم هذه العلاقة محتويين هما الفكري والعملي. ويمكن القول أن هذه العلاقة تنحصر في استخدام الديانات لمشاريع سياسية. [42]

تناول شاؤول تطور حركة التشجير للأراضي الفلسطينية منذ الفترة الانتدابية إلى الفترة المعاصرة (وقت نشر الكتاب عام 1993)، فركّز على الفترة الانتدابية بخصوص التشجير وإقامة المناطق الحرجية، ومن ثم انتقل إلى التشجير وإقامة الغابات منذ عام 1948 حتى عام 1967، والتي استهدفت المناطق التي سيطرت عليها "إسرائيل". تعتبر هذه المرحلة مرحلة هامة من حيث اختلاف أهداف التشجير بالمقارنة مع فترة الانتداب البريطاني، إذ لعب الأخير دورًا في التشجير، فالأهداف بعد عام 1948 كانت السيطرة على الأرض عليها وتغيير معالمها، إضافة إلى منع السكان الفلسطينيين من العودة إلى أراضيهم المهجرة.

تكمن الأهمية الأخرى لهذه المرحلة (يختص بها الكتاب حول مدينة القدس بشكل أساسي) في ربط عمليات التشجير في عناوين وأهداف مختلفة تصب جميعها في ربط "هوية الشعب اليهودي" في "أرض إسرائيل"، فالكثير من الغابات والمناطق الحرجية أُقيمت

[42] Shaul Ephraim Cohen, *The politics of planting: Israeli-Palestinian competition for control of land in the Jerusalem periphery*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1993), p. 25.

من أجل تخليد ذكرى الضحايا اليهود في أوروبا بسبب الهولوكوست على سبيل المثال لا الحصر.[43] في دراسته، لم يهمل (كوهن) أهمية الدور الذي لعبه يوسف فايتس والذي أُطلق عليه لقب "الأب الروحي" لعملية التشجير في النهوض بدور الصندوق القومي اليهودي في تشجير الغابات في مختلف أنحاء الأراضي التي سيطرت عليها "إسرائيل" بعد عام 1948 وخاصة في منطقة القدس، والتي نالت نصيب الأسد في برامج ومشاريع التشجير ،خاصة منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين ،حيث كانت عملية التشجير تمشي قُدماً على نطاق واسع فوق أرض الفلسطينيين الغائبين.[44]

سلط الكتاب الضوء على عملية التشجير التي حصلت بعد احتلال إسرائيل لكامل مساحة فلسطين الانتدابية عام 1967، إذ ركّز الكتاب على منطقة القدس، وخاصة "الحزام الأخضر" الذي يلتف حول مدينة القدس من الجنوب والشرق حتى الشمال وذلك من أجل وصل هذا الحزام من الأشجار الحرجية مع الحزام الملتف حول المدينة من الغرب حتى الجنوب الغربي، وذلك بالالتقاء مع الحدود البلدية الموسعة لمدينة القدس بعد إعادة توحيد المدينة عام 1967. كما يتناول شاؤول العديد من الأمثلة المستمدة من الواقع العملي من الزمن تحت الحكم الأردني قبل توحيد القدس، ومن ثم بعد توحيد المدينة والفروق التي حصلت ما بين سكان مدينة القدس ومدن الضفة الغربية.

يتوسع الكتاب في معالجة قضية "الحزام الأخضر" من حيث أسباب بنائه من الأحراج حول القدس. وكان لشاؤول عدد من الادعاءات حول ذلك الحزام، سواء من أجل تغيير المشهد الطبيعي للقدس، أو من أجل "حجز" الأرض؛ وبالتالي منع الفلسطينيين من استخدامها حتى يتم استغلالها من قبل الجهات الإسرائيلية حصرًا، بينما تتمحور السياسة الإسرائيلية حول اقتلاع الأشجار التي يزرعها الفلسطينيين أنفسهم في ذات المنطقة، فمن جهة تعمل السلطات الإسرائيلية على تشجير وزرع الأشجار، ومن جهة أخرى تقتلع الأشجار المزروعة فلسطينية بادعاء زراعتها في "أراضي دولة".

بالنسبة إلى المصادر والمراجع في الكتاب، فقد كانت متنوعة لكن أغلبها– بالمقام الأول– تعتمد على الاقتباس من السردية الصهيونية، مقارنة بالسردية الفلسطينية أو المحلية التي يتمحور الكتاب حولها، فاستخدام المصادر العربية أو الفلسطينية لا يتعدى الواحد من عشرة بالنسبة إلى المصادر الصهيونية واليهودية، لكن هذا لا ينزع شرعية ومصداقية الكتاب؛ بكونه إنتاجًا معرفيًا يوضح الممارسات في السيطرة على الأرض ومنع الفلسطينيين من استغلالها. أما منهجية الكتاب، فهي منهجية تركز على

[43] Ibid, p. 65.
[44] Ibid, p. 62

الممارسات أكثر منها على الأطر النظرية من أجل فهم أكثر واقعية لما يحدث على الأرض من سياسات ترتكز على مصادرة الأرض و"حجزها".

لا يمكن التغاضي عما قام به كوهن فيما يخص بحثه حول التشجير، لكن أيضًا لا يمكن تجاهل كون السردية "الشاسعة" في تغطية جوانب كثيرة أدت إلى افتقاد الكتاب جزءًا من أهميته البحثية، والتي أصبحت تحتاج إلى مزيد من التعمق، التحليل، وفحص مواضيع أكثر خصوصية من تلك التي طرحها كوهن. مثل ماذا؟

على الرغم من مرور وقت زمني على إصدار الكتاب منذ عام 1993 ومرور أكثر من عشرين عامًا على إصداره، إلا أنه كتابٌ لا يزال بمرتبة الريادة من أجل الوصول إلى فهم المنظومة القانونية والتسلسل التاريخي لتحولات الأرض واستغلالها، وخاصة من خلال طرق تشجير الأرض منذ العهد العثماني حتى السيطرة الإسرائيلية على كامل مساحة فلسطين الانتدابية (على الرغم من فجوة الكتاب بخصوص السردية التاريخية والتغطية الزمنية الكبيرة).

أما كتاب نوجا كادمان، **المحو من الحيز والإدراك: إسرائيل والقرى الفلسطينية المهجرة عام 1948**، فيتحدث حول القرى الفلسطينية التي هجّرت "إسرائيل" سكانها واستولت على ممتلكاتهم. يبدأ الكتاب مجادلته بأن الحكومة الإسرائيلية أشرفت على عملية التهجير واستغلت حرب عام 1948 في سبيل ذلك،[45] ومن ثم عملت على محو المشهد العربي للقرى الفلسطينية من خلال تدميرها وبناء المستوطنات، سواء كانت الزراعية أو السكنية منها مكان القرى الفلسطينية.

يتمحور ادعاء الكتاب حول ممارسات الحكومة الإسرائيلية في القرى الفلسطينية المهجرة من أجل محو تلك القرى من المشهد والحيز، ومن ثم من الوعي لدى المجتمع "الإسرائيلي اليهودي"، وذلك من خلال التركيز على خطاب المحو في وعي المجتمع الصهيوني حول القرى الفلسطينية المهجرة.

تمتاز فصول الكتاب بكونها تشكل مع بعضها البعض فكرة متبلورة حول تناقض المشهد للحيز الجغرافي ما بين حيز عربي (يركز الكتاب على الحيز في الريف الفلسطيني) يمتاز بالتنوع سواء في القرية ذاتها أو التنوع في استعمالات الأرض، مقابل حيز يهودي مبني على أساس الإنسان اليهودي والأرض اليهودية من خلال بناء الكيبوتسات الزراعية فوق أطلال القرى الفلسطينية بعد تدميرها. اهتمت كيدمان بالتعمق في الأطر النظرية والخطاب، بالقدر التي اهتمت فيه بالممارسة والميدان، فدخلت في جدلية الهوية

[45] Noga, Kadman, *Erased from space and consciousness: Israel and the depopulated Palestinian villages of 1948,* (Bloomington, Indiana: Indiana University Press, 2015), p. 9.

القومية والصراع القومي، والذاكرة، والحيز، إذ إن الهدف من محو الحيز كان من أجل محو الذاكرة، سواء كانت ذاكرة الحيز نفسه أو ذاكرة الإنسان، فالرغبة في المحو هي تدمير المشهد الفلسطيني الذي كان يتم طرحه على أنه "تنظيف" للموقع والحيز من مخلفات القرى المهدمة، فمصطلح "الخراب" كانت قد استخدمته غولدا مائير من أجل الإشارة إلى القرى المهجرة، والتي أشارت إلى نتائجه في سياق "الضرر" الدبلوماسي لإسرائيل، فالرغبة التي تولدت في خطاب غولدا مائير كانت من أجل محو تلك الذاكرة والبقعة السوداء التي ارتكبتها "إسرائيل".[46]

تبحر كيدمان إلى أماكن بعيدة من أجل الوصول إلى تناقضات عميقة في داخل المجتمع الصهيوني الذي سكن بشكل خاص الكيبوتسات الزراعية، حيث قام كتابها على دراسة 25 حالة دراسية من الكيبوتسات بالاعتماد على الأرشيفات والأدبيات التي كتبها أشخاص من داخل الكيبوتس نفسه، خاصة الكتابات التي خرجت بُعيد "تأسيس" تلك الكيبوتسات، أو بالاعتماد على الوثائق والمصادر الرسمية، فتطرح الكاتبة جزئية تعود بنا من خلالها إلى زمن "تأسيس" الكيبوتس، إذ وضعت يدها على التناقضات العميقة في السلوك تجاه الحيز للقرى الفلسطينية المهجرة. وجدت الكاتبة أن العديد من التوصيفات في المصادر حول موقع الكيبوتس تكون بتعريف الموقع الجغرافي للكيبوتس من خلال الموقع الجغرافي للقرية الفلسطينية المهجرة التي إما كانت في موقع الكيبوتس ذاته أو في محيطه، بينما عندما يتم التطرق حول موضوع المشهد الطبيعي، فيتم استحضاره من منظور العودة إلى العصر التوراتي، بعيداً عن التطرق حول فلسطينية وعروبة المشهد.[47] أما القضية الأخرى من ذات المنظور فتتمحور حول الانبهار والإحساس بالدهشة من جماليات المشهد الطبيعي الفلسطيني، خاصة الحقول بأنواعها، وفي مقدمتها حقول الحمضيات ومدى تناسقها مع البيئة المحيطة. وفي الحقيقة هذا لا يقل تناقضاً عن النقاط الأخرى، لأن هذه الدهشة لم تحول دون اقتلاع الأشجار أو تغيير جماليتها أيضًا. وكانت قرية دانيال الفلسطينية في قضاء الرملة إحدى تلك الجماليات التي تم تدميرها، وبُني على أنقاضها كيبوتس كفار دانيال.[48]

بعد الطرد الذي تعرض له الفلسطينيون ومن ثم تدمير قراهم، جاء الدور للمرحلة الثانية التي تمتلك أوجهًا وأشكالًا مختلفة تصب مُجتمعةً في هدف المحو والإلغاء للهوية والمشهد الفلسطيني، فهذه الأشكال ما هي إلا أدواتٌ تم استخدامها (يتم استخدامها حتى الزمن الحاضر ولو كان باختلاف دلالاتها)، ومن هذه الأدوات بحسب كيدمان، كانت الأسماء من خلال استبدالها بأسماء يهودية،

[46] Ibid, p. 27.
[47] Ibid, p. 57-58.
[48] Ibid, p. 75.

فقد استخدمت مصطلح "عبرنة" الأسماء من خلال تهويد وعبرنة الاسم العربي من خلال عدة أساليب؛ منها تحوير الاسم العربي إلى اسم يهودي. ولتقريب الفكرة، يمكننا هنا استعادة مثال قرية عين حوض، والتي تم استبدالها باسم عبري آخر "عين هود" (تعتبر حالة هذه القرية من الحالات الاستثنائية في بقائها دون هدمها). أما الأسلوب الأخر فكان تغيير الأصل بالكامل، فيصبح الاسم مغترباً بالكامل مثل موشاف "أورا"، والذي كان قبله قرية الجورة المهجرة. وثمّة أيضًا انتقاء أسماء لها مدلولات عامة وطبيعية، مثل كيبوتس بن عامي الذي أصبح مكان القرية الفلسطينية أم الفرج.[49] كانت الحلقة الأهم في سلسلة تهويد المشهد الفلسطيني للقرى الفلسطينية المهجرة هي الخريطة؛ حول من الذي يسمّي المواقع على الخريطة وضمن أية معايير وأهداف، إذ إن الإجابة على هذه التساؤلات هي إجابة مركبة، من حيث تداخل السلطات في التسمية، على اعتبار أن اللجنة المسؤولة عن تسمية الأسماء هي اللجنة الحكومية للأسماء، لكن يكمن التداخل في أن اعضاء تلك اللجنة يمثلها كل من الصندوق القومي اليهودي ولجنة النقب، عدا عن أعضاء الكنيست والخبراء في الأسماء، لكن كيف تتم تسمية المواقع العربية من خلال الصندوق القومي اليهودي بهدف إقصاء الحيز العربي أو إفراغه من مضمونه؟ يتم ذلك عبر صكّ اسم للدلالة على مكان المواقع للقرى الفلسطينية المهجرة لكن عبر عبرنته، أو صكّ اسم لا يعكس مضمون المشهد الطبيعي أو الهوية العربية للحيز، بل في الحقيقة بالاتجاه المعاكس والذي من خلاله تعكس الأسماء المنتقاة الأهداف والطموحات الصهيونية حول المكان. [50]

في فصل الكتاب الأخير، أخذت كيدمان حيزاً كبيراً في التطرق لكيفية تحول القرى الفلسطينية المهجرة إلى متنزهات ومحميات طبيعية، إذ إن ثمّة 184 قرية فلسطينية مهجرة تم تحويلها إلى متنزهات ومحميات طبيعية، وتقع ضمن مسؤولية الصندوق القومي اليهودي وسلطة المتنزهات الطبيعية الإسرائيلية، إذ لعبت زراعة الغابات وتشجيرها دوراً رئيسيًا في محو آثار تلك القرى وسلبها هويتها.[51] لم تقم كيدمان بإهمال دراسة الأدبيات التي تصدر عن الصندوق القومي اليهودي وسلطة الطبيعة والمتنزهات، لما في ذلك من أهمية في توضيح الإهمال المقصود في ذكر القرى المهجرة وكتابة المعلومات حولها في أدبياتهم. تتجاوز أهمية ملحق الخرائط الفصول الأخرى في كونه يوضح ويتضمن خرائط تفصيلية حول كل قرية فلسطينية مهجرة، وارتباط كل قرية بمعلومات عنها من

[49] Ibid, p. 101.
[50] Ibid, p. 90.
[51] Ibid, p. 113.

حيث اسمها القديم والاسم بعد تدميرها (اذا تم تغييره)، إضافة إلى موقعها الجغرافي بالنسبة إلى كل لواء وعدد سكانها، وما هي المستوطنات المقامة على أرضها (إن وُجد).[52]

بالحقيقة، لا يمكن دراسة مواضيع حول القرى الفلسطينية المهجرة دون التعرض لمحتوى هذا الكتاب الذي باعتقادي من الكتب التي تحاول أن تتألق في النوع لا بالكم المعلوماتي، فهو كتاب متوسط نسبيًا، لكنه مليء بالأفكار التي تربط الأطر النظرية مع الدراسة الميدانية والممارسة التي قامت بها الكاتبة، إضافة إلى تراتبية الأفكار وتبلورها بشكل زمني، لكن لا يعني ذلك خلو الكتاب من الأمور التي وجب نقدها.

يغطي الكتاب مساحة زمانية ومكانية واسعة نسبيًا تحتم على الكاتبة التوسع والتعمق فيها، لكن تركيز الكتاب كان بشكل كبير على مناطق أكثر خصوصية مثل شمال فلسطين أو منطقة المركز.

في كتابها **تاريخ القرى الفلسطينية: جغرافية السلب**،[53] تعكس روشيل ديفيس الكثير من كتب الذاكرة حول القرى الفلسطينية، حيث وصل عددها إلى 120 كتابَ ذاكرةٍ، والتي فضلت تسميتها كتب تاريخ القرى الفلسطينية لإضفاء خصوصية وقيمة خاصة عن كتب الذاكرة في مناطق أخرى من العالم. ويزخر كتابها بأهداف متشعبة، لكنها مرتبطة بعقدة وهدف عام واحد حول كيفية فهم الحاضر الفلسطيني من خلال استحضار الماضي من منظور كتب الذاكرة الفلسطينية، فتقوم على التعمق في دراسة كل كتب الذاكرة عن قرى الفلسطينية المهجرة وإجراء المقابلات مع مؤلفي الكتب، وهذه طريقة مبتكرة لدراسة تلك الكتب، فتلك الكتب تعتمد بشكل بنيوي على التاريخ الشفوي في استحضار معلوماتها حول كل ما هو موجود عن القرية الفلسطينية في الذاكرة (ذاكرة أهل القرية) في كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فضلًا عن طرق المعيشة والزراعة. بذلك، يتم تسليط الضوء على سردية التاريخ الشفوي، لكن ديفيس عملت على التركيز على كيفية بناء أهل القرى الفلسطينية المدمرة هذه السردية، ووضعها في كتاب بعد طباعته يتحول إلى مرجع موثق لحياة القرية خاصة لفترة ما قبل تدمير القرية عام 1948. وتجادل ديفيس بضرورة البقاء بعيدًا عن دائرة مركز القوة من مثقفين نخبويين أو أصحاب صنع القرار، فكتب الذاكرة الفلسطينية جاءت من ذات أهل

[52] Ibid, p. 152.
[53] Rochelle Davis, *Palestinian village histories: geographies of the displaced*, (Stanford, Calif: Stanford University Press, 2011).

القرية، وليس من مؤرخين عملوا على توثيق تاريخ تلك القرى، حيث يفحص الكتاب الفهم الفلسطيني والمساهمة في تاريخه، بعيدًا عن السياق السياسي والتاريخي التقليدي.[54]

منهجية الكتاب هي منهجية مركبة على نحوٍ يساهم في توصيل الأفكار والتحليلات بطريقة ملفتة، حيث في البداية تبدأ بتعريف المصطلحات من منظور فهمها في سياق البيئة والسردية الفلسطينية (داخل فلسطين والشتات) مثل كلمة "نوستالجيا"، إذ إن فهم الكاتبة لهذه الكلمة في السياق الفلسطيني كان مختلفاً عن السياق الأوروبي أو حتى اليهودي. في السياق الفلسطيني، كان استخدامها معبراً عن الشعور الفلسطيني بالظلم والعنف اللذين أصاباه في النكبة، كما جاء معبرًا عن طردهم من بلادهم.[55] في السياق عينه، انتقلت ديفيس لتعريف بنيوي آخر حول مفهوم جغرافية السلب، والذي لا يقتصر على التهجير المادي أو الفيزيائي، وإنما يتطرق إلى السياق الاجتماعي والثقافي، والديني واللغوي، ومناحي الحياة الأخرى. أما مفهوم الجغرافيا، فهو مفهوم لا يعالج المكان فقط، وإنما إنتاج الحيز والنقاشات التي من خلالها ينظمون مجتمعاتهم وذاكرتهم.

أما على صعيد منهجية الكتاب، فهي تتخذ من حرب عام 1948– النكبة محطة ونقطة مركزية في سردية الأحداث وبنية الذاكرة الفلسطينية من خلال كتب الذاكرة، ولذلك لما كان لتلك الحرب التأثيرُ الشاملُ على تلك البنية بخصوص الذاكرة الفلسطينية.[56]

إن قراءة وفهم الخرائط حول القرى الفلسطينية المهجرة أمرٌ لا يمكن الاستغناء عنه بالكتاب في ظل مركزية التهجير القسري الذي حدث للفلسطينيين. لذلك، دعمت ديفيس بعرضها لكتب الذاكرة في افتتاحيتها للكتاب بالخرائط التوضيحية لأماكن القرى المهُجرة. كما ركّزت على كتب الذاكرة التي أعادت تشكيل ماضي القرية الفلسطينية من ناحية المشهد الجغرافي/ الطبيعي سواء من خلال الخرائط، الشعر، الرحلات، خرائط العودة، وذلك من أجل إعادة تشكيل المكان الذي تم تدميره مادياً في أغلب الأحيان.[57] إن الأساليب التي تستخدمها ديفيس في تجميع كتب الذاكرة هي من خلال تصنيفها في فئات حسب نوع تلك الكتب. فعلى سبيل المثال، فئة كتب الذاكرة التي تتمحور حول الهوية والتاريخ، أو فئة كتب تشكيل المشهد، وهكذا. ويجب التنويه أن هذا أيضًا أسلوب مبتكر في كتاب ديفيس يميزه عن الكتب الأخرى.

[54] Ibid, p. 5.
[55] Ibid, p. 23.
[56] Ibid, p. 19-20.
[57] Ibid, p. 151.

تضمّن كتاب تاريخ القرى الفلسطينية العديد من الأسئلة التي حاولت ديفيس الإجابة عليها بطريقة منهجية وعبر أكثر من منظور وزاوية، إذ بدأت تطرح أسئلتها حول الإشكاليات التي تتم مواجهتها في إنجاز كتب الذاكرة، ابتداءً من النشر، إضافة إلى ملفات الأدلة والهدف من كتب الذاكرة. [58] كما تحاول (ديفيس) توضيح بعض الأسئلة المطروحة حول أسباب كتابة كتب الذاكرة؛ منها أن كتب الذاكرة جاءت ردًا على كتب تمت كتابتها عن القرى الفلسطينية المهجرة، لكن ليس من قبل أهل القرية، وإنما أشخاص من خارجها. [59] كذلك، ثمّة تساؤلات معمقة حول بدء كتابة كتب الذاكرة بعد 30 عامًا على النكبة، وليس بشكل مباشر بعد حلولها. [60]

كان لاستغلال الرواية وتسويغها ضرورةٌ حيويةٌ من أجل العمل على إيجاد شكل هوياتي فلسطيني يعتمد في مكوناته الأساسية على الحياة ما قبل عام 1948 ومن ثم مرحلة النكبة التي تعتبر مرحلة مفصلية في تشكيل الهوية الفلسطينية وفي كتب الذاكرة، حيث إن الشكل الهوياتي والمشاركة في صنعه كان أمرًا تشترك فيه كتب الذاكرة ما بين الكتب من داخل فلسطين أو في الشتات خاصة في سوريا، لبنان والأردن. وهذا أمرٌ- بحسب ديفيس- أنتج شكلًا من أشكال الهوية المشتركة في الحيز المكاني الذي يحضر فيه الفلسطينيون على اختلاف أماكنهم وظروفهم، لكون ذلك الشكل اعتمد على نفس المبدأ: دراسة المكان الذي تواجد فيه الفلسطينيون، وهو مكان واحد: الحيز المكاني الفلسطيني الذي تم طردهم وتهجيرهم منه خلال سنوات حرب النكبة.

في استعراض كتاب راشيل ديفيس، لا بد من القول أن الكتاب هو كتاب يتميز بنوعه ضمن الكتب والأبحاث الأخرى، فمثلًا استعرضت روز ماري صايغ، في أبحاثها عن النكبة، أثر الأخيرة على المهجرين، خاصةً من الناحية السوسيولوجية. كما كان هنالك باحثون آخرون في نفس المجال، لكن ما يميز كتاب ديفس عنهم في كونه تتطرق من مستوى وجانب مختلف منهجيًا عمّا ما تم التطرق إليه سابقًا، فالتوجه نحو دراسة كتب الذاكرة هو لمحاولة الوصول إلى أكبر قدر من المصادر والأدبيات التي تناولت القرى الفلسطينية المهجرة ومحاولة تكوين صورة جامعة ومتنوعة، لكن مبنية على أساسات ومعاناة مشتركة متمثلة بالتركيز على بناء الهوية المشتركة، والنكبة، وإعادة إنتاج الحيز وتكوينه، بناءً على استحضار الماضي من خلال الزمن الحاضر، وهذا ما يتميز فيه هذا الكتاب. كان عدم اعتماد الكتاب على كتب النخبة الفلسطينية المثقفة والسياسية خطوة حاولت ديفيس من خلالها الوصول

[58] Ibid, p. 36.
[59] Ibid, p. 94.
[60] Ibid, p.46.

إلى قدر كبير من الواقعية والصدقية، ورسم صورة يكون أصحاب الأرض المهجرة هم الطرف الحقيقي في بنائها، بعيدًا عن صورة مصطنعة يتم رسمها من خارج القرية؛ هذه أيضا خطوة نوعية يُقدم عليها الكتاب.

في دراستها للقرى الفلسطينية المهجرة، أنصفت الرواية الفلسطينية على اعتبار أن صوت كتب الذاكرة كان يتم إيصاله وتصويره بطريقة تأتي للتعبير عنه وتحليله وليس للحكم عليه، فمعظم الأسئلة في كتاب ديفيس تأتي في سياق فهم أكبر لتلك الكتب ومحاولة توضيح الأهداف المشتركة بينها.

الفصل الثاني:

التأريخ الشفهي؛ وسيلة للوصول إلى الممارسات الزراعية الموجودة في صطاف

أولًا: التأريخ الشفهي وسيلة لتوثيق الممارسات الزراعية

تطور مفهوم التاريخ الشفهي تبعًا للفترات والعصور التاريخية، لكن مفهوم التأريخ الشفهي الحالي هو المفهوم المهيمن منذ القرن العشرين، وخاصة النصف الثاني منه، إذ كان للحرب العالمية الثانية الدور الكبير في ظهور وسيلة التأريخ الشفهي كوسيلة بنيوية في كشف آثار الحرب على المجتمعات التي عانت من الحرب وآثارها، خاصة من الزوايا التي يصعب على الوثائق التاريخية التحري عنها أو معالجتها،[61] ومن ذلك في كتابه عرّف آبرامز التأريخ الشفهي بكونه مجموعة من الإجراءات التي يتم فيها تسجيل المقابلات مع أشخاص من أجل استنباط المعلومات منهم حول الماضي. بالتالي يأتي التأريخ الشفهي صنيعة المقابلات، كمجموع السرديات لوقائع الماضي، كما أنه منهجية بحثية (معناه إجراءات من التحقيق) ونتيجة لتلك العملية البحثية.[62]

في دراسته حول التأريخ الشفهي، يقوم بورتيللي بالتشديد على أن وسيلة التأريخ الشفهي لا تقل أهميتها– كأداة تاريخية وتوثيقية– عن الأدوات والوسائل التاريخية الأخرى، خاصة عند التساؤل حول أمور تخص الذاكرة، والسردية ومفهوم الهوية.[63] وبالرغم من الارتباط الوثيق ما بين التاريخ الشفهي والذاكرة الجماعية، لكن في الدراسات الأكاديمية ينبغي التفريق ما بين مفهوم التأريخ الشفهي وما بين الذاكرة الجماعية التي ترتبط مع التأريخ الشفهي في كونه أداةً لتوثيق ودراسة الذاكرة الجماعية كمصدر تاريخي، على الرغم من عدم اعتراف بعض المؤرخين بالذاكرة الجماعية جزءًا من المصادر التاريخية. [64] أما الذاكرة الجماعية فهي مجموعة من السرديات عن تجارب حدثت بالماضي، والتي شكلت كينونة تختص بجماعة معينة، حيث إن هذه التجارب ذات معانٍ وقيمةٍ

---

[61] Alistair Thomson, *Four paradigm transformers in oral history*, (California: University of California Press, 2007), p. 50.

[62] Lynn Abrams, *Oral history theory*, (New York: Routledge Taylor & Francis Group, 2010), p 2-3.

[63] A Dialogical Relationship, an Approach to Oral History Alessandro Portelli, p. 5-7

[64] Chris Weedon and Glenn Jordan, "*Collective memory: theory and politics"*, Social Semiotics, (2012), p 147.

لتلك الجماعة (المجتمع)، وتعمل هذه الجماعة المعينة من خلال المؤسسات والممارسات على تشكيل وإعادة إنتاج "مجتمعات متخيلة" التي تعرّف الأفراد وتعطيهم حسًا من التاريخ، والمكان والانتماء.[65]

لا تشكل الحالة الفلسطينية استثناءً عن القضايا التي يتم توثيقها ودراستها من خلال التأريخ الشفهي، سواء من أجل الحفاظ على الكينونة المفقودة من الهوية المرتبطة بالأرض التي تم تهجير الفلسطينيين منها، أو في المجتمع الذي عانى في الكثير من الزوايا من أثر التهجير، حيث إن دراسات روز ماري صايغ تصب في هذا الاتجاه، سواء في دراساتها حول الفلاحين الفلسطينيين في كتابها "الفلاحون الفلسطينيون: من الثورة إلى الاقتلاع"، أو مقالاتها ودورها الأنثروبولوجي في توثيق الرواية الفلسطينية خاصة النسوية منها. لذلك كان دور التأريخ الشفهي، خاصةً من خلال أهل القرى أنفسهم في كتابتهم التاريخية حول أنفسهم، محاولةً جادً (سواء كانت بشكل عفوي أو منهجي) من أجل إعادة بناء الكيان المفقود وكينونة الهوية الضائعة بين صفحات اللجوء والتشرد في الشتات والمهجر، وهذا الذي أفضى إلى انتشار ظاهرة الكتابة التاريخية، والتي بضمنها التأريخ الشفهي بوصفه وسيلةً أساسيةً في إعادة بناء المخيلة الجماعية لأهل القرية، خاصةً أن جيل النكبة قد تقادم عليه الزمن وأخذت الوفيات بينهم تزداد يومًا بعد يوم.

لا تعد قرية صطاف حالة مستثناة عن حالات القرى الفلسطينية المهجرة الأخرى، فبعد تهجير أهل القرية تشتت العائلات؛ فمنهم من استقر في أقرب مكان من القرية (ذلك من أجل العودة عندما تحين الفرصة لذلك)، ومن لم يستطع توجه إلى مكان أبعد. أكثر الأماكن التي استقر فيها أهل صطاف في داخل حدود فلسطين هي مناطق تقع في قضاء بيت لحم (بيت ساحور ومخيم الدهيشة)، ومدينة أريحا، ومخيم قلنديا (بين مدينة القدس ورام الله). أما أكثر أماكن تواجدهم في خارج فلسطين فهي الأردن (محافظتا عمّان والزرقاء).

تفتقر قرية صطاف إلى وجود كتاب ذكرى يعمل على بناء مخيلة مجتمع القرية من عائلات وعادات اجتماعية كانت موجودة لديهم أو أية أمور أخرى، فعدم وجود كتاب الذكرى يؤدي مع تقادم الزمن إلى تلاشي الرواية، خاصةً مع موت جيل من عاصر

---

[65] تم استعارة مصطلح المجتمعات المتخيلة من كتاب الجماعات المتخيلة (لبنديكت أندرسون).
Benedict Anderson, *Imagined communities: reflections on the origin and spread of Nationalism*, (London: Verso Editions, 1985).

أجواء القرية وكينونة ما قبل النكبة، ويقابل ذلك وجود رواية واحدة حول المكان؛ رواية الصندوق القومي اليهودي حول صطاف. ينبغي القول إنه في هذه الدراسة هناك محاولة لتسجيل وتوثيق المعلومات والمعرفة حول صطاف، فذلك لا يشكل محور الدراسة الرئيسي لكنه يعد أحد أهدافها، أما محورها الأساسي فتهتم الدراسة بتفكيك الممارسات التي شكلت صطاف كمكان له استخدامات مختلفة، تبعًا لاختلاف الممارسات التي تؤثر على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها. في هذه الدراسة، تشكل روايات أهل قرية صطاف جزءًا من الممارسات البنيوية التي ساهمت في صناعة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، من خلال تواجدهم في القرية والعمل الزراعي الذي كان أساس بقائهم فيها (إلى جانب النشاطات الاقتصادية الأخرى)، وبناء جمالية ذات نهج له خصوصية، تبعًا للموقع الجغرافي الذي كانت قرية صطاف متمركزَةً فيه. بالتالي، يشكل التأريخ الشفهي لروايات أهل قرية صطاف المهجرة (خلال المقابلات الشفهية مع من تبقى من الجيل الذي عاش في القرية وتذوق معاناة اللجوء والتهجير سواء كانوا في فلسطين أو خارجها) وسيلةً أساسيةً في تفكيك وقراءة المشهد المهيمن على المكان، وبالتحديد قراءة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها. من خلال روايات التأريخ الشفهي، تتناول الدراسة العديد من الجوانب، خاصة التي لم يتم التركيز عليها في المقابلات التي أجراها مشروع التأريخ الشفوي للقرى الفلسطينية المهجرة، وبالذات في المقابلتين اللتين تم تسجيلهما حول قرية صطاف (كانت مقابلات تتطرق بشكل عام إلى صطاف، وليست متخصصة حول توثيق وتسجيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، لكن تم استخدامها لأنه تم تسجيلها مع أشخاص لم يعودوا على قيد الحياة). ومن الجوانب التي كانت تعيب ذاك المشروع هو تهميش الصوت النسائي وعدم إجراء مقابلات مع نساء من قرية صطاف، لذلك في هذه الدراسة تم بذل جهد كبير بغرض إجراء مقابلات مع نساء قرية صطاف، بهدف التركيز على دور المرأة الفلسطينية في القرية. وقد استطاعت الدراسة إجراء مقابلتين مع نساء القرية. ومن خلالها، ركزت على دورهن الزراعي، وذلك لما يحتويه دورهن من القيام بمهام رئيسية في زراعة الأرض والاعتناء بها، بالإضافة إلى بيعهن للمنتوجات الزراعية في سوق عين كارم وأسواق القدس. أما الأمر الآخر الذي حاولت الدراسة من خلال قيامها بمقابلات التأريخ الشفهي، هو إجراء مقابلات مع عائلات مختلفة، وعدم التركيز على عائلة دون الأخرى (هنالك عائلات من القرية لم يتم إجراء مقابلات معها لعدم القدرة على إيجاد نوع من التواصل معها).

لا يُراد من الدراسة أن توحّد الروايات التي تجمعها من المقابلات الشفهية، بل على العكس من ذلك تشجع الدراسة تناول الروايات باختلافها، حيث تركز على تلك الاختلافات والتناقضات في ما بينها، من أجل تمثيلها بشكلٍ يعكس فسيفسائية مجتمع القرية والهرمية التي شكّلته (بالرغم من وجود تشابه في الكثير من الظروف)، فاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية يعمل

على إيجاد روايات من زوايا وجهات مختلفة، وفي بعض الأحيان متناقضة. أما بخصوص قضية الحنين، تعي الدراسة أن العديد من الدراسات التي اعتمدت بشكلها الكلي أو الجزئي على التاريخ الشفهي كوسيلة من أجل الوصول إلى المعرفة قد هيمن عليها أسلوب الحنين إلى الماضي أو الفردوس المفقود، وهذا بالتحديد ما تحاول الدراسة بمقاربتها النقدية أن تتجنبه، فالهدف الأساسي لها هو تناول جزئية واحدة حول الممارسات التي ساهمت بتشكل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف.

ثانيًا: التأريخ الشفهي حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف

في الذاكرة الحية الموجودة لدى أهل صطاف، لا يزال أهل القرية يعيشون ضمن المشهد الذي كان يطغى على صطاف قبل عام نكبة 1948 سواء كان ذلك في الحياة الاجتماعية لدى أهل القرية، أو المشهد الزراعي من ناحية كيف كانوا يزرعون نباتاتهم ويحصدون محاصيلهم، ومن ثم تبيعها نساؤهم في أسواق القدس، خاصة سوق "محنيه يهودا" بالقرب من شارع يافا. لا يحتاج الشخص إلى بذل الكثير من الجهد في محاولته حثَّ أهل القرية على الحديث عن نمط حياتهم الذي كانوا يعيشونه، حتى ولو أنهم يعيشون الآن خارج القرية نفسها. فصحيح أن وجودهم الفيزيائي اندثر، لكنه لا يزال حاضرًا ومتقدًا في أذهانهم؛ حتى إن استخدامهم صيغة الفعل الحاضر في المقابلات هو دليل على كونهم لا يزالون يعيشون ضمن إطار مشهد القرية من كافة جوانبه، ولو بشكله المتخيل. وهذا ما تيقنت منه الدراسة بعد إجراء باحثها المقابلاتِ مع عددٍ منهم، جميعهم تجاوزوا جيل الثمانين عامًا؛ سواء الذكور أم الإناث، بالإضافة إلى مقابلتين من موقع فلسطين في الذاكرة مع شخصين من صطاف كانا من مواليد عام 1925 وعام 1928. ولا يمكن القول بأن مسألة العمر ومرور الوقت لا تطرح تحديًا بالوصول إلى المعرفة، خاصةً بعد مرور حوالي 70 عامًا على هجرتهم من صطاف، وهذا ما تراعيه الدراسة التي حاولت معالجته من خلال تنويع إجراء المقابلات، سواء كان ذلك بإجراء مقابلات مع أشخاص بأعمار مختلفة، أو أماكن مختلفة كبيت لحم، بيت ساحور، وأريحا (بالإضافة إلى مقابلات من الأردن)، كما تم إجراء مقابلات مع كلا الجنسين، وهذا ما ساعد على تبني الروايات التي كانت مشتركة في أكثر من مقابلة، واستثناء ما هو غير معروف لدى البقية.

في صطاف لم تبدأ حقبة الزراعة فيها منذ الأمس القريب، إنما يتجاوز تاريخ الزراعة فيها آلاف السنوات، حيث ابتدأت منذ العصر النحاسي والعصر البرونزي المبكر، أي حوالي قبل 5000 عام.[66] وهذا ما لا تناقضه الدراسة، بل على العكس من ذلك تقوم الدراسة بالتأكيد عليه، لكن لا يمكن تجاهل التغييرات والتحولات التي طرأت على منهجية وطرق الزراعة التي كانت موجودة في صطاف، إضافة إلى أنواع النباتات فيها التي تأثرت بفعل تلك التغييرات والتطورات التي طرأت عليها. من هذا المنطلق، ترغب الدراسة بتسليط الضوء على جزئية معينة ومحددة من تاريخ المشهد الزراعي الموجود في صطاف؛ وهي جزئية المشهد الزراعي الذي كان في صطاف خلال الفترة الانتدابية على فلسطين (1921-1948)، وذلك من منظور أهل قرية صطاف أنفسهم الذين بقوا فيها حتى عام 1948. هنالك العديد من المظاهر التي تشكل وترسم المشهد الزراعي في تلك الفترة، والتي لا بد من دراستها منها: أنواع الزراعة والمنتجات الزراعية التي كانت، السلاسل الحجرية وبستان صطاف، البرك وقنوات الماء.

تتعدد الروايات بين أهل القرية، وذلك مراعاةً للاختلافات التي تظهر في داخل أي مجتمع، وإن كان مجتمعًا قرويًا صغيرًا، مثل المجتمع الذي لم يبلغ تعداده أكثر من 620 نسمة[67] يعيشون على مساحة صغيرة ومغلقة، والمشهد الزراعي فيه ليس خارجًا عن بوتقة الاختلاف والتعددية الموجودة كممارسات على الأرض. ومن هذه الممارسات تبرز رواية سكان صطاف عن ذاتهم ضمن المشهد الزراعي الذي عاشوا فيه كما يرونه هم. أسماء الذين تمت مقابلتهم: السيد شعبان الفتياني: يبلغ من العمر 82 عامًا ويعيش بمدينة أريحا، السيدة عزيزة حسين: تبلغ من العمر 82 عامًا وتعيش في مخيم الدهيشة بمدينة بيت لحم، السيد عوض عبد الكريم سلامة: يبلغ من العمر 82 عامًا ويعيش في مخيم الدهيشة بمدينة بيت لحم، السيدة ثريا أحمد عبد النبي: تبلغ من العمر 80 عامًا وتعيش في بلدة بيت ساحور، السيد محمد عبد الهادي شعلان: يبلغ من العمر 80 عامًا ويعيش في بلدة بيت ساحور. أما أسماء الذين تمت مقابلتهم من قبل مشروع التاريخ الشفهي في الأردن حول القرى الفلسطينية المهجرة هم: السيد إسماعيل عبيد الله (مواليد سنة 1925)، السيد يوسف كنعان (مواليد سنة 1928). ثمّة مقابلة كتابية أخرى تم إجراؤها مع عبد اللطيف رشيد الفتياني (يبلغ من العمر 88 عامًا) بمساعدة طه الفتياني.

أهل صطاف يعيدون تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قريتهم

[66] Shimon Gibson, Bridget Ibbs & Amos Klone, "The Sataf Project of Landscape Archaeology in the Judaean Hills: A Preliminary Report on Four Seasons of Survey and Excavation (1987–89)," the Journal of the Council for British Research in the Levant 23", (1991), p. 50-51.

[67] مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، صفحة 630.

في بداية التطرق لروايات أهل قرية صطاف التي تكمن، من خلالها، محاولة إعادة رسم المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في القرية، لا بد من التوضيح- ولو بشكل مقتضب- شكل ملكية الأراضي الزراعية في صطاف (يتم التوسع بمسألة الملكية في صطاف خلال الفصل الحالي)، لكون عامل الملكية كان عاملًا مؤثرًا على شكل النشاط الاقتصادي للعائلة، وذلك من ناحية أن طبيعة الأرض في صطاف تنقسم إلى أراضٍ بعليةٍ وهي أغلب مساحة الأراضي الزراعية، وأراضٍ مرويةٍ خصبة موجودة إلى جانب ينابيع وبرك الماء في صطاف، لكن مساحتها قليلة. يؤثر تقسيم الأراضي على نوعية المزروعات التي تتم الزراعة فيها. ومن خلال ذلك، تتم زراعة الأراضي المروية على طول الفصول، ما تشكل عائدًا اقتصاديًا هامًا لمن يمتلكها، أما الأراضي البعلية فهي ذات زراعة موسمية.

لا يكف السيد شعبان الفتياني عن المحاولة في تذكر طفولته التي قضاها بين أحضان قرية صطاف. وعلى الرغم من كونه غريبًا بأصله عن قرية صطاف، لكنه يعتبر نفسه جزءًا لا يمكن فصله عن المشهد في صطاف لأسباب عديدة؛ من أهمها- بحسب رأيه- أنه وُلد وترعرع فيها مثله مثل أي طفل آخر بالقرية، وتعلم في مدرستها التي لم يمضِ على بنائها سوى عامين، وقد كانت هذه المدرسة مشتركة مع القرية الملاصقة لصطاف؛ وهي قرية خربة اللوز (لعل ذلك أحد الأسباب الذي دفع الانتداب البريطاني إلى جعل المدرسة على قمة الجبل، بينما القرية كانت في منتصفه). لا يشعر السيد شعبان بكونه غريبًا لأنه زرع بيديه أيضًا في حقول القرية، خاصة وادي "الشمالية" كما يسميه هو وسائر أهل القرية، كما كانت أمه من قرية ليست بعيدة عنهم، وهي قرية صوبا إلى الشمال من قرية صطاف، بالتالي لم يتم اعتبار أمه غريبة عن المجتمع في صطاف، فكل هذه العوامل جعلت ذاكرة السيد شعبان تبني وتعبّر عن مخيلة مشتركة مع باقي مجتمع القرية ويعبر عن انتمائه إلى ذلك المجتمع الصغير في حينه.[68]

بشكل عام، كان لعائلة الفتياني أراضٍ قد تملكوها في صطاف، سواء كانت من أجل بناء البيوت أو للزراعة، لكن لم يكن لعائلة الفتياني بشكل عام، وعائلة الحاج شعبان الفتياني بشكل خاص أيٌّ من الأراضي الموجودة في بساتين صطاف، أو كما يسميها أهل القرية "الجنان"، وذلك بسبب التركيبة الاجتماعية الموجودة، من ناحية أن الأراضي الموجودة في البساتين هي حكرٌ على عائلات محددة فقط لعدة عوامل؛ أهمها الأسبقية في الوجود وعدم بيعها لتشكيلها عائدًا اقتصاديًا مهمًا لمن يملك الأرض فيها.

[68] السيد شعبان شاكر رشيد عبد الرزاق الفتياني: هو من مواليد قرية صطاف عام 1936، وكانت والدته من قرية صوبا، أما أصول عائلته تعود لمدينة القدس والتي سكنت قرية صطاف خلال القرن التاسع عشر. بتاريخ 25 كانون الأول 2017 تم عمل مقابلة مع الحاج شعبان في مدينة أريحا حيث يسكن حاليًا بعد نزوح عائلته عن قرية صطاف عام 1948.

وبما أن عائلة الفتياني لم تأتِ إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فلم يكن هناك مجالٌ للحصول على جزء من هذه البساتين. سكنت عائلة الفتياني القرية واعتبرت نفسها جزءًا من النسيج الاجتماعي الموجود في صطاف، لكن من ناحية تملك الأراضي كانت هناك عائلات مهيمنة التي وصل عددٌ من أفرادها إلى منصب المختار في القرية. فعلى حد قول السيد إسماعيل عبيد الله، كان هنالك عددٌ من العائلات التي لا تنحدر من صطاف، لكنها سكنت القرية مع عدم تملكها، لكن في الوقت عينه، كان أهل القرية متقبلين لوجودهم، فيقول:

كانت هناك عائلات مثل دار المشايخ، هذول إلى بقلك عنهن العائلات الصغيرة الي كان أصلهن من القدس هم ودار عبد الرزاق (الفتياني) وأجوا عنا بالبلد وعاشوا عنا بالبلد. والله بحياة أبوي كان يقلي (يقول لي) خذ هالباذنجانات لحياة عمك رشيد (أبو شاكر)، شوية باذنجان وشوية خيار، هم مش ملاكين بس كانوا يكرموهم أهل البلد. كانوا في حالهم ما يتدخلوش، ختيارهم (الرجل الكبير في عائلة عبد الرزاق) كان في ساحة البلد معزز مكرم.

ويكمل السيد إسماعيل في شرحه عن ملكية الأرض، بقوله: **"في كثير عائلات ما عندهنش زيتون ولا أراضي، جماعة عايشين على الشغل مع الناس وفي الورشات (يقصد هنا أفراد من العائلات كافة)"**. وبحسب ادعائه، كان لوالده قطع أراضٍ موجودة في البساتين (الجنان). [69]

ومن العائلات التي امتلكت مساحة كبيرة من البساتين كانت عائلة حسين، بحسب ادعاء السيدة عزيزة حسين التي تقول:

أبوي أنا كان عنده أرض أكثر، في ناس ما إلهنش (ليس لديهم) ولا حبلة (يتم تقسيم البساتين من خلال مصاطب وسلاسل حجرية تُسمى حبلات)، يعني قد "طاولة" ما إلهنش بالجنان (البساتين)، ولا إشي قليل جدّا لأن هذه الأرض مش كثيرة كثير (قليلة). دار عمي صالح إلهن حبلة، كان قليل للناس، بس إنا! حبلة مسلم إنا اشترياه من الذهب، ما أدري دهب فرنسي ولا رشادي (عثماني)، خضر محمد حسين هو كان إله أكثر جانين من غيره بالرغم من أنهم (البساتين) مش كثير. الناس كانوا ميتين على الجنان (كانوا يريدونها بشدة).[70]

قام السيد شعبان الفتياني بالتعليق على ملكية تلك البساتين بقوله:

[69] السيد إسماعيل العبد عبيد الله: في عام 1925 وُلد الحاج إسماعيل في قرية صطاف قضاء القدس والذي عاش فيها حتى عام 1948 عندما تم طرده هو وأسرته مثل باقي الأسر والعائلات من القرية بعد احتلال القرية من قبل الجيش الإسرائيلي بتاريخ 13 تموز 1948. تم إجراء المقابلة مع الحاج إسماعيل في الأردن بتاريخ 21 حزيران 2007 من قبل مدير مشروع التاريخ الشفوي في الأردن ركان محمود.

[70] السيدة عزيزة خضر محمد حسين: من مواليد قرية صطاف عام 1936. تم إجراء المقابلة بتاريخ 1 كانون الثاني 2018.

الجناين هذه الي بقول إلك عنها كانت من البركة للواد كانوا عائلات قلال في البلد الي الهم (بمتلكوها)، كانوا يلقطوهم (يجمعوا المنتوجات) ونسوانهم يروحوا من الفجر يلقطوا على قدح (وعاء لحمل الخضار) وزنه يكون حوالي 25 كغم تحمله المرأة من صطاف إلى القدس ويروحوا مشي لأنو الباص كان إله مواعيد وبالأخير كانوا يركبوا بالترك (شاحنة). هذه الحواكير (البساتين) كانت صغيرة وضيقة مش أكثر من ثلاثة أمتار لكل حاكورة.

يقودنا هذا التقديم حول ملكية الأرض في صطاف، وبشكل خاص ملكية أرض البستان (الجنان)، إلى الحديث حول ماهية المشهد المهيمن على قرية صطاف ما قبل النكبة. كيف كان ينظر أهل القرية إلى قريتهم، من منظور دورها كمكان زراعي؟ نظر سكان القرية إلى هذا الدور على أنه أحد سلال الغذاء لمدينة القدس، إضافة إلى كون قريتهم تمثّل إحدى الجماليات الطبيعية الموجودة في جبال القدس، التي تتخللها ينابيع الماء والبرك الرومانية فيها.

ليست المسألة شعورًا بالتفوق أو العظمة أو قضيةَ فخرٍ، بل على النقيض من ذلك، إذ إنّ روايات أهل قرية صطاف عن قريتهم وطرق معيشتهم فيها نبعت من رغبتهم في العودة إليها وإعادة بناء المشهد الذي كانوا يشغلونه، لكن ليس جلُّ اهتمام هذه الدراسة عرضَ تلك المشاعر والذكريات، بقدر استعراض المشهد ذاته، لكون أهل القرية كانوا عاملًا بنيويًا وجزءًا من الممارسات التي شكلت المشهد في قرية صطاف.

التقسيمات الزراعية في القرى الفلسطينية: ما بين الجِدر والمدرجات الزراعية

ثمّة أنواعٌ متعددةٌ من الزراعة في القرى الفلسطينية، والتي لا تقتصر على نوع أو وسيلة واحدة. لذلك في هذه الجزئية، تركز الدراسة على أنواع الزراعة الموجودة في قرية صطاف من ناحية مكان الزراعة، فهنالك الزراعة الموجودة في داخل القرية أو التي لا تبعد عنها كثيرًا، وثمة زراعة متوفرة خارج مسطح البناء في القرية وبعيدة عن مركز القرية. لا بد للدراسة أن توضّح المفاهيم المتمحورة حول أنواع الزراعة المتوفرة في صطاف، قبل أن تسهب سردية سكان صطاف في رسم المكان من خلال الممارسات التي كانوا يؤدونها، والتي تحاول الإجابة على أسئلة تخص الأماكن التي كانت تتواجد فيها الزراعة في قرية صطاف، وما هي الفروق بينها.

الجدر كلمة تعكس مفهومًا يعبر عن منطقة الحواكير لأية قرية، والحاكورة من الحكر أي الحد، وفي كثير من الأحيان شمل الجِدر البيادر والبركة ومقبرة البلد. تكمن أهمية الجِدر في كونه قريبًا من منازل القرية، وبالتالي قريبٌ من إسطبلات الحيوانات، ما جعل الأرض فيه أكثر إنتاجيةً من الناحية الزراعية بسبب ذلك (إلى جانب عامل حيوي، وهو عامل المياه)، إذ أصبحت زراعته تتم طوال العام. لا تتجاوز أبعد قسيمة زراعية من مركز القرية الكيلومتر الواحد. في كثير من الأحيان، يعبر قرب المسافة بين الجِدر

وبيوت القرية عن تداخل في ما بينها، لكن لا تصل إلى درجة الازدحام، لكون البيوت المحيطة بالجِدر تكون متفرقة ومحاطة بالبساتين.[71] أما الأراضي الزراعية الموجودة خارج القرية، فتسمّيها الدراسة "المدرجات الزراعية" من أجل التفريق بينها وبين الجِدر الموجود داخل حدود القرية، لكن ما هي الفروقات بين الجِدر والمدرجات الزراعية؟ هذا ما تحاول الدراسة توضيحه.

الجِدر هو مفهومٌ قريبٌ للمدرجات الزراعية من ناحيته الوظيفية، لكن ثمّة اختلافات في ما بين المفهومين. وتتمحور هذه الاختلافات حول المبنى نفسه (من ناحية الشكل، الطول والعرض)، ومساحة الأرض الزراعية، ونوعية الملكية، ونوعية الأرض الزراعية (في بعض الأحيان) والمزروعات، ووجود القصور الزراعية. المدرجات الزراعية هو مفهوم أوسع وأشمل من مفهوم الجِدر (القسائم الزراعية أو الحبلات الزراعية)، فمن ناحية المبنى تكون المدرجات الزراعية ذات طول ممتد مقارنة مع الجِدر. مع محاولة المدرجات الزراعية للتماهي مع الطبيعة الطبوغرافية للجبل، ليس ثمّة محاولة لتغيير تلك الطبيعة الطبوغرافية، إذ في غالب الأحيان تتماشى مع الالتواءات الجبلية (إذا كانت موجودة وهي كذلك في الكثير من المواقع). أما الجِدر بسبب قصر عرضها وطولها، فهي– في غالب الأمر– تكون شبه مستقيمة، ولا تتم رؤية الانحناءات فيها كثيرًا على غرار الدرجات الزراعية. إن المساحة التي تغطيها المدرجات الزراعية هي مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الجبلية مثل قرية صطاف، لكن بالمقابل يغطي الجِدر مساحة صغيرة من مساحة القرية الإجمالية لا تتجاوز 4% خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (بالرغم من مساحته الصغيرة، إلا أن انتاجيته الزراعية مرتفعة).[72] من حيث عامل الملكية، ثمة اختلافٌ واضحٌ ما بين المدرجات الزراعية والجِدر الزراعي. فبحسب نظام الملكية المطبق في فلسطين خلال الحقبة العثمانية ومن بعدها خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، هناك عدة فئات توضح طبيعة ملكية الأرض، لكن ما يهم الدراسة هنا فئتان، هما: فئة الملك وفئة الميري. تتوفر أغلب أراضي الملك ضمن نطاق المراكز العمرانية والبلدات، أما فئة الميري فتتواجد في المناطق المحيطة لتلك البلدات والتي تتوفّر فيها الحق بفلاحتها وزراعتها ضمن شروط معينة يحددها القانون سواء العثماني أو التعديل البريطاني عليه.[73] وبذلك، يكون الجِدر ضمن فئة الملك من نظام الملكية للأرض، أما المدرجات الزراعية التي تقع خارج القرية وتبعد عنها، فهي تقع في غالبيتها الساحقة ضمن فئة الميري من الأرض. في أراضي المدرجات الزراعية، لا توجد تعقيدات جمة حول نظام الملكية لاتساع مساحة الأراضي وكفايتها لسكان القرية، بينما هذا

[71] شكري عرّاف، القرية العربية الفلسطينية " مبنى واستعمالات الأراضي"، الطبعة الثالثة. (معليا: دار نشر إلى العمق، 1996)، صفحة 85-89.
[72] مصدر سبق ذكره، 85-89.

[73] Ahmad Amara, "*The Negev Land Question between Denial and Recognition*", Journal of Palestine Studies, (2013), p 32.

على النقيض من الجدِر الذي تعتريه التعقيدات الكثيرة لعاملين، وهما: المساحة الصغيرة التي يغطيها، أما العامل الثاني فهو عدم كفايتها لجميع أهل القرية، ما طرح العديد من الإشكاليات حولها وتشابك الملكية داخل الجِدر الواحد، إذ إن هناك بعض أراضي الجِدر (القسائم الزراعية، الحبلات الزراعية) التي يتشاركها سكان القرية، وكان يتم ذلك عبر التوافق على نظام الحصص أو الأسهم، فلكل مجموعة من الأشخاص أسهمٌ في جِدر معين يتقاسمونه فيما بينهم، كون امتلاك حصة أو أسهم في جدر معين يعني الاكتفاء الذاتي من الخضراوات والفاكهة، بل بيعه وتصديره إلى باقي سكان القرية أو حتى خارجها. لذلك، من كانت لديه القوة المادية الكافية في القدرة على شراء أسهم غيره أو حتى أجزاء من الحصة "قراريط" (إذا قبل أن يبيع بالمقام الأول)، كان يحاول شراء تلك الحصص.

كانت الزراعة في المدرجات الزراعية، غالبًا، تأخذ شكل الزراعة البعلية من ناحية الري. وبذلك، تتواجد فيها وعلى نطاق واسع الأشجار المعمرة والكروم مثل كروم العنب، والزيتون والتين، عدا عن اللوزيات وأشجار الخوخ والبرقوق لعدة عوامل؛ أهمها: صعوبة نقل المياه إلى المدرجات الزراعية، نظرًا لبعد المسافة بينها وبين مصادر المياه التي عادةً ما تكون بمركز القرية أو قريبة منها. بالإضافة إلى ذلك، هناك مساحة الأراضي الزراعية التي تغطي حيزًا أكبر. بالتالي، تتوفّر إمكانية أكبر في زراعة أشجار كبيرة وعلى نطاق واسع، دون الحاجة إلى المياه المروية، بل البعلية تكفي لكون الأشجار فيها هي أشجار موسمية فصلية. ثمّة أيضاً عامل آخر، وهو عامل التربة، على اعتبار أن المدرجات الزراعية هي أراضٍ بعلية، وبالتالي غالبًا هي تربة بعيدة عن التلوث، وتكون من نوع تيرا روزا. وفي هذا النوع من التربة، يُفضل زرع الأشجار المعمرة والكروم مثل الزيتون، أو العنب واللوزيات. في الجِدر الوضع مختلف، فالزراعة هي مروية تعتمد على مصادر المياه الموجودة في القرية لقربها منه، ويمكن أن تكون مرتبطة بقنوات للري (تبعًا لكل قرية وما مدى توفر مصادر المياه فيها). أما من ناحية المزروعات التي تكون فيها، فهي في أغلبها مزروعات من الخضراوات والفواكه التي تحتاجها العائلة لحياتها اليومية، لذلك تزرعها من أجل توفير نوع من الاكتفاء الذاتي في حاجاتها اليومية من بصل، بندورة، بطاطا، خيار، كما يتم استغلال كل سنتمتر مربع فيها حتى الحافة من الحبلة الزراعية. الزراعة هنا هي زراعة تنشط على مدار العام، لذلك تدر فائدة أكبر لصاحبها من ناحية تلبية احتياجاته الشخصية، عدا عن الفائدة الاقتصادية في بيع المنتوجات

الزراعية. بخصوص عامل التربة، في أغلب المناطق تكون تربة الجِدر هي تربة رسوبية بيضاء من الحوّر ،لكن بسبب قربها من زرائب الحيوانات، إضافة إلى الحرق في الجِدر، يصبح لونها مع الزمن تربة سوداء خاصة مع تعفن التربة وتحولها إلى دُبال.[74]

ثمّة عامل أخير، وهو وجود القصر الزراعي والمنطار اللذين يعتبران نوعًا من أنواع العمائر الزراعية التي تم بناؤها من الحجارة الطبيعية غير المنتظمة أو غير المهذبة، إذ تم جمعها من الحقول خلال عملية استصلاح الأرض وتنظيف التربة من أجل حراثتها وزراعتها. أما وظيفتها، فتقتصر على مواسم معينة، خاصة موسمي التين والعنب. وتعتبر هذه المسألة أحد أسباب اقتصارها جغرافيًا على المناطق التي تشتهر بزراعة التين والعنب. [75] توجد المناطير والقصور في الأراضي الخارجة عن حدود القرية، إذ إنها الأبنية الوحيدة التي كان يُسمح ببنائها خارج حدود القرية، خلال الفترة العثمانية. بالتالي، يكثر وجودها في المدرجات/ المصاطب الزراعية وليس في الجدر[76]

في قرية صطاف لا يختلف الحال كثيرًا عما هو عليه (أو كيف كان الحال خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين) من التقسيمات ما بين أراضي الجِدر والأراضي الزراعية الأخرى؛ لا سيما الأراضي الموجودة في المدرجات الزراعية، فهنالك ثلاثة تقسيمات للقرية: نواة القرية، جِدر القرية، البيدر.

تقسيمات قرية صطاف الزراعية في رواية أهل القرية

لم تكن تختلف قرية صطاف بتقسيماتها عن القرى الفلسطينية الأخرى، خاصة في القرى المحيطة فيها، فغالب القرى الفلسطينية كانت تتشابه من ناحية العوامل البشرية المؤثرة عليها، مثل: عامل الملكية، والتي كانت جزءًا لا يتجزأ من تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها. أما العوامل الطبيعية مثل عامل تواجد المياه والتربة، فالاختلاف بينها حاضرٌ ومتفاوتٌ بين القرية والأخرى، تبعًا لموقعها الجغرافي والطبوغرافي.

في صطاف، كان الجزء الساحق من مساحة الأرض الزراعية يعتمد على وجود المدرجات الزراعية التي يطغى عليها الزراعة البعلية. لكن بالمقابل، كان هناك جزءٌ صغيرٌ من الأراضي الزراعية من أراضي الجِدر، خاصةً في بستان صطاف (الجنان كما يسميها أهل

---

[74] شكري عرّاف، القرية العربية الفلسطينية، صفحة 85.

[75] سعاد العامري، فراس رحال، مناطير قصور المزارع في ريف فلسطين، (رام الله: مركز المعمار الشعبي- رواق، 2003)، صفحة 15-16.

[76] مصدر سبق ذكره، صفحة 21.

القرية). في رواية شعبان الفتياني حول ماهية أنواع الزراعة في صطاف، يحاول الإجابة على ذلك بشرحه عن المكان الذي مارس الزراعة فيه؛ وهذا المكان يُسمى بوادي الشمالية أو وادي صطاف:

"في الواد هذا كان كله (وادي صوبا أو وادي الشمالية) موارس، حبايل مجزأه لفلان وفلان وبين كل حصة أرباع (مقسمة إلى مربعات) مقسمة بسلسلة حجرية. هذول الحجار كنا نطلعهن من الأرض وين نروح فيهن، كنا نطلعهن ونسوي السلسلة على الحدود. اليهود بالجرافات مسحوا كل المعلومات هذه (دمروا هذه الجزئية من المشهد) وسوّوها (قاموا) أرض وحدة. زرعوا (اليهود بحسب قوله) فيها التفاح هلقد كل حبة (التفاح من الحجم الكبير)"

ثمّة نقطة يجب التوقف عندها، وهي حول خصائص تقسيم أراضي وادي صوبا، فبالرغم من كون هذه الأرض الزراعية بعيدة نسبيّا عن مركز القرية أو حتى الأراضي المحيطة فيه، إلا أنها تميزت بوجود التقاسيم الموجودة لدى أراضي الجدر، التي عادةً ما تكون إلى جانب مركز القرية أو أبعد قليلًا. وهنا يتم طرح التساؤلات حول مدى صحة ادعاءات شعبان الفتياني بخصوص تقسيمات وادي صوبا.

يمكن الإجابة على هذه التساؤلات حول وادي صوبا، بالاستعانة برواية عزيزة خضر حسين: **"هذا الوادي لعمتي زنك، لدار الحج إسماعيل، موجود بالواد وفي هناك نبع اسمه المربعة هناك، هناك كنت أرعى بالعبران (الماشية) مغلوب علي من لما كنت سبع سنين"**. وفي رواية عوض عبد الكريم سلامة **"بقي هناك تين، عنب وتفاح ملان (كثير)، بقي لدار عمتي ملان"**.[77] من خلال التصور الذي رسمه كل من عزيزة حسين وعوض سلامة، يمكن الاستهداء بصحة جزئية لرواية شعبان الفتياني حول وادي صوبا. وتكمن صحة حديثه حول وجود تقسيمات ما يشبه بالجِدر، لكون الملكية لأكثر من شخص في ذات المكان، إضافة إلى وجود مصدر للمياه، وهو نبع المربعة تبَّعا لقول عزيزة حسين. لكن بخصوص أن التفاح كان فقط بعد تجريف أراضي الوادي كإحدى تبعات النكبة، يجب التعمق بالموضوع أكثر لفحص هذا الادعاء، ولذلك لكون عوض عبد الكريم (هو وشعبان الفتياني بنفس الجيل العمري) يدعي وجود كروم من التين، والعنب والتفاح أيضًا في هذا الوادي.

إلى الجهة الغربية من مركز القرية (بالقرب من سفح الجبل)، ثمّة مساحات زراعية تُسمى القنطرة، هذا المكان يتميز بارتفاعه عن المناطق المبنية في صطاف. الكروم كانت إحدى ركائزه الأساسية، كما يقول عوض عبد الكريم سلامة: **"القنطرة بقي تشرم (كرم) لخالي مطرح (مكان) ما هو محطوط (متواجد) المطعم (في الوقت الحالي بأعلى الجبل يوجد مطعم صغير)، تشرم (كرم)**

[77] السيد عوض عبد الكريم سلامة: من مواليد قرية صطاف عام 1936. تم إجراء المقابلة بتاريخ 1 كانون الثاني 2018 بمخيم الدهيشة.

لخالي أخو أمي، محمد عبد الغفور، بقي هناك في التشرم (الكرم) هذا". على النقيض من وادي صوبا (تابع لصطاف)، فإن الملكية في الجبل تزداد فيها حصة الشخص الواحد لتتجاوز ما يملكه مجموع من المزارعين في الوادي. وهذا يُستمد من حديث عوض سلامة الذي امتلك خاله كرمًا كاملًا، لكن سلامة لم يحدد بالضبط ما مساحة ملكية خاله هناك لسببين: إما لعدم معرفته حقًا، أو نظرًا لكون الحديث عن الملكية في الأرض البعلية البعيدة عن مركز القرية، لا يستدعي أهمية للتحديد الدقيق لمساحة الأرض الموجودة في المدرجات الزراعية، بقدر أهمية التصريح الدقيق عن ذلك في أرض الجِدر التي يتم تسمية أملاك كل شخص فيها بقول كلمة حبايل ومن ثم اسم الشخص، مثل حبايل سالم وهكذا (بسبب محدودية الأرض فيها).

عند الحديث عن الأملاك للأراضي الزراعية، ثمّة نهج متبع في الحديث عما يوجد لكل شخص من أنواع الثمار أو أسم المنطقة فقط، وهذا ما حدث مع إسماعيل عبيد الله: "**أول شي بدي أحكي إلك عن الأملاك إلي في البلد: الحريقة، شعب داود، حبايل سالم، القاطع، زرب النمر، حبايل اللوزية، حبايل البلد، كرم العين، الشمالية، شعب نجدا، كرنة أبو غريّب، كرنة الشمال**". المهم، هنا، وجود الأرض وما هي الثمار التي يتم زراعتها في تلك الأرض، أما المساحة فهي تقديرية خاصة الأراضي التي تكون خارج القرية، بسبب الطبيعة التشاركية بين العائلة الممتدة وتداخل الملكية فيما بينها.

الزراعة البعلية أساس منتجات القرية الزراعية

إن المناطق التي تقع فوق (شمال وغرب) منابع وبرك المياه كانت تتم زراعتها بالأشجار المثمرة من خلال الزراعة البعلية، أما أسفل منابع وبرك المياه (شرق) فكانت الزراعة فيها مروية، والأراضي مخصص في أغلبها للنباتات الحولية. وهذا بالتحديد ما يتحدث عنه السيد شعبان الفتياني حول هذا التقسيم الجغرافي لأراضي القرية بقوله "**البعلي كان فوق العين والمروي تحت**". [78]

على الرغم من كون الزراعة في صطاف غالبها زراعة موجودة في منطقة جبلية وذات مناخ جبلي يُعتمد فيها على مياه الأمطار، إلا أنه لا يمكن تجاهل التنوع في أساليب الزراعة التي كانت تُمارس، إذ كانت الزراعة موجودة في المناطق البعيدة عن وسط القرية؛ أي في المرتفعات والمناطق البعيدة عن مصادر المياه الموجودة في مركز القرية، كما كانت أيضًا في وسط القرية. بحسب مصادر المياه والطبيعة الطبوغرافية لصطاف، هنالك تقسيم للأراضي من حيث (طبيعة) الأشجار المزروعة وطرق الري لها. لأسباب عديدة أهمها الطبيعة الجبلية لصطاف، كانت الزراعة البعلية متوفرة في معظم أنحاء القرية (بالرغم من توفر المياه بكثرة في صطاف)، وقد تنوعت الزراعة البعلية من ناحية موقع زراعتها في أنحاء القرية، إضافة إلى تنوع منتوجاتها الزراعية، حيث إن هناك العديد من

.

الأشجار التي كان قد زرعها أهل قرية صطاف واعتنوا بها أيضًا. لقد كانت صطاف قرية زراعية بامتياز، كما يصفها السيد إسماعيل العبد عبيد الله الذي بدأ سرديته حول المشهد الزراعي في قريته إبان الفترة الانتدابية على فلسطين "**عنا من العنب للتفاح والتين موجود، من جميع أنواع الفواكه موجود عنا، إحنا زراعيين!!**". فإلى جانب اعتزازه بما كان أهل قريته يتميزون في زراعته وبيعه في الأسواق، كانت لا تفارقه قوة الحديث بصيغة الحاضر عند حديثه عن ماضي القرية (هو من مواليد عام 1925) "**عنا تفاح من جميع الأصناف، خوخ من جميع الأصناف، دراق من جميع الأصناف**". وعند سؤاله عمّا غير المتوفر من المنتوجات الزراعية في صطاف، فيقول: " **القمح والشعير ما كان عنا، ما فش عنا أراضي سهلية، إلى عنده هيذه أبو خمسة دونمات– عشرة دونمات بس كان يزرعهن، كل تموينا كان من بيت محسير**"، لكن أغلب الناس كانوا يشترون الطحين من عين كارم "**غالب الناس يشتروا طحين، من عين تشارم (عين كارم)، عين تشارم هذولة تجار كبار ومتوفر عندهم كل إشي (شيء)**". ومن تلك الأشجار التي كانت تُزرع، تبعًا لأهل صطاف، أشجار الزيتون، فمنه ما قد تمت زراعته قديمًا، ومنه ما هو جديد (تمت زراعته خلال الفترة الانتدابية). يقول السيد إسماعيل "**الزيتون مزروع قديم وبعدين زرعوا جديد الناس**"، أما السيد يوسف كنعان فيكمل على رواية السيد إسماعيل عن أشجار الزيتون، لكنه يؤكد أن محصول الزيتون يكفي فقط قرية صطاف "**الي كان عنه كان يكفي نفسه، يعني زتون (زيتون) تسوي وتبيع ما فش (لا يوجد)**". لقد كان في صطاف معصرة زيتون رومانية مكونة من حجر دائري كبير يجره الحمار، إذ كان استخدامها لكافة عائلات القرية، لكن كانت هناك جهة واحدة مسؤولة عنها، وأفرادها هم: "**صالح رشيد، عبد عثمان، صالح عبد الله وعبد عبد الله**"، كما سماهم السيد يوسف كنعان ويضيف عليهم السيد إسماعيل عبيد الله "**كانت المعصرة إلنا، لدار حسن ودار وقّاد وهي معصرة وحدة مقسمة لأسهم**". يتحدث السيد شعبان الفتياني عن معصرة الزيتون، والتي بحسب قوله اسمها (البد) "**كان في عنا البد، معصرة زيتون من حجر، هاي روماني مش البلد بنته، وكان بغل يجر الحجر هاظه (هذا) وهي لكل أهل البلد الي كانوا يعصروا فيها وكان ينزل الزيت بالبير (البئر)**".

في صطاف، كانت أشجار التين حاضرة، حيث يركز الحاج شعبان على أشجار التين التي كانت حاضرة قبل تهجيرهم من القرية، حتى إنها كانت تُلقب بأشجار التين الروماني. لكن حقيقة الأمر لا يُعرف إذا كان لقب هذه الأشجار بالتين الروماني عائدًا إلى الحقبة الرومانية (هذا يحتاج إلى فحص لما يحتاجه التين من عناية أكبر من أشجار أخرى مثل الزيتون)، أو فقط لأن أهل قرية صطاف يربطون أغلب الأمور في القرية بالحقبة الرومانية مثل البرك الرومانية، القنوات الرومانية، زيتون روماني "**التين إلي كان إلنا**

لقيناه رايح، التين الروماني". وبحسب الحاج شعبان، كانت تتمّ زراعة التين الروماني فوق البركة بالقرب من بستان صطاف أو إلى الجنوب منه.

لم تكن أشجار الزيتون أو أشجار التين الروماني وحدها هي المزروعة في صطاف، حيث كانت هناك عدة أصناف أخرى من الأشجار المثمرة في القرية، فكانت هناك أشجار اللوز المنتشرة في كافة أنحاء القرية؛ أي أنها كانت متفرقة كما يقول السيد شعبان الفتياني **"وين ما كان في لوزيات"**. كما كان هناك بعض أشجار الرمّان التي كانت في القسم السفلي من القرية أسفل البرك الرومانية، لكن أشجار الرمّان لم تكن متوفرة بكثرة **"في رمّان آه، تحت البركة كان في شجر رمّان"**. وبالرغم من أن الأشجار المثمرة، خاصة أشجار الفاكهة، كانت ذات سيرورة وموجودة منذ القدم، إلا أنه كان ثمّة توجه لدى سكان القرية في صطاف نحو زيادة مساحة الأراضي المشجرة من أجل زيادة المحصول الإنتاجي، ومن ثم بيعه في مدينة القدس، وذلك على حساب الأنواع الأخرى من المزروعات مثل المزروعات المروية، وهذا الذي تحدث عنه السيد يوسف كنعان **"صاروا يزرعوا عنب وخوخ وتفاح وزتون (زيتون)، هلكيت كلها هذي (هذه) انتشرت في البلد (الفواكه). صار إلي عنده شجرية، كل واحد عنده أرض الأكثرية صار يزرعها شجر. يعني الواحد صار طول السنة وهو شغال بالبيع"**. [79] كانت كروم العنب تتربع في زراعتها على كثير من مسطحات أراضي القرية، حيث كان لوالد يوسف كنعان لوحده 16 دونمًا من كروم العنب **"كان عنا حوالي خمس أيام حراثة للعنب، يعني تقريبًا 16 دونمًا"**. كانت تتم زراعة كروم العنب على الطريقة البعلية، وبالاعتماد فقط على مياه الأمطار، كما يقول السيد شعبان **"بس العنب بعلي، العنب كان بعلي، ما كنا نسقيه"**، أما أماكن زراعته فقد تعددت، كما يروي السيد شعبان **"كان العنب بالكروم في وادي الشمالية (وادي صوبا)، جنب طريق خربة اللوز وفي داخل البلد"**.

تركزت أشجار الخوخ والدراق بأنواعه المختلفة في وادي صوبا (يطلق عليه الحاج إسماعيل عبيد الله اسم وادي الشمالية) الذي يقع ضمن أراضي صطاف إلى الشمال من القرية (بين قرية صطاف وصوبا)، فيتحدث السيد شعبان عن الثمار التي كان يعتني فيها في وادي صوبا **"زرعنا مارِس كبير حوالي ثلاثة دونمات أرض وقلبناه (حرثناه) متر وزرعناه لوزيات وركبنا اللوزيات كمان أكثر من خمس أصناف من الخوخ. كنت أروح (أذهب) أنا وأختي نكيم (نزيل) عرق الشجر إلى من تحت لأنو كان يضعفها (للأشجار)، بس ما أثمر لأنو تركناه قبل ما يثمر (بسبب تهجير القرية عام 1948)"**.

---

[79] السيد يوسف علي كنعان: من مواليد قرية صطاف عام 1928, يعيش الان في الأردن بعد تهجيره عن قريته صطاف عام 1948.بتاريخ 28 حزيران 2007 تم إجراء مقابلة تأريخ شفهي حول قرية صطاف من قبل مدير مشروع التاريخ الشفوي في الأردن ركان محمود.

تعبّر دلالة محاولة أهل القرية ذكر الأصناف التي كانوا يزرعونها في القرية عن مدى اجتهادهم في التنويع في مصادر دخلهم بالأساس، من خلال تنويع منتجاتهم الزراعية بعد اكتفائهم منها لحاجة القرية، وهذا يعطي المجال لتحسين وضعهم المعيشي والاقتصادي.

بستان صطاف: مثال على استغلال المكان

حينما يتم طرح المشهد الطبيعي في صطاف، لا يمكن تجاهل مركزية البستان الموجود فيها، وذلك على الرغم من صغر المساحة التي يحتلها. هو الأرض الشبه سهلية القابعة في وسط جبال القدس، والذي أصبح كذلك بفعل العقلية الزراعية في الحاجة إلى توفير الغذاء لكل من حلّ واستوطن في المكان. لكن كيف أصبح هذا البستان جنة من الجنان؟ وما هو الدور الذي مارسه سكان صطاف في تحويل جزء من الأرض البالغة الوعورة إلى أرض منبسطة وزراعية، وكيف قاموا باستغلال الموارد الطبيعية في سبيل تحقيق ذلك والمحافظة عليه عند مستوى معين؟

تستعرض الدراسة من خلال سردية سكان صطاف، الذين عاشوا وعاصروا المكان خلال الفترة الانتدابية على فلسطين، هيكلية البستان الموجود فيها، إضافة إلى طريقة استغلالهم له خلال تلك الحقبة من تاريخ المكان.

على الرغم من أن الزراعة البعلية كانت منتشرة في صطاف، إلا إن الزراعة المروية انتشرت هناك أيضًا، إذا كان يعتمد أهل صطاف فيها على مياه النبع والبرك الموجودة في قريتهم، حيث أدت وفرة المياه إلى تميز صطاف ببساتينها الخلابة المنتصبة على متدرجات جبلية سمحت بوجود مساحة من الأرض السهلية في المنطقة الجبلية، ما سمح بقابلية توفر فائض في المنتوجات، وأتاح المجال بالتالي لنساء القرية للذهاب لأسواق القدس، وبيع ذاك الفائض في الأسواق هناك من أجل تلبية احتياجات المدينة. ومن هنا لُقبت صطاف بسلة غذاء القدس، فيقول الحاج إسماعيل: ‘‘**البساتين بتبدأ بالباذنجان، الخيار والفاصوليا (الفاصولياء) والقرع والفجل ومن الجميع بنزرع فيها (من جميع الأصناف) وهذه بنبيعها بالقدس**". لا يخالف الحاج شعبان شاكر رشيد الفتياني الحاج إسماعيل عبيد الله في الأهمية الغذائية لصطاف، سواء لأهل القرية ذاتهم، أو لتلبية احتياجات مدينة القدس، حتى إن الحاج شعبان تحدث بإسهاب عن شهرة قرية صطاف بزراعة القرع الأصفر "**أفضل شي عنا كان القرع، القرع الأصفر والقرع اليقطيني. كانت قريتنا مشهورة بالقرع الأصفر إلي مرات كانت تصل ل 100 كيلو (كيلوغرام) وكانوا يبيعوها بالقدس**".

بحسب أهل القرية، كان منتج الخيار من أفضل المنتجات الذي تنتجه الأرض لهم، لما كان يتمتع برائحة زكية تصل– على حد قول السيدة ثريا– من أسفل الوادي حتى برك المياه في منتصف الجبل: " **كانت ريحة الخيار من بعد ما تقطع الوادي حتى توصل البركة، هذه ريحته تصل كل محل مش مثل خيار اليوم**". في المصاطب والحبلات الزراعية القريبة من برك المياه، يوجد العديد من الأصناف الزراعية التي تميزت فيها قرية صطاف عن غيرها من القرى المحيطة.

يتحدث السيد عبد اللطيف رشيد الفتياني عن صطاف بكونها "**جبلًا وعرًا**"، ويقصد بذلك كامل المشهد الطبيعي في القرية والأراضي المحيطة فيها، فالقرية تقع على منحدر جبلي ذي زاوية حادة بعض الشيء، إضافة إلى كون أغلب الأراضي فيها مليئة بالعوائق الصخرية التي تحد من حركة التنقل والزراعة فيها، لكن على النقيض من ذلك في منتصف الجبل أسفل عيون المياه، يتمركز مشهد معاكس لما يقوله السيد عبد اللطيف، إذ إن ثمّة أرضًا منبسطة ليست بالمساحة الكبيرة، لكنها ذات مشهد متناقض لوعورة الجبل وصعوبته، وذات تربة خصبة، تكون رطبة على مدار العام بفعل الينابيع التي تدر المياه خلال الصيف أيضًا، كما أنها خالية من الحجارة. تطلق كل من السيدة عزيزة والسيدة ثريا على هذا البستان اسم "**الجنان**"؛ وهو مصطلح تقول السيدة عزيزة عنه إنه من كلمة جنة، وذلك وصفٌ بليغٌ للمشهد الذي يتمركز فيه البستان.

إن البستان في صطاف ذو وضعية مركبة من جزئين اثنين: الجزء الطبيعي والآخر البشري اللذين شكلا البستان مع بعضهما البعض، وجعلاه مكانًا صالحًا للزراعة على مدار العام، وليس في مواسم معينة فقط. للعوامل الطبيعية الدور الأكبر في تحويل تلك البقعة إلى منطقة زراعية خصبة، وذلك من خلال عاملي المياه ومستوى الانحدار. تتمتع صطاف بمصادر مياه متعددة تغذيها الينابيع، ومن ثم تتجمع في برك وعددها ثلاثة؛ اثنتان رئيسيتان لكل القرية، والباقي كانت لجزء معين من أهل القرية مثل بركة أبو كعيكر. يقول السيد عوض سلامة حول دور المياه في بناء بستان صطاف: "**مية، كلها مية، ثلاث عدود عليها (ثلاث برك)، كان في بركة البلد، البركة الشرقية وبركة أبو كعيكر. كانوا يأخذوا المية منها بالقيراط، لكل واحد ودوره**". أيضًا يتحدث السيد شعبان الفتياني عن دور الماء، بقوله: "**كان أهل خربة اللوز لما تخلص البيار (الآبار) عندهم يجوا النسوان على صطاف مع جرار (جرّات) المي ويملوا من برك صطاف لأنو ما فش عندهم عدود (برك) مثل صطاف**". كانت لهذه البرك العديد من الاستخدامات، لكن الاستخدام الأساسي لها كان من أجل استخدم المياه المجمعة فيها لري البستان، كما يسرد السيد يوسف كنعان "**كانوا يجمعوا المي فيهن (البرك) وبعدين يسقوا البساتين فيهن وكانت هذه البرك مقصورة (من أجل ضمان عدم**

تسريب المياه). صطاف ما كان حد يعطش فيها، الكل كان إله حصة وكانوا ينقلوا المي بالجرار وهذي وظيفة النسوان". أما بخصوص عامل الانحدار، كانت المنطقة إلى جانب قنوات المياه الأقل انحدارًا من أعلاها، وهذا سمح بتواجد أكبر للتربة الخصبة. وفي هذه النقاط، يكمن دور سكان صطاف من خلال الممارسات التي أدّوها لاستحالة الأرض أكثر خصوبةً وانبساطًا.

أما بخصوص العوامل البشرية التي ساهمت في تكوين بستان صطاف، فتتمثل بالممارسات والأدوار التي قام بها المزارعون من خلال إقامة السلاسل الحجرية، والتي كما سبق توضيحها، يتم تسميتها بالجِدر. وبشكل أكثر خصوصية، تُسمى بالقسائم الزراعية أو الحبلات الزراعية بجانب مصادر المياه في القرية، ومن ثم تقسيمها إلى قطع عرضها أكبر من طولها، إذ تسمح هذه الممارسة بتكدس التربة وعدم انهيارها (إذا انهارت خلال الشتاء، يسهل إعادة بنائها لاحقًا، على اعتبار أن الحجارة تسقط على الحبلة الزراعية المنخفضة أكثر من الحبلة الزراعية الأعلى). صحيح أن السلاسل الحجرية جزءٌ لا يتجزأ من المشهد الطبيعي الموجود في أغلب القرى الفلسطينية، خاصة في المناطق الجبلية. ولكن ما يميز صطاف هو قنوات المياه التي من خلال بنائها وربطها بين برك المياه والأراضي الزراعية في البستان، سمح ذلك بإضافة رونق خاص تتميز فيه القليل من القرى الفلسطينية مثل صطاف، إضافةً إلى قرية بتير قضاء بيت جالا، وهذا الرونق هو مزيجٌ من التربة الخصبة في منطقة جبلية تتمتع بمنظومة ري تربط بين مصدر المياه الدائم والأرض الزراعية. بالتالي، يؤدي ذلك إلى استعمالات أرض أكثر تميزًا عن المناطق المحيطة فيها. ولا تأتي سردية السيدة ثريا إلا من أجل تأكيد ما سبق "**كانت الأرض عنا بالبستان مروية، كنا نسقي من عيون المية (نبع) والبرك** ". أدت العوامل الطبيعية والممارسات البشرية إلى إنشاء بستان خصب تتم زراعته بالمزروعات المروية على طول العام، والذي يتميز بزراعة الباذنجان، والخيار، والقرع، واليقطين، والبصل، والزهر، والخس، والبطاطا الصطافية والحمضيات. يتحدث السيد إسماعيل عن المنتوجات التي كانت تتم زراعتها من قبل المزارعين في بستان صطاف، قائلًا: "**صطاف كانت مشهورة بالبساتين: بساتين الباذنجان، الفاصوليا، القرع، الفجل ومن جميع أنواع الفواكه نزرع فيها (أسفل البستان)**". يسرد محمد أحمد شعلان حول البساتين بقوله "**كان في ثلاث عدود مية نسقي فيها، وكان في إلنا عشرة دونمات في البستان**".[80]

أما حول كيفية الري، فكانت عملية مركبة تتكون من ثلاثة مركبات: البركة، القناة الرومانية، القنوات الترابية. تأتي المياه من خلال المغارة إلى البركة الرئيسية، والتي تسمى ببركة البلد، ثم تنتقل من خلال قناة رومانية مبنية من الحجر إلى البركة الأخرى، والتي

[80] السيد محمد أحمد الشعلان: من مواليد قرية صطاف عام 1940. تم إجراء المقابلة بتاريخ 1 كانون الثاني 2018 في بلدة بيت ساحور.

تُسمى بالبركة الشرقية. بعد تجمع المياه بالبركة، يتم نقلها إلى أرض البستان من خلال قنوات ترابية يتم غلقها وفتحها بحسب نظام معين متعارف عليه بالبستان؛ وهو أن لكل شخص حصةً ومقدارًا معينًا من الماء، تبعًا لمساحة الأرض التي يمتلكها وحاجته من الماء إليها. وتتم عملية تقسيم المياه بوحدة قياس هي القيراط، إضافة إلى عامل الوقت (لكل شخص لديه وقت محدد ليستنفد حصته من المياه)، وهكذا عندما يتم ري حبلة زراعية، يتم غلق القناة عليها وفتحها نحو حبلة زراعية أخرى. في كل حبلة زراعية من البستان، ثمّة خاصية من أجل تسهيل عملية الري فيها، إضافة إلى تنويع المنتوجات الزراعية، وهذه الخاصية هي الشبكية، والتي تعني تقسيم كل حبلة زراعية إلى مربعات متساوية تشبه الشبكة. وبذلك، يتم ري كل شبكة في حال حاجتها إلى الماء، وإذ كانت لا تحتاج، يتم الانتقال إلى شبكة أخرى وهكذا، حتى تتم عملية ري كامل الحبلة الزراعية بالبستان.

يقوم السيد شعبان بشرح عملية قياس المياه بالبركة وتقسيمها:

"بيجيبوا عصاية البطاطا (البطاطا الصطافية) وبعدين بيعلموا عليها تعليمة على كل العصاي وبعدين بيقيسوا فيها بوحدة القيراط وكل واحد بيخلص مقدار القيراط إلى إله بيسكروا المي عليه وبينقلوها لعند غيره".

ثالثًا: البطاطا الصطافية: بطاطا ذهبت ولم تعد

تطرح الدراسة موضوع البطاطا الصطافية بصورة أكثر مركزية من باقي النباتات التي كانت حاضرة في بستان صطاف، بهدف توضيح عدة جوانب حول نبتة ليست معروفةً كباقي المنتجات الزراعية الأخرى، فهذا المنتج كان يُستهلك في صطاف والقدس فقط، فكل ما يفيض منها في القرية كان يتم بيعه في أسواق القدس (هذا المنتج كان بيعه حكرًا لليهود لأن العرب لم يكونوا يعرفونها). ولعل من أهم الجوانب التي جعلت الدراسة تسلط الضوء على هذه البطاطا هو اندثارها من كامل المشهد الزراعي في بساتين صطاف بعد عام النكبة 1948، فلم تعد موجودةً في أماكن أخرى غير القرية، ولم تعد موجودة بعد تهجير أهل القرية ذاتهم.

"بقو يزرعوا بطاطا بس اليوم مش موجود منها، أنا مش لاقي (لا أجد) منها. هي بطاطا رأسها مثلث ويطلع (ينبت) عود منها طوله حوالي الثلاثة أمتار ونوارها أصفر، وكنا نأكلها نية (غير مطبوخة). فش منها اليوم بعد ما هاجرنا. صوبا شوية عندهم لأنها هاي البطاطا كان بدها مية كثير وصطاف عندها المية".

لا أحد يسمع عنها إلا في صطاف، لا أحد يزرعها إلا في صطاف، شكلها ليس مثل البطاطا العادية التي نأكلها الآن. يضيف الحاج شعبان منتجًا لم يذكره الحاج إسماعيل أو السيد يوسف كنعان، وهو منتج "البطاطا"، حيث إنها نوعٌ نادرٌ من البطاطا لم تكن إلا في منطقة صطاف والقليل منها في صوبا. كما أن منتوج البطاطا تميّز بصفات مختلفة عن البطاطا السائدة في الطعم وشكل النبتة ذاتها من ناحية شكل النمو. هناك العديد من الروايات التي يتناقلها أهل صطاف عن هذه البطاطا التي بقيت في ذاكرتهم وحاضرهم، وحتى إنها جمعت بين مخيلتهم جميعًا، إذ إن المقابلات الخمس التي أجرتها الدراسة ضمّت– وبشكل مفصّل– هذا النوع من البطاطا، والتي تمتلك صفات لا تشبه البطاطا التي يتم زراعتها الآن في فلسطين: بيضاء اللون، حلوة المذاق، سيقان النبتة طويلة، تخرج منها زهرة تشبه زهرة دوّار الشمس، وهي تحتاج إلى الكثير من الماء حتى تنبت، كما تقول السيدة عزيزة خضر محمد حسين:

هذي البطاطا بعرفش؛ بتطلع لحالها ولا هم كانوا يزرعوها بس تبقى حلوة، لونا أبيض وكان يطلع منها عود وبس تنور (تُزهر) فوق، نازل البطاطا (تكون البطاطا عند أسفل النبتة).

يحاول أهل القرية العثور على مثيل لها في السوق، لكن ذلك لم يكن يجدي نفعًا معهم، فهي لم تكن تنبت إلا في قرية صطاف إلى جانب برك المياه. لا ينبع تركيز الدراسة على هذه النبتة من أجل التعريف بها، بقدر الرغبة في الربط بين الذاكرة الجمعية التي شكلت نبتة البطاطا الصطافية فيها ركنًا من أركانها للدلالة على أهمية الزراعة في بساتين صطاف، فذكر البطاطا يعني بساتين صطاف والبرك الموجودة فيها، وذلك من خلال استغلال سيقان نبتة البطاطا كوحدة قياس لمنسوب المياه وحصة كل شخص من أصحاب البساتين الذين امتلكوا حقًا في استغلال مياه البرك لري البساتين؛ وهذا ما يؤكده السيد عوض عبد الكريم سلامة بقوله: **"بقوا يقيسوا المية بالقيراط، كانوا يجبوا عصاية حبة البطاطا ويعلموا عليها كل واحد وحصته، ولما تخلص حصته بعد ما يقيسوا كانوا يحولوا المي على محل ثاني"**. يكمل السيد محمد أحمد عبد الهادي شعلان ما بدأ فيه السيد عوض حول البطاطا الصطافية:

هذه بطاطا حلوة، بس غير البطاطا الحلوة الي بيقولوا عنها الأيام هذي، كانت البطاطا الحلوة الموجودة عنا اليهود يقتلوا حالهم عليها لما تطلع على محنيه يهوذا (كان أهل قرية صطاف يبيعون جزءًا يسيرًا من منتجاتهم الزراعية في هذا السوق)، وكان إلها عود طويل وأنا كنت أكلها مسلوقة.

أيضًا تذكر السيدة ثريا أحمد عبد النبي البطاطا الحلوة كما يحلو لها أن تطلق عليها **"والله بقت أمي تطبخلنا إياها، هي بطاطا بيضة وهي صغيرة. كنا نسلقها كمان".** [81]

إنّ وجود البطاطا الصطافية في ذاكرة أهل القرية جعل منها رابطًا غيرَ فيزيائيٍ يربط أهل القرية ببعضهم البعض رغم اختلاف مكان سكناهم، فعلى الرغم من أن محاولة الربط هذه ليست طريقة أو أداة تاريخية محكّمة لدى بعض المؤرخين، خاصةً من ناحية القصص التي يوثقها التأريخ الشفهي لأحداث تدور في القرية،[82]لكنها بذات الوقت (القصص) تشكل أحد المفاتيح التي من خلالها يتم التعريف بالماضي لكينونة جماعة معينة، خاصةً إذا شكلت بالماضي أحد الروابط لديهم، ومن هذا المنظور تم التطرق إلى قصة البطاطا الصطافية كإحدى القصص التي بتوثيقها والتطرق إليها هي أحد تلك المفاتيح.

رابعًا: درب الآلام؛ نساء صطاف ودورهن في تشكيل المشهد الزراعي

ارتأت الدراسة أن تحتل نساء صطاف جزءًا من هذا الفصل، على اعتبار أن دورهن الزراعي لم يكن ثانويًا. ومن أجل التعبير عن المعاناة التي كنّ يتعرضن لها، جاء عنوان هذه الجزئية بدرب الآلام للدلالة على الطريق التي كن يسلكنها من صطاف إلى مدينة القدس، والتي تُقدر بعشرة كيلومترات مشيًا على الأقدام، كما كنّ يحملن معهن السلال تزن كلٌ منها حوالي 25 كغم. إضافة إلى ذلك، لم تكن هناك طرقٌ معبّدةٌ بين قرية صطاف وما حولها من القرى الأخرى، وهذا ما زاد من المعاناة لهن. لعبت نساء صطاف دورًا أساسيًا ضمن المشهد الزراعي في القرية من خلال ثلاث جزيئات، وهي: العمل الزراعي في البساتين والذي يتضمن زراعة

[81] السيدة ثريا أحمد من مواليد صطاف عام 1940. تم عمل المقابلة بتاريخ 1 كانون الثاني 2018 في بيت ساحور.

[82] Rochelle Davis, *Palestinian village histories: geographies of the displaced*, (Stanford, Calif: Stanford University Press, 2011), p. 94-95.

المزروعات، وجمع المحاصيل الزراعية والتقاطها، وبيع المحاصيل الزراعية في الأسواق المختلفة. لا يُراد من وراء هذه الجزئية التعبير على أن النساء وحدهن تعرضن للعديد من المصاعب سواء المصاعب الاقتصادية أو أية مصاعب أخرى، لكن في السابق تم الحديث عن الأدوار التي يؤديها أهل صطاف بشكل عام والرجال بشكل خاص، دون التطرق إلى دور المرأة الصطافية من ناحية تعرضها لتلك المصاعب وكيف التعامل معها. لذلك التركيز هنا على جزء من هذا الدور في كونه جزءًا من الممارسات التي أثّرت على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف وتأثّرت بهما كذلك. أيضًا، لا بد من تسليط الضوء على دور رجال صطاف في الحديث عن الصعوبات التي واجهت المرأة الصطافية في سياق المشهد الزراعي (لم ينكر أحد من الرجال الذين تمت مقابلتهم الممارسات التي كانت المرأة الصطافية تشغلها ضمن مشهد القرية الزراعي الاقتصادي). ومن هذا المنطلق، تُطرح التساؤلات حول الأسباب التي أدت إلى استحالة ممارسات وأدوار المرأة الصطافية أكبر، وكيف أثرت الفروقات في ملكية الأرض وموقعها على زيادة دور المرأة الصطافية أو نقصانه من ناحية الممارسات الزراعية.

في بعض اللحظات المضطربة بين علاقة المرأة الصطافية والأرض، تمنّت بعض النساء ألا تبقى هذه الأرض، نظرًا للصعوبة التي كن يعانين منها في زراعة المزروعات والشقاء في التنقل بين الحبلات مع ما يحملن من محاصيل. وتذكر السيدة عزيزة ذلك باستمرار من خلال سماعها للدعوات والاستغاثات إلى الله، لكي يخلصّهن من هذه الأرض الشاقة عليهن، فهن لوحدهن أمام السلطة الأبوية أو سلطة الزوج في سبيل العمل الزراعي في الأرض "**كانوا يدعين (النساء يدعون) ياخذوها اليهود، الله ينتقم منهن**".

وتكمل السيدة عزيزة عن الإرهاق الذي كانت تتعرض له والدتها، فإلى جانب الأعمال المنزلية، كانت تقوم بالعمل في الأرض وتتنقل بين المزروعات "**النسوان كانوا يتعبوا، الي يطلعن العقبة هذي من كثر الحجار، كل حجر حجمه هيك، غلبة. هن تريحين هانا (الحياة خارج القرية)**". ارتاحوا هنا، كلمة وجب التوقف عندها حتى يتم توضيحها ضمن السياق الذي تحدثت فيه السيدة عزيزة، وهو يعكس مدى الإرهاق والجهد الذي بذلنه نساء صطاف، فهذه الجنة التي نراها اليوم كان لنساء صطاف جنبًا إلى جنب مع الرجال في القرية دور كبير في تحولها إلى مشهد جمالي من المدرجات والمصاطب الزراعية، مع جعلها أرضًا أكثر خصوبة صالحة لزراعة المنتوجات المختلفة وذلك تشديدًا على أن العوامل الطبيعية ليست فقط من جعلت الأرض هكذا.

لم تكن واجبات النساء محصورة في بساتين القرية، إنما امتد دورهن إلى الأراضي الموجودة خارج مركز القرية (على الأطراف)، وذلك من خلال موسم القطاف مثل جني المحاصيل الزراعية، تبعًا للموسم الزراعي مثل: موسم الزيتون، الفاكهة كالخوخ والدراق،

التين والعنب. كان هذا الدور أكثر أريحية من ممارسة الزراعة ضمن البساتين بالقرب من وسط القرية، لأن عمل الحراثة كان من أعمال الرجال وليس النساء، إضافة إلى مهمة زراعة الأشجار كما حدث في وادي الشمالية (وادي صطاف) الذي عمل فيه رجال القرية (لمن كان يمتلك أراضي فيه)، كعائلة حسين، شعلان، الفتياني وغيرها من العائلات. من بعد عملية التقاط وقطف المحاصيل الزراعية في كل من البساتين والأراضي الزراعية البعلية، تأتي الممارسة الأخرى لنساء القرية في بيع المحصول بثلاثة مناطق؛ وهي: سوق عين كارم والذي كانت تقصده الفتيات والشابات اللواتي هن في مقتبل العمر، وكن لا يذهبن إلى أسواق المدينة لعادات اجتماعية تسمح فقط لنساء القرية ذوات السن الكبير بالبيع في الأسواق الكبيرة بالقدس، كما تقول السيدة عزيزة "**وأنا كنت بعمر الثمان سنين لما كنت بنت صغيرة بنط من هان لهان، كنت أروح مع أمي نبيع بسوق عين كارم ونرجع لما نخلص، بس ما كنا نروح على محنيه يهودا، بس الستات الكبار يروحن هناك**". بينما تقول السيدة ثريا "**أنا كنت أعرف أنهن يروحوا على عين كارم يبيعوا هناك، كان يجوا يهود ومسيحية لهناك، أما الكبار فكانوا يروحوا على ميشرم**". الوجهة الأخرى كانت سوق "محنيه يهودا"، حيث كن يبعن المنتوجات الزراعية للزبائن اليهود (هناك بعض المنتوجات التي تستهدف السوق اليهودي دون السوق العربي، تبعًا لمميزات كل سوق على حدة). أما السوق الآخر، فهو سوق "ميشرم" والذي يقع أيضًا إلى جانب شارع يافا، وكان بالقرب من محطة الباصات في مدينة القدس. كان رجال القرية من صطاف هم الذين يبيعون منتجات القرية الزراعية في الأسواق العربية، مثل سوق البلدة القديمة من القدس، كما يصف السيد إسماعيل ذلك: "**كنا نركب بملينين من باب الخليل نروح نبيع غالب الخضرة الشتوية من الفجلات والقرع عندهم (اليهود) بمحنيه يهودا، أما الخيار والباذنجان فكنا نبيعه عند العرب في باب الخليل وباب العمود، في المدينة القديمة**".

من الطبيعي أن تبقى النساء الصغيرات في السن والفتيات في مقتبل العمر قريبات من القرية، وذلك لتعدد المهام التي كن يقمن بها. أما السيدات المتقدمات في السن، فكن لا يقمن إلا في دور بيع المنتوجات الزراعية، وعملهن يقتصر على ذلك. لذلك، كن يذهب إلى مناطق بعيدة وبدون مواصلات حتى أسواق القدس، بينما دور الرجال كان مكملًا من ناحية البيع في الأسواق العربية، وعند وجود كميات كبيرة لا تستطيع النساء حملها.

هناك عدد من العوامل التي أثرت على دور المرأة الصطافية وممارستها ضمن المشهد الجغرافي للقرية، خاصة المشهد الزراعي. وبالرغم من العبء الزراعي المتزايد عليها، لم يكن تحمل المرأة الصطافية للعبء الأكبر من الزراعة في بساتين القرية نابعًا من إهمال الرجل

لدوره الزراعي أو نابعًا في عزوفه عنها، بل يأتي ذلك من خلال مجموعة من العوامل تشكل مع بعضها البعض عاملًا واحدًا؛ وهو العامل الاقتصادي. فعلى الرغم من تميز المشهد الجغرافي في صطاف بكونه مشهدًا زراعيًا بامتياز، إلا أن ذلك لم يكن يكفي لتغطية احتياجات أهل القرية، خاصةً مع انتهاء الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا لفلسطين، إذ بدأت بإجراء مشاريع البناء، الأمر الذي جذب أغلب الرجال في فترة الانتداب البريطاني ودفعهم إلى الانخراط والتوجه نحو قطاع البناء والمصالح المتعلقة بهذا القطاع، فأصبح أغلب الرجال من العائلات كافةً دون استثناء يتوجهون للعمل في ورشات البناء ضمن الدائرة الجغرافية القريبة من القرية (القرى المجاورة لصطاف) والبعيدة عنها (حتى الساحل الفلسطيني). بذلك، أصبحت القرية مشهورةً بعمال البناء المهرة وتشكيل الحجر (هذا أحد العوامل الأساسية التي أدت لأن تكون جميع بيوت صطاف في تلك الفترة مبنيةً من الحجر). أمسى قطاع البناء القطاعَ المهمينَ بين القطاعات الاقتصادية، والذي شكّل دخلًا أساسيًا لمجتمع قرية صطاف الصغير. وبما أن هذا القطاع كان حكرًا على الرجال دون النساء، بات هناك تحولٌ في الأدوار التي تؤديها النساء من دور زراعي ثانوي إلى دور زراعي مركزي في جزئية العمل في بساتين القرية التي تعتمد على الزراعات المروية، وتحتاج إلى عناية مستمرة على طول فصول السنة. بينما بقي دور الرجل مهيمنًا على قطاع الزراعة البعلية (وهو الأكبر)، لكون العمل الزراعي يتطلب فيه عملًا موسميًا أكثر منه من العمل اليومي، إضافة إلى دور الحراثة الذي احتكره الرجال، فطبيعة الأرض الوعرة لم تسمح بوصول الجرارات الزراعية (كانت بالأصل نادرة الوجود في المنطقة الجبلية)، وكانت الحراثة حكرًا على الحيوانات من البغال والأحصنة، لكن ذلك لم يمنع النساء من تغطية دور الرجال الزراعي أثناء غيابهم، فيتذكر السيد شعبان الفتياني كيف أنه هو وشقيقته (كان هو صغيرًا) زرعوا الشتلات الزراعية في وادي صوبا، حيث كان والده متعهدًا للبناء **"أنا وأختي زرعنا شتلات الخوخ والتفاح في وادي الشمالية"**.

كانت أدوار المرأة الصطافية متفاوتة، تبعًا لدور ملكية الأرض لكل عائلة، فالعائلات التي كانت تمتلك الأراضي في بستان صطاف، كانت الأدوار والممارسات الزراعية للمرأة فيها أكبر من المرأة التي لم تمتلك عائلتها مساحات من الأرض في البستان، إذ كان البستان مصدرًا قتصاديًا مربحًا للعائلات الصطافية، لكن ذلك تطلب دورًا وجهدًا أكبر وقع في أغلبه على المرأة الصطافية التي كانت صاحبة الممارسة الأكبر في الاعتناء بالمزروعات وجمع محاصيلها. أثّرت هذه المسألة على المنظومة الاجتماعية في القرية من خلال تجنب بعض العائلات تزويج بناتها لعائلات تمتلك مصاطبَ وحبلاتٍ من الأرض في البستان، خوفًا من الجهد المطلوب منها ممارسته بعد الزواج، كما يسرد السيد شعبان الفتياني:

كانت عائلات قليلة من البلد إلها أراضي من البركة للواد وكانوا يقطفوهم (للمحاصيل) ونسوانهم يروحوا من الفجر يلقطوا على قدح يمكن وزنه 25 كيلو (كيلوغرام) تحمله المرأة من صطاف على (إلى) القدس على محنية يهودا وموشيرم، يبيعوه لليهود وكانت تروح مشي. مشان هيك ستي ما جوزتش (لم تقبل أن تزوجها) لناس من صطاف مشان ما تتعبش (من أجل ألا تتعب)، كانوا يحملوا 25 كيلو على راسهن.

لم يكن لهذا الخوف الاجتماعي وقعٌ كبيرٌ إلا على العائلات التي كانت من خارج صطاف، والتي في أغلبها من القرى المجاورة. بالنسبة للمرأة الصطافية (بالرغم من كل الجهد الواقع عليها في العمل في البستان)، كان معنى العمل في الأرض الحياة ومصدرًا حيويًا للدخل؛ بقول السيدة عزيزة "**كانوا يتعبوا أه، بس هذا الحكي مش صحيح (حول عزوف بعض العائلات تزويج بناتها لأفراد عائلات لديها بساتين)، الناس كانت تموت تتجوز ليكون عندها بستان**"، فمن دون العمل، لن يكون هنالك منتج (لأن أغلب الرجال يعملون في قطاع البناء، سواء في القرى الأخرى أو في المستعمرات اليهودية حتى وصلوا عسقلان)، وإذا لم يكن ثمّة منتج، لن يكون ثمّة مصدر دخل ناتج عن بيع المحاصيل الزراعية في أسواق عين كارم القدس، والتي تعتبر مهمةً أخرى ودورًا آخرَ يقع على عاتق المرأة الصطافية في توفيره للعائلة.

خامسًا: تلخيص

أخيرًا، وعلى ضوء هذا القسم من الدراسة، كان للتاريخ الشفهي دورٌ كبيرٌ في الكشف عن العديد من الجزئيات المظللة، والتي لم يكن بالإمكان تسليط الضوء عليها بدونه. إذ يُعد دور المرأة الصطافية من أبرز الجزئيات التي عالجها هذا القسم من الدراسة، عبر استخدام الرواية الشفهية لنسوةٍ من صطاف؛ فمن خلال سرديتهن تم توثيق الممارسات التي شكلت عصب القطاعين؛ الزراعي والاقتصادي في صطاف، والذي كان للنساء الصطافيات الدور المحوري في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف. وهذا ما تمت محاولة تسليط الضوء عليه في الجزئية المذكورة. بالإضافة إلى ما سبق، شكّل التاريخ الشفهي وسيلةً

لاستحضار منتوجات زراعية كانت قد اختفت من المشهد الزراعي في صطاف؛ إذ تعد البطاطا الصطافية أبرز هذه المنتوجات التي لم يعد لها وجود بعد طرد أهل صطاف من قريتهم عام 1948. ولم يبقَ من البطاطا الصطافية إلا ذكراها في ذاكرة من عاصرها خلال زمن ما قبل النكبة، حتى أن العديد من أفراد العائلات الصطافية؛ من الجيل الثاني والثالث قد سمعوا بها للمرة الأولى خلال استحضار الرواية والسردية الشفوية مع من عاصرها، وهذا لوحده يعد إنجازًا قد أنجزته الدراسة باستخدامها التاريخ الشفهي كأحد المصادر البنيوية في إعادة بناء المشهد الطبيعي واستعمالات الأرضي في صطاف.

باستخدامها للتاريخ الشفهي، لم تكتفِ الدراسة باستحضار جزئيات من المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، بل حاولت من خلال سردية التاريخ الشفهي في إعادة بناء المشهد الزراعي بشكله الذي كان قبل عام 1948؛ سواء كان ذلك في تبيان التقسيمات الزراعية في القرية، أو بالتركيز على جزئية كيفية استغلال أهل صطاف لبستان صطاف الذي يعد من أهم المناطق الزراعية فيها. فمن خلال السردية الشفهية حاولت الدراسة إبراز الفروقات الزراعية الموجودة؛ إذ يوجد نمط الزراعة البعلي في المدرجات الزراعية أو النمط الآخر، نمط الزراعية المروية طوال العام في الحبلات الزراعية (الجنان).

الفصل الثالث:

ممارسات الصندوق القومي اليهودي في هندسة وتشكيل المكان – حالة صطاف

يوجد في هذه الجزئية من الدراسة قدرٌ كبيرٌ من الأهمية من خلال تسليطها الضوءَ على الصندوق القومي اليهودي من باب أحد الأدوار التي يشغلها، إذ يعدُّ الصندوق أحد الجهات الأساسية التي تؤدي ممارساتٍ بنيويةً في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في منطقة الدراسة؛ أي قرية صطاف المهجرة بعد عام 1948، إذ يُعتبر عام النكبة الزمن الفاصل ما بين القضاء على أدوار وممارسات، وظهور ممارسات أخرى تمثلت بممارسات الصندوق القومي اليهودي (في منطقة الدراسة). قبل التطرق إلى ممارسات الصندوق القومي اليهودي، يجب على الدراسة توضيح المصادر والمراجع، سواء كانت الأولية منها أو الثانوية التي تم استخدامها في توضيح دور الصندوق اليهودي بتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة. كما لا بدّ من توضيح الفكرة والأيديولوجيا التي يقوم عليها الصندوق القومي اليهودي، وكيف تمت عملية الاستيلاء على الأرض (قبل عام 1948 وبعده)، ذلك من أجل فهم أعمق للممارسات التي قام بها في فلسطين عمومًا، في قرية صطاف المهجرة خصوصًا.

تجمع الدراسة توليفةً من المصادر والمراجع الأولية والثانوية من أجل تشريح الدور الذي يلعبه الصندوق القومي اليهودي في قرية صطاف المهجرة من خلال الممارسات التي يؤدّيها على الأرض، فكون بعض هذه الممارسات قد تم توثيقها من خلال عدة مصادر (منها جزءٌ لا بأس به من المصادر الأولية) فذلك يعطي الدراسة مجالًا أوسعَ ومساحةً أكبرَ في معالجة الدور الذي يشغله الصندوق وممارساته على الأرض. أما توليفة المصادر، فتتكون من خمسة اتجاهات تختلف كلٌّ منها في منهجيتها، لكنها تشكّل مُجتمِعةً صورة الممارسات التي أدّاها ويؤدّيها الصندوق القومي اليهودي في قرية صطاف. تُعتبر وثائق الأرشيف الصهيوني من المصادر الأولية التي توضح أولى الممارسات للصندوق في صطاف، وهي مشروع إقامة "متنزه" صطاف على أراضي القرية، خاصةً المنطقة الوسطى منها التي شكلت سابقًا وسط القرية وما حولها، ومن ثم امتد المتنزه إلى أبعد من ذلك. أما المصدر الثاني فهو إجراء المقابلات الشفهية مع مسؤولي وموظفي الصندوق القومي اليهودي الذين تربطهم علاقةٌ مباشرةٌ بمنطقة الدراسة؛ أي قرية صطاف المهجرة (بالرغم من صعوبة اتخاذ هكذا القرار، إلا أنه تقرر ذلك من أجل فهم أفضل لممارسات الصندوق من خلال تكوين رؤية من الداخل لتلك الممارسات التي يتم إجراؤها). وقد تم إجراء ثلاث مقابلات: الأولى مع "غيدي بَشن" مسؤول الصندوق القومي اليهودي عن صطاف،[83] الثانية مع الموظفين الفلسطينيين في صطاف وعددهم ثلاثة (مقابلة جماعية)،[84] مقابلة أخرى مع "غيدي بشان" مسؤول الصندوق القومي اليهودي ذاته.[85]

لا تقل منشورات الصندوق القومي اليهودي وإصداراته حول منطقة الدراسة أهميةً عن وثائق الأرشيف الصهيوني أو إجراء المقابلات، فهي تعبيرٌ صريحٌ عن الممارسات التي يؤديها الصندوق، وكيفية تروجيه لها سواء كان ذلك باللغة العبرية أو الإنجليزية، عدا عن الخرائط التوضيحية الموجودة فيها. وتتوفّر لدى الدراسة مجموعةٌ لا بأس بها من تلك المنشورات حول صطاف خصوصًا، ومن بينها خارطةٌ كبيرةٌ تفصيليةٌ حول أماكن تواجد وعمل الصندوق القومي اليهودي داخل حدود فلسطين الانتدابية والجولان السوري المحتل.

لا تغفل الدراسة عن حاجتها إلى الزيارة الميدانية لما تمتلكه من دور محوري في توضيح الممارسات على الأرض، إذ لدى الزيارات الميدانية القدرة على توثيق وتوضيح الممارسات التي يؤديها الصندوق، فضلاً عن فحص مدى تطبيقها (الممارسات) خاصةً الموثقة في منشورات وإصدارات الصندوق القومي اليهودي. في الزيارة الميدانية يتم معالجة تلك الممارسات بإجراء مقطع عرضي يتم من

[83] هو مسؤول عن قسم من الجبال الغربية للقدس في الصندوق القومي اليهودي (مسؤول الغابة والجمهور في صطاف) وقد تم إجراء المقابلة بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.
[84] تم إجراء المقابلة الجماعية مع الموظفين الفلسطينيين بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.
[85] تم إجراء المقابلة الثانية مع ذات المسؤول بتاريخ 22 كانون الثاني 2018.

خلاله تتبع المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض وتأثير الممارسات على ذاك المشهد (ممارسات الصندوق وأية دلائل على ممارسات أخرى بما فيها آثار الممارسات القديمة التي كان يقوم فيها أهل قرية صطاف). أما المصدر الأخير في توضيح ممارسات الصندوق فهي الصورة الجوية (صورة جوية حديثة لا يتجاوز عمرها الثلاث سنوات) لمنطقة الدراسة توضح وتوثق ممارسات الصندوق في منطقة الدراسة، خاصةً خلال السنوات الأخيرة (سيتم استخدامها في الفصل الرابع لكونه تقرر تخصيص فصلٍ كاملٍ حول الصور الجوية).

أولًا: تأسيس الصندوق ووظائفه

ما هو الصندوق القومي اليهودي؟

"لاستعمار الأرض لا بد من وجود ثلاث ضرورات: الأرض، الائتمان والعمال" [86]

يعد تأسيس الصندوق القومي اليهودي خطوةً عمليةً ونقطةَ تحولٍ في المشروع الصهيوني في فلسطين، إذ إنه انتقل بالمشروع الصهيوني من الممارسات غير المنتظمة في شراء الأراضي إلى الممارسات المنتظمة للسيطرة على الأرض وتشكيل المشهد فيها، سواء كان المشهد الطبيعي أو الحضاري وخاصةً الزراعي. لكن التساؤل الذي تطرحه الدراسة حول كيفية تأسيس الصندوق القومي اليهودي، فضلًا عن اقتفاء دوافع تأسيسه ووظائف الصندوق الأخرى التي من خلالها يساهم في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في فلسطين.

[86] The Jewish National Fund Library, The Jewish National Fund and the objects of the land donations, (published by the head office of the Jewish national fund, The Hague, 1918), p5.

في مدينة بازل بالمؤتمر الصهيوني الخامس تم إعلان تأسيس الصندوق عام 1901، وتم تسجيله رسميًا في عام 1907 كشركة إنجليزية محدودة باسم الصندوق القومي اليهودي، والتي عُرِّفت بحسب قانون الشركات البريطاني كجمعية محدودة بالضمان ورأسمالها غير مقسم إلى أسهم (سنرى أن هذا التعريف مهم جدًا من أجل عدم بيع أو تقسيم الأرض التي تصبح تحت سيطرة الصندوق)، وتم وضع قانون تأسيسي للصندوق، والذي كان هدفه الرئيس هو شراء واستئجار ومبادلة أو استملاك أراضٍ وغابات. كما أن للصندوق حقَ ملكيةٍ مساويًا لحقوق المالك، إلا أنه يُحرم من بند واحد من بنود الملكية؛ وهو حق البيع، حيث يُمنع على الصندوق بيع أي أرض يقوم بشرائها إلا بموافقات استثنائية بهدف تحقيق أهداف الصندوق، والتي تمحورت حول امتلاك الأراضي الممتدة في المنطقة الجغرافية التي يُطلق عليها بلاد الشام بالإمبراطورية العثمانية.[87]

تعود فكرة تأسيس الصندوق إلى فترة زمنية قد سبقت إقامة المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897، إذ بدأت ظواهر الفكرة في بداية أربعينيات القرن التاسع عشر بدعوة من الحاخام جودا القلعي عام 1840 من أجل تأسيس صندوق لشراء الأراضي في فلسطين وإبقائها للاستخدام اليهودي حصرًا من خلال الاعتماد على ضريبة العُشر، لكن دعواته هذه لم يتم التطرق إليها حتى طرح موشيه ليلينبلوم الفكرة مرةً أخرى عام 1884، وأخيرًا طرح المنظر الأول للصندوق القومي، وهو هيرمان شابيرا، فكرة إقامة الصندوق على المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897.[88] لكن من أين جاء أصل الفكرة وطريقة تطبيقها وعملها في أرض فلسطين بشكل خاص (عمليات الصندوق القومي اليهودي امتدت إلى خارج حدود فلسطين الانتدابية)؟

يعتبر وجود الأصل التوراتي في فكرة تأسيس الصندوق من الأمور التي وجب على الدراسة تسليط الضوء عليها، وذلك لأهمية هذا الربط ما بين الأصل الديني والفكر السياسي الاستعماري للحركة الصهيونية خلال القرن التاسع عشر، فوجود فكرة المثلث المقدس والذي يضم ثلاثة أطراف تربطهم العلاقة المتينة؛ وهي الله والشعب والأرض، يكون فيه الله على رأس هذا المثلث في العلاقة مع الشعب الذي خصص الله له هذه الأرض دون غيره من الناس والشعوب الأخرى. تعد هذه النقطة المركزية هي حجز الزاوية في مشروع تأسيس الصندوق القومي اليهودي من خلال الشراء والسيطرة على الأرض وعدم إيجاز بيعها، فالأرض هي ملكٌ الله وليست للبشر الذين لديهم حق الانتفاع والاستخدام فقط دون حق الملكية الذي يتم تحريره، وتتم العودة إلى العلاقة المثالية خلال سنة اليوبيل (هي السنة الخمسون حسب كتاب العهد القديم)، فتعود الأرض إلى صاحبها الأصلي دون شروط؛ بمعنى أن عملية

---

[87] وولتر لين، *الصندوق القومي اليهودي* (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1990)، صفحة 43-44.

[88] Yosef Kats, *The land shall not be sold in perpetuity: the Jewish National Fund and the history of state ownership of land in Israel*, (Boston: Walter de Gruyter GmbH, 2016) p 1

البيع لا يمكن أن تكون إلى الأبد بل لأجلٍ معلومٍ، كما أن انتقال صك الملكية محرمٌ خارج نطاق القبيلة أو الشعب، إذ تمنح فكرة الأرض وربطها مع الله والشعب الصندوقَ صكَ الشرعية في عدم بيعه الأرض من أجل إعادتها إلى مالكها الحقيقي؛ وهو الله.[89]

لم يكن الصندوق القومي اليهودي أول فكرة تم طرحها حول امتلاك اليهود للأرض في فلسطين، فقد سبق تلك الفكرة العديد من النقاشات والمحاولات الميدانية، مثل محاولات المستوطنات الممولة من البارون روتشيلد، إضافةً إلى بعض الجمعيات التي شجعت على الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ العام 1882، لكن تلك الحركات كانت غير مؤثرة على الصعيد العملي من حيث قوتها لقلة المهاجرين وعدم التأقلم مع البيئة المحيطة مثل جمعية "أحباء صهيون" التي أقامت مستوطنة بيتح تكفا إلى الشمال من يافا.[90] أما المحاولة التي جاءت بصبغة "القومية" اليهودية من أجل شراء الأراضي وتوطين اليهود عليها هي فكرة تأسيس الصندوق، والتي تعود إلى هيرمان شابيرا الذي طرح هذه الفكرة مع بقاء الملكية عامةً لجميع اليهود في المؤتمر الصهيوني الأول ببازل عام 1897، غير أن المؤتمر لم يصوت لإقامة الصندوق، بل اكتفى بالاتفاق على قرار واحد؛ وهو اعتبار تأسيس صندوق ومصرف قومي أمرًا أساسيًا مستقبلًا.[91]

في المؤتمر الصهيوني الخامس عام 1901، تمت الموافقة على إقامة صندوق قومي يهودي يحمل في طياته عددًا من اللوائح الداخلية التأسيسية التي تمت الموافقة عليها؛ وهي: منح "الشعب" اليهودي ملكية الصندوق القومي اليهودي،[92] وإناطة إدارة الصندوق بلجنة الأعمال المصغرة (الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية)، عدا عن الاتفاق على أن سير الأموال وإنفاقها يتمان فقط في مجال شراء الأراضي في سوريا وفلسطين، مع الاشتراط بعدم إبقاء خزينة الصندوق فارغة، إذ يجب أن يتوفّر قدرٌ معينٌ من المال في الصندوق، وقد تم تقديره (تم تعديله لاحقا) بمبلغ مئة ألف جنيه إسترليني.[93]

نجحت هذه اللوائح الداخلية في تحديد وتضييق عمل الصندوق المرتقب إقامته في مجال شراء الأراضي فقط دون وجود أية صلاحيات تنفيذية أخرى ضمن الصلاحيات الأخرى التي تقوم بها اللجنة الصهيونية التنفيذية، وذلك من أجل عدم تداخل الصلاحيات والسلطات، ومن أجل عدم إيجاد استقلالية للصندوق نفسه– من خلال الصلاحيات الموكلة له– عن المؤسسة الأم؛

---

[89] وولتر، *الصندوق القومي اليهودي*، صفحة 18.

[90] Alan R. Taylor*, Zionism and Jewish History*, (Journal of Palestine Studies, Vol. 1, No. 2, Winter, 1972), 40.

[91] Yosef Kats, *The land shall not be sold in perpetuity: the Jewish National Fund and the history of state ownership of land in Israel,* p 1.

[92] Moshe Levin, *The story of the Jewish National Fund*. Jerusalem, (Israel: Head Office, Jewish National Fund, 1957) p 109.

[93] وولتر، *الصندوق القومي اليهودي*، صفحة 36.

وهي المنظمة الصهيونية العالمية. لذلك كان هناك العديد من التعديلات حول اقتراح إقامة الصندوق قبل عام 1901، وقد تم فتح أول مكتب للصندوق القومي اليهودي في فيينا، وتم تعيين الشخصية الصهيونية جون كرمنسكي لرئاسة الصندوق.[94]

فقط في عام 1907، تم تسجيل الصندوق القومي اليهودي كجمعية محدودة الضمان وفقًا لقانون الشركات البريطاني، وهكذا أصبح الصندوق القومي اليهودي جمعيةً بريطانيةً بشكل رسمي وقانوني،[95] مما يوفر له الحماية القانونية من دولة استعمارية كبرى مثل بريطانيا تحفظ حقوقه ومصالحه من ناحية عملياته التي تجري خارج أراضي المملكة المتحدة، إذ تبرز هنا أهمية بريطانيا التي كانت مهتمة بأراضي الدولة العثمانية في الشرق، وبالتالي كانت فلسطين تقع ضمن مناطق الاهتمام لبريطانيا.[96]

تكمن أهمية المرحلة التأسيسية للصندوق القومي اليهودي في كونها مرحلة تأسيسٍ لكامل المشروع الاستعماري الصهيوني المنظم والمخطط، بعيدًا عن الشكل الذي أُنشئت من خلاله المستعمرات التي كانت منذ العام 1882، إذ أصبح الحديث عن مأسسةٍ للعمل والمشروع والتنفيذ بعيدًا عن الفردية يقع في لب الميثاق التأسيسي للصندوق نفسه، والذي تعود ملكية الأرض فيه "للشعب اليهودي" وليس لفئات أو أفراد، بل يعمل الصندوق على توفير الأرض للأفراد ويمنحهم حق التصرف فيها دون حق الملكية. وهكذا تتركز قوة المشروع الاستعماري بيد المنظمة الصهيونية العالمية المخوّلة بالهجرة والاستيطان وملكية الأرض، ما يحقق واحدةً من النتائج التي تحدث عنها فايز صايغ، وهي الانغلاق العنصري للصهيونية على نفسها من خلال هجرة جميع اليهود "من الشتات" وقيام عملية معاكسة تتضمن مغادرة جميع غير اليهود للأرض، وفي هذه اللحظة فقط يكتمل المشروع الاستعماري العنصري في فلسطين بشكلٍ يؤدي إلى تشويه ملكية الأرض والعمل والاقتصاد، إذ إنّ بروز الصهيونية كمؤسسة تعمل في الميدان يعطيها قوة القرار والتنفيذ بأهم شيء لنجاح المشروع الاستعماري؛ وهو السيطرة على الحيز الفيزيائي الذي يُعزى إلى الأرض المخصصة لصناعة مكان.[97]

الصندوق القومي اليهودي: الجهة الأكبر المالكة للأرض في فلسطين!!

---

[94] *About KKL- JNF- First decade: 1901-1910*, (Jewish National Fund) http://www.kkl-jnf.org/about-kkl-jnf/our-history/first-decade-1901-1910/

[95] Yosef Kats, *The land shall not be sold in perpetuity: the Jewish National Fund and the history of state ownership of land in Israel*, p12.

[96] *Report of the Legal Structure, Activities, Income and Liabilities of the Keren Kayemeth Leisrael*, (Jerusalem, Jewish National Fund, 1973), p.17.

[97] فايز صايغ، *الاستعمار الصهيوني في فلسطين* (بيروت: مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، 1965)، صفحة 32.

إن حقيقة امتلاك الصندوق القومي اليهودي حتى شهر أيار من عام 1948 حوالي 936 ألف دونم في فلسطين هي فكرةٌ تعبّر عن مدى اجتهاد القائمين على الصندوق في إنجاح فكرة الصندوق والمشروع الاستعماري الصهيوني برمته على أرض فلسطين.[98] ليس المقصود الملكية اليهودية الخاصة في فلسطين فقط، بل ملكية الصندوق لوحده، **فما هي الطرق والوسائل التي استخدمها من أجل امتلاك الأرض؟ وما هي أنواع الأرض التي استهدفها، وأي الأماكن الجغرافية التي حاول تركيز عملياته فيها؟**

منذ بداية تأسيسه، بدأ الصندوق القومي اليهودي عملية شراء الأراضي في فلسطين على نحو خاص، إضافةً إلى المناطق المحيطة بفلسطين. كان نمط عمله يقوم على استملاك الأرض ومن ثم التوطين المهاجرين اليهود بالمستعمرة، فكان جل اهتمام الصندوق شراء الأراضي، بغض النظر عن عدم وجود تواصل جغرافي في ما بينها (ما يحد من استخدامها)، إذ أدّى تلك الممارسات من خلال تأسيس "Palestine land development company(PLDC)" عام 1990. ومن خلالها استولى الصندوق على حوالي 50 ألف دونم في أنحاء فلسطين خلال 3 سنوات من تأسيس الشركة.[99]

حافظ الصندوق على استمراريته في السيطرة على الأرض الفلسطينية من خلال شراء مساحات متباعدة وغير متصلة أو من خلال التبرع بها من قبل أفراد يهود. بقيت هذه العملية ثابتةً حتى الحرب العالمية الأولى، والتي واجه فيها الصندوق بعض الصعوبات في شراء الأرض. لكنّ حينما حلّ الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، شهدت عملية الشراء تحولًا كبيرًا، إذ أصبح للمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين دولةٌ أُمٌّ تعمل على تنفيذ هذا المشروع "القومي" اليهودي في فلسطين، وتجلى ذلك الالتزام بوعد بلفور عام 1917 حتى قبل الاحتلال الفعلي لأرض فلسطين.[100] كما أن الحكم البريطاني ساعد في توطيد المشروع الاستعماري الصهيوني من خلال إزالة العوائق حول شراء اليهود للأراضي، ما فتح المجال أمام الصندوق اليهودي في سرقة مساحات أكبر من الأرض خلال الانتداب البريطاني وباستخدام ذات الهدف؛ وهو المساهمة في إقامة المستعمرات الزراعية على وجه الخصوص وتأجير الأراضي لليهود من أجل توطينهم فيها.

---

[98] Dan Leon, *The Jewish National Fund: How the Land Was 'Redeemed'* (Palestine- Israel Journal, 2012). *http://www.pij.org/details.php?id=410*

[99] Adolf Bohm, *the Jewish National Fund. Hague: Head Office of the Jewish National Fund*. P31-32.

[100] *Belfour Declaration* (Ministry of foreign Affairs). http://www.mfa.gov.il/mfa/foreignpolicy/peace/guide/pages/the%20balfour%20declaration.aspx

يُعتبر استملاك الأرض الهدف الرئيس للصندوق، لكن كانت ثمّة وظائفُ أخرى له تشمل تقديم القروض وإنشاء البنى التحتية واستصلاح الأراضي وتحريجها، وكان يشترط على المستأجرين اليهود أن يستخدموا عمالًا يهودًا فقط، ولذلك كان يعد الصندوق أحد أعمدة العمل العبري الذي يعدّ شكلًا آخرَ من أشكال الانغلاق الاستعماري تجاه السكان الفلسطينيين.[101]شهدت حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين انفتاحًا كبيرًا على شراء الأراضي الفلسطينية، خاصةً من خلال العديد من سماسرة الأرض اليهود (بشكل أساسي)، والذين ازدهرت أعمالهم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فكما يذكر "يوسف نحماني"– في مذكراته المنشورة الذي تمّ فيه جمع مذكراته– كيف كان يقوم بعملية الاستيلاء على الأرض من خلال الاتفاق مع بعض الأشخاص من أجل تحويلها إلى ملكية يهودية، سواء كان ذلك لأجل إقامة المستعمرات أو لغير ذلك. ومن الأمثلة على ذلك الاستيلاء على الأراضي في منطقة الحولة من خلال ما يُسمى امتياز الحولة، وقُدرت المساحة التي كان لهم قدرة الاستيلاء عليها 102 ألف دونم، والتي تعود إلى "عائلات أفندية من صفد". [102]

في عام 1928، سنَّ الانتداب البريطاني قانونًا جديدًا (ليس معدلًا) بخصوص مسح وتسجيل الأراضي، وكان اسمه قانون التسوية، ويهدف إلى تحديد ملكيات الأراضي وتسجيلها من خلال القيام بإجراءات تنطوي على الزيارات الميدانية، وكانت اللجان التي توكل لها مهمة بالتسجيل قد اعتمدت على علم المساحة والمسح الطبوغرافي من خلال تقسيم فلسطين إلى إحداثيات مكونة من بلوك وقسيمة، وقد تم تسوية مساحة 5.5 مليون دونم من عام 1928–1948؛ حوالي خمسة ملايين منها في "إسرائيل"، إذ إن التسجيل استهدف الأماكن التي استوطنها اليهود بالدرجة الأولى.[103] ومن خلال عملية التسوية التي تركت أثرًا واضحًا في تثبيت الملكية اليهودية، وضعت الحكومة البريطانية ومنذ النصف الثاني من عقد ثلاثينيات القرن العشرين مخططًا تم من خلاله تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق؛ وهي المنطقة "أ" والتي يُمنع على اليهود شراء الأراضي فيها، والمنطقة "ب" التي يُفرض فيها قيود على شراء اليهود للأراضي، أما المنطقة الأخيرة وهي المنطقة "ج" فكان لليهود حرية الشراء فيها. ومع تطبيق

[101] Walter Lehn, *The Jewish National Fund: An Instrument of Discrimination*, (The International Organization for The Elimination of all Forms of Racial Discrimination, 1982), p. 2-3.

[102]يوسف فايتس، مذكرات سمسار أراضي صهيوني (ترجمة إلياس شوفاني)، (دمشق: دار الحصاد، 2010)، صفحة 69-70.

[103] Ahmad Amara, *the Negev Land Question: Between Denial and Recognition*, (Washington: Institute for Palestine Studies, 2012/2013) 33.

هذا المخطط، أصبحت هناك عوائقُ أمام الصندوق اليهودي في شراء الأراضي، فتركزت معظم الأراضي التي امتلكها في الساحل والسهل الساحلي التي كان أغلبها إما من أجل البناء الاستعماري أو من أجل الزراعة.[104]

" إن الاستيلاء على الأرض هو هدف مضمر ومعلن" هكذا افتتح رائف زريق مقالته بعنوان الأرض، القانون، الأيدولوجيا، والتي في طياتها تعالج الدور الاستعماري في السيطرة على الأرض. ومما لا شك فيه في كون المشروع الصهيوني الاستعماري منذ بدايته، أي منذ عام 1882 هدفه كان الاستيلاء على الأرض وتجيير استخدامها لخدمة المشروع الاستعماري على أرض فلسطين. منذ البداية، يأتي القانون كأداة أو وسيلة من خلالها يتم إعطاء الشرعية لما تم أخذه بالقوة (ربما رؤية القوانين التي تم سنها فقط منذ عام 1948 حول موضوع الأراضي هي أكثر من الحقبة البريطانية والعثمانية مجتمعتين تبرز مدى اهتمام إسرائيل بأهمية استغلال القانون كوسيلة لا يمكن نجاح المشروع الاستعماري بدونها). [105]

هنالك العديد من الأوجه التي تعطي خصوصية للمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين، ومنها ما يرتبط بمنظومة السيطرة على الأرض؛ إحدى تلك الأوجه هي الملكية الجماعية للأرض تحت منظومة مؤسساتية تخرج الأرض من سياق الملكية الفردية إلى سياق الملكية الجماعية التي تحتكر حق التصرف بالأرض، أي بمعنى إخراجها من السوق ومن التداول. لكن ومن أجل فهم سياق منظومة الاستيلاء على الأرض الذي استعانت بها إسرائيل منذ أواخر القرن التاسع عشر، لا بد للدارسة أن تستعرض خلفية وأسس القوانين التي اعتمدت عليها إسرائيل منذ حقبة الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين (1917-1948) الذي بدوره اعتمد على جزء كبير من القوانين العثمانية حول الأرض.

لا يمكن الحديث عن الاليات والوسائل القانونية المتعلقة بالأراضي دون الحديث عن الفترة التأسيسية التي قام بها الاستعمار البريطاني في فلسطين؛ بدايةً من وعد بلفور مرورًا بصك الانتداب وبداية الفترة التأسيسية للوطن القومي "اليهودي" على أراضي فلسطين وعد بلفور الذي نص بشكل واضح على إقامة وطن قومي يهودي على أرض فلسطين ومن ثم بداية استغلال منظومة القوانين من أجل السيطرة على الأرض.

في 2 تشرين الثاني 1917 صدر وعد بلفور، والذي فيه تم الإعلان بوضوح عن دعم بريطانيا للاستيطان اليهودي في فلسطين ومن ثم إنشاء وطن قومي يهودي عليها، أما نص انتداب فلسطين في مادته الثانية والرابعة، فهو يلزم السلطة المنتدبة في ضمان

---

[104] وولتر، *الصندوق*، صفحة 73.

[105] رائف زريق، *الأرض، القانون، الايدولوجيا*، (رام الله: مجلة قضايا إسرائيلية – مدار، 2014/54) 9.

قيام وطن قومي يهودي (تطبيقًا لوعد بلفور)، فتتضمن المادة الرابعة الاعتراف بوكالة يهودية كهيئة عمومية استشارية. ومن ثم تسهيل الهجرة اليهودية وفق المادة السادسة وحشدهم في أراضي الموات والأراضي الأميرية الغير مطلوبة للمقاصد العامة، وقد تمت المصادقة على صك الانتداب في تموز 1922.[106] وقد كان هيربرت صموئيل المسؤول الأول عن تنفيذ ما فرضه وعد بلفور ونص الانتداب على فلسطين، فقد تم تعيين هيربرت صموئيل كأول مندوب سامي على فلسطين عام 1920 والذي كان صهيونيًا يهوديًا، وقد تسلم منصبه بما يُعرف بالفترة التأسيسية للوطن القومي اليهودي في فلسطين.[107]

كان القانون من الأدوات الهامة والبنيوية التي استخدمها الانتداب البريطاني ضمن منظومة السيطرة، إذ قامت الحكومة البريطانية بالإبقاء على القوانين العثمانية الخاصة بالمحاكم الشرعية والأراضي مع بعض التعديلات عليها، وقد كانت البداية عام 1920 والتي فيه تشكلت لجنة (ابرامسون) التي كانت تُعنى بفحص واحصاء ما هي الأراضي التي يمكن اعتبارها أراضي دولة، وذلك رغبة منهم لإيجاد مناطق خالية، وكانت هذه اللجنة قد تشكلت بأمر من الحكومة العسكرية البريطانية، وقد صدر تعديل قانون المحلول والذي ينص على أن الأرض الميري التي لا يتم فلاحتها لثلاث سنين متتالية، يفقد صاحب التصرف فيها حقه بحيازتها وتصبح أرض تابعة للدولة، بينما في القانون العثماني كانت تعرض الأرض على الصاحب الأرض او الجار أو القرية لشرائها، بينما أرض الميري التي يتم فلاحتها لمدة أكثر من عشر سنوات، تصبح أرض ملك.

في عام 1921، تم تعديل قانون أرض الموات العثماني، فأصبح من الوجوب الحصول على أذن في إحياء أرض الموات ومن لا يأخذ إذن وقام بإحيائها، يتم اعتباره متعد مخالف للقانون، أما من يجد أن لديه حقوق في أرض الموات، لديه شهرين من وقت تعديل القانون حتى يقوم بتسجيلها، لكن مع ذلك كان للبدو في النقب حالة خاصة تراعي وضعهم وإرثهم الاجتماعي في طريقة توزيع الأرض والسكن بها، كما كان لهم محاكمهم الخاصة بهم.[108]

في عام 1928، قام الانتداب البريطاني بسن قانون جديد وليس معدل بخصوص مسح وتسجيل الأراضي وكان أسمه هو قانون التسوية، إذ أنه كان يهدف إلى تحديد ملكيات الأراضي وتسجيلها من خلال القيام بإجراءات شبه قضائية، وكانت اللجان التي تقوم بالتسجيل قد اعتمدت على علم المساحة والمسح الطبوغرافي من خلال تقسيم فلسطين إلى احداثيات مكونة من بلوك

---

[106] The Avalon Project, *The Palestine Mandate* (New Haven: Lillian Goldman Law Library, 2008).
[107] Sahar Huneidi, *A Broken Trust: Sir Herbert Samuel, Zionism and the Palestinians1920-1925* (New York: I.B. Tauris Publisher) 24-25.
[108] Ahmad Amara, Ismael Abu-Saad, and Oren Yiftachel*, Indigenous (In) Justice: Human Rights Law and Bedouin Arabs in the Naqab/Negev (Cambridge: Harvard University Press, 2012) 83.*

وقسيمة، وقد تم تسوية مساحة 5،5 مليون دونم من1 عام 1928–1948، حوالي خمسة ملايين منها موجودة في حدود "إسرائيل" ، فالتسجيل استهدف الأماكن التي استوطنها اليهود بالدرجة الأولى.[109]

خلال النصف الأول من عقد الثلاثينيات، كان هنالك هجرة يهودية كبيرة على فلسطين خاصة من ألمانيا خاصةً مع توقيع اتفاقية ما بين الوكالة اليهودية والنظام النازي بألمانيا عام 1933 يسمح بهجرة اليهود الألمان مع ممتلكاتهم إلى فلسطين، وهذا كان سبب مباشر في تزايد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وزيادة شراء الأراضي فيها من قبل اليهود الألمان.[110]

مع حلول ثورة عام 1936، والتي أظهرت عدم القدرة على التعايش ما بين العرب واليهود، ظهرت فكرة تقسيم فلسطين لدى حكومة الانتداب، حيث وضعت تقسيم ثلاث المناطق لفلسطين الانتدابية، وهي منطقة أ و ب و ج، فمنطقة أ البيع فيها لليهود ممنوع ومنطقة ب يُسمح فيها البيع لليهود ومنطقة ج تحتاج إلى اذن للشراء(من قبل اليهود).[111]

كانت لجنة بيل عام 1936 بخطة لتقسيم فلسطين إلى ثلاثة مناطق: دولة يهودية، دولة عربية تتحد مع شرق الأردن، منطقة تبقى واقعة تحت الانتداب، لكن ذلك لم يتم تنفيذه، أما في عام 1947 تم صدور قرار تقسيم فلسطين والصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة وذلك من أجل إيجاد حل لقضية العرب واليهود في فلسطين، وحتى ذلك التاريخ، كان اليهود قد امتلكوا ما يقارب 6.5% من كامل أرض فلسطين.[112]

خلال عام 1948، بدأ التحول السريع في السيطرة الصهيونية على الأرض، خاصة بعد عمليات التهجير والقتل التي بدأت بشكل ممنهج وعلى نطاق يزداد اتساعًا حتى بعد إعلان قيام "دولة إسرائيل" في 15 أيار من عام 1948، إذ خلال هذه الفترة الحاسمة انتقلت الملكية اليهودية من 8.5% إلى حوالي 93% من أصل 20.6 مليون دونم قامت عليها دولة إسرائيل، وهذا ما ساعدت عليه أيضًا منظومة القوانين من الإرث العثماني والبريطاني، إضافة إلى العديد من القوانين التي تم سنها خلال فترة تأسيس الدولة حتى بداية الخمسينات التي كان لها الأثر المباشر في انتزاع الملكية الفلسطينية. [113]

---

[109] Ahmad Amara, *The Negev Land Question: Between Denial and Recognition*, (Washington: Institute for Palestine Studies, 2012/2013) 33.

[110] Yf'aat Weiss, *The Transfer Agreement and the Boycott Movement: A Jewish Dilemma on the Eve of the Holocaust*, (Jerusalem: Shoah Resource Center, The International School for Holocaust Studies) 1.

[111] أحمد أمارة، *محاضرة عامة حول الارث القانوني العثماني والبريطاني ومشروع الاستعمار الإسرائيلي*، (بيرزيت: محاضرة عامة بتاريخ 7-12-2016).

[112] راسم خمايسي، *هكذا سرّبت ونزعت الأرض في فلسطين*، (بيت لحم: مركز بديل، 2006).

[113] Ahmad Amara, Ismael Abu-Saad, and Oren Yiftachel, *Indigenous (In) Justice: Human Rights Law and Bedouin Arabs in the Naqab/Negev (Cambridge: Harvard University Press, 2012) 73.*

كانت القيادة اليهودية تحتاج إلى ملكية الأرض بعد فرض السيادة عليها كنتيجة لحرب عام 1948، ومن القوانين التي استخدمتها كان اعلان أنظمة الطوارئ لقانون الأملاك المتروكة وقانون الأراضي المبوّرة بخصوص الحفاظ على خصوبة الأراضي التي يحددها وزير الزراعة.[114]

يعتبر قانون أملاك الغائبين 1950 والذي سيطر على أملاك اللاجئين الفلسطينيين الذين تركوا ممتلكاتهم وبيوتهم بسبب الحرب من القوانين الكبرى التي حصدت مساحات كبيرة من ممتلكات وأراضي اللاجئين، والنقطة الرئيسية في هذا القانون هو أن الممتلكات مسيطر عليها ومدارة من قبل حارس أملاك الغائبين وأنه من أجل أن يستعيد صاحب الملك حقه، يجب عليه اثبات حقه بنفسه، مما يزيد من صعوبة تحرير أملاكه لدى حارس أملاك الغائبين.[115]

قانون الاستملاك الذي صدر عام 1953، والذي جاء ليكمل ما لم يستطع قانون أملاك الغائبين الحصول عليه، فمن خلال وزير المالية المفوض بتطبيقه، يتم مصادرة أي أرض لم تكن بيد أصحابها في نيسان من العام 1953 وتم استخدامها لهدف أمني أو استيطاني أو للتطوير من1 أيار 1948 حتى الأول من نيسان 1952، وما زال هنالك حاجة لها.[116]

إدارة إسرائيل للأراضي هنالك معادلة متشابكة ومحاصصة في إدارة إسرائيل للأراضي وذلك من حيث الملكية والجهة المسؤولة والمكان المستهدف ونوع الملكية، حيث أن هنالك الصندوق القومي اليهودي(JNF) والذي تأسس قبل قيام الدولة عام 1901، وكان مسجل كشركة بريطانية حتى عام 1953 بعد نقل أملاكه الى صندوق أراضي إسرائيل (KKL)، وقد أصبح الصندوق يملك حوالي 2،5 مليون دونم بعدما كان يملك أقل من 900 ألف دونم قبل عام 1948.[117] كان شراء الأراضي من العرب هدفا لا زال يحققه الصندوق القومي اليهودي حتى بعد إقامة إسرائيل، ومن خلال بيع الدولة لأراضي المهجرين، مما جعل الصندوق يمتلك حقوق ملكية كبيرة وتأثير كبير على كافة الأطراف، حيث أنه يقوم بشراء الأرض ومن ثم يخصصها للاستيطان بشكل مباشر حتى وصل ما مجموع 350 مستوطنة أُقيمت على أراض مُهجرة.[118]

---

[114] هيلل كوهين، *الغائبون الحاضرون: اللاجئون الفلسطينيون في إسرائيل منذ سنة 1948، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003) 89-86.*

[115] دافيد كريتشمر، *المكانة القانونية للعرب في إسرائيل*، (القدس: معهد فان لير، 2002) 70-68.

[116] مصدر سبق ذكره، 72

[117] مصدر سبق ذكره، (القدس: معهد فان لير، 2002) 76.

[118] هيلل كوهين، *الغائبون الحاضرون: اللاجئون الفلسطينيون في إسرائيل منذ سنة 1948، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003) 171.*

أما سلطة التطوير التي يوجد لديها قانون خاص أسمه قانون سلطة التطوير عام 1950، وهذه السلطة تقوم على شراء واستغلال الأملاك التي تكون تحت يد القيم على أملاك الغائبين(تمتلك هي أيضا حوالي 2.5 مليون دونم) ومن ثم تقوم هذه السلطة بالتصرف بها من خلال بيعها أو تأجيرها أو استغلالها وفقط يمكنها بيع الممتلكات لجهات معينة مثل الصندوق القومي اليهودي أو للدولة أو لسلطة محلية أو سلطة معينة من قبل الدولة لإسكان العرب والتي هي بقيت حبرا على ورق.[119]

في عام 1960 صدر قانون أراضي إسرائيل والذي ينص على إقامة جهة تدير كافة أراضي إسرائيل، ومن أجل وضع كافة أراضي الدولة تحت سيطرتها من سلطة التطوير وصندوق أراضي إسرائيل وأراضي الدولة، ومن خلال الجهة الجديدة والذي تم تسميتها بدائرة أراضي إسرائيل يوجد في مجلسها 13 عضو، سبعة أشخاص تعينهم الدولة والستة الباقين يعينهم صندوق أراضي إسرائيل– الصندوق القومي اليهودي أما سلطة تطوير الأراضي والتي (هي مختلفة عن سلطة التطوير التي يمثلها قانون سلطة التطوير) تتكون من 13 عضو أيضا، سبعة يعينهم صندوق أراضي إسرائيل وستة تقوم الدولة بتعيينهم.[120]

في صطاف، لم يتم هنالك أي عملية بيع للأرض فيها، [121] لكن التساؤل التي تطرحه الدراسة في كيفية تحول ملكية الأرض في صطاف من ملكية فلسطينية كانت تقع في أيدي أصحابها الفلسطينيين حتى تاريخ 13 تموز من عام 1948 إلى ملكية تقع ضمن "ممتلكات" الصندوق القومي اليهودي، وهذا كان قبل بناء المتنزه عام 1984.

بعد تفكيك منظومة السيطرة على الأرض، واحتكار مسؤولية الصندوق القومي اليهودي على أراضي صطاف، يمكن للدراسة أن تستنتج في كون أرض صطاف كانت قد انتقلت من سيطرة "الدولة" التي استولت على أراضيهم ضمن قوانين أملاك الغائبين (بعد طرد أهل القرية) إلى سيطرة الصندوق القومي اليهودي. تستطيع الدراسة اثبات سيطرة الدولة على الأرض في صطاف، وذلك من خلال وثائق الأرشيف الصهيوني التي توثق اقتراحات الحكومة باستيطان صطاف، لكن بعد فشلها أبقت على الأرض كمنطقة يتم استغلالها للتدريبات العسكرية. لكن يبقى على الدراسة إثبات كيفية انتقال أرض صطاف إلى الصندوق القومي اليهود؛ من

---

[119] مايكل ر. فيشباخ، *سجلات السلب: أملاك اللاجئين الفلسطينيين والصراع العربي الإسرائيلي*، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2013) 73.

[120] دافيد كريتشمر، *المكانة القانونية للعرب في إسرائيل*، (القدس: معهد فان لير، 2002) 76.

[121] تضمنت مقابلات التاريخ الشفهي تساؤلات حول ملكية الأرض في صطاف، ودائمًا شدد أهالي القرية على عدم بيعهم لأي جزء من أراضيهم إلى جهات يهودية.

خلال "شراء" الصندوق أراضي صطاف من سلطة التطوير، أو عند البدء في التخطيط لمشروع "بناء" المتنزه قامت بنقل السيطرة على صطاف إلى الصندوق؟

وظيفة أخرى للصندوق القومي اليهودي!!

صحيح أن هدف الصندوق القومي اليهودي الأول كان امتلاك الأرض من أجل بناء المستعمرات الاستيطانية عليها، لكنه يؤدّي وظيفةً لا تقل أهمية عن ذلك، خاصةً بعد إقامة "إسرائيل" عام النكبة، وهي تحريج الأراضي التي امتلكها الصندوق، والتي تنقسم بدورها إلى نوعين: إمّا أراضٍ موجودة بالجبال والتي لا تصلح للزراعة، أو أراضي القرى الفلسطينية التي تم تهجير أهلها الفلسطينيين منها خلال نكبة عام 1948 بغية فرض حيزٍ جديدٍ ضمن الدولة "اليهودية" يكون معاكسًا لما كان شكل الأرض الفلسطينية قبل عام النكبة.

على الرغم من أن عمليات التشجير توسعت بعد عام النكبة، إلا أن عمليات الصندوق القومي بدأت خلال الحقبة العثمانية في فلسطين، إذ كانت أول عملية تحريج للأرض نفّذها الصندوق القومي اليهودي في منطقة بن شيمن (دير طريف) القريبة من منطقة اللد، وقد تمت تسمية تلك "الغابة" على اسم مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هيرتزل بالعقد الأول من القرن العشرين.[122] لكن النهضة الحقيقية في عملية التحريج كانت خلال العقد الثالث من القرن العشرين(1920-1929) على يد قيادي صهيوني يسمى "يوسف فايتس" الذي تسلم منصب رئيس دائرة تحريج الأراضي في الصندوق القومي اليهودي، وقد تمت تسميته "أب غابات إسرائيل" لما كان له من دورٍ كبيرٍ في عملية التحريج.[123] في الحقيقة، إن ثقل عملية التحريج وتأثيرها على الحيز الجغرافي الفلسطيني كان واضحًا عندما وصلت تلك الظاهرة المقصودة إلى أراضيهم، خاصةً الذين تهجروا منها بعد نكبة عام

[122] *About KKL- JNF- First decade: 1901-1910*, (Jewish National Fund)
http://www.kkl-jnf.org/about-kkl-jnf/our-history/first-decade-1901-1910/

[123] *About KKL- JNF- Fourth Decade: 1931-1940,* (Jewish National Fund)
http://www.kkl-jnf.org/about-kkl-jnf/our-history/fouth-decade-1931-1940/

1948، إذ "اشترى" الصندوق القومي اليهودي أراضي اللاجئين الفلسطينيين بعد تهجيرهم من الحكومة التي عرضتها بدورها للبيع، وذلك بناءً على قوانين الإقصاء، مثل قانون أملاك الغائبين وقانون سلطة التطوير المسؤولة عن أملاك الغائبين وتطويرها.[124] سُمح لسلطة التطوير من قبل الحكومة بالتصرف بأملاك اللاجئين من خلال بيعها لأربع جهات فقط؛ وهي: الحكومة، الصندوق القومي اليهودي، السلطات المحلية، مؤسسات لتوطين العرب (لم تكن هناك أي مؤسسة لتوطين الفلسطينيين قد تأسست على أرض الواقع).[125]

أصبح دور الصندوق القومي اليهودي محوريًا عند انتقاله من مرحلة الاستملاك ضمن دولة الانتداب إلى مرحلة الدولة "اليهودية"، إذ أصبح دوره سياديًا من حيث التحكم في تصنيف الأرض وحصر استخدامها بعد الحصول على موافقة الصندوق، فبعد عام 1948 تم "قانونيًا" الاعتراف بالصندوق القومي اليهودي مسؤولًا حصريًا عن عملية استصلاح وتحريج الأراضي التي تقع تحت مسؤولية دائرة أراضي إسرائيل حسب قانون أساسي في الكنيست تم "إقراره" عام ،1960 والذي ينص على الدور الأساسي للصندوق في استصلاح أراضي "إسرائيل"، والتي بلغت في حينه 93% من مساحة "إسرائيل" والتي تُقدر بحوالي 19,5 مليون دونم.[126]

تغيرت الوظيفة دون تغير الجوهر لدى الصندوق القومي اليهودي، فانتقل من منظمة استيطانية وأداة استعمارية من خلال امتلاك الأرض إلى منظمة "بيئية" تسعى للحفاظ على "إسرائيل" خضراء، حيث إن الصندوق قد أصبح مؤسسة "خيرية بيئية" في أكثر من خمسين دولة، كما أن الصندوق مسؤولٌ عن كافة المناطق الخضراء التي يُطلق عليها اسم متنزهات والتي تعدّ مشهورة لدى اليهود، خاصةً في يوم "استقلال إسرائيل".[127]

---

[124] Salman Abu Sitta, *Dividing War Spoils: Israel's Seizure, Confiscation and Sale of Palestinian Property,* (London: Palestine Land society, 2009), p18.

[125] دافيد كريتشمر، *المكانة القانونية للعرب في إسرائيل*، (القدس: معهد فان لير، 2002) صفحة 75.

[126] Ahmad Amara, Ismael Abu-Saad, and Oren Yiftachel*, Indigenous (In) Justice: Human Rights Law and Bedouin Arabs in the Naqab/Negev (Cambridge: Harvard University Press, 2012) 75.*

[127] Nur Masalha, The Palestine Nakba: *Decolonising History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory* (London & New York, Zed books, 2012), 129.

ثانيًا: ممارسات هندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف

يتبادر إلى الذهن عند رؤية لافتة الصندوق القومي اليهودي على أرض فلسطينية كيف أن الأرض قد "سُلبت" أو "ضاعت"، فمفهوم السلب أو ضياع الأرض يوائم حال معظم الأراضي التي وقعت تحت سيطرة الصندوق القومي اليهودي بعد عام 1948 (سواء الأراضي التي تقع تحت سيطرته بشكل مباشر أو غير مباشر). ويتخطى الأمر السيطرة على الأرض إلى أداء ممارسات تنجح في إعادة صياغة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، بهدف صناعة مكانٍ جديدٍ، بما يخدم مصالح وأهداف وأيدولوجيا الصندوق القومي اليهودي الذي يعتبر أحد الأذرع البنيوية الصهيونية "الطلائعية والرائدة".

في صطاف لم تكن ممارسات الصندوق القومي اليهودي ذات شكل واحد، بل تعددت الأنماط والأشكال لضمان أكبر قدر من السيطرة على إدارة وهندسة المكان. لذلك سنسعى في هذه الجزئية من الدراسة إلى استعراض تلك الممارسات من أجل معالجتها وفهم أثرها على هندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف من خلال الصندوق القومي اليهودي. تأسيسًا على ما سبق، تبذل الدراسة جهدًا في ضم أكبر قدر من الممارسات التي يؤديها الصندوق حتى يتم تجميع أغلب عناصر الصورة التي تعكس واقع المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف في الزمن المعاصر.

من ناحية الممارسات التي يمارسها الصندوق بقرية صطاف المهجرة، فهي لا يختلف حالها عن باقي المكانيات الفلسطينية التي وقعت تحت سيطرته، خاصةً من ناحية فرض ممارسات المكان وإسقاط أبعاد مختلفة عليه تتقاطع مع أهداف الصندوق وأيدولوجيته، ولكن في ذات الوقت تُعد صطاف حالةً مختلفةً واستثنائيةً عن أغلب المكانيات الأخرى، على اعتبار أن الممارسات التي مارسها الصندوق فيها، خاصةً بجزئية تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، هي ممارسات مركبة تجمع في ما بينها توليفة من الممارسات التي كان أهل صطاف يؤدونها قبل عام 1948، وما بين ممارسات الصندوق الأخرى، لتتماهى بذلك عدة

ممارسات أداها الصندوق مع جغرافية المكان (مع مراعاة أهداف الصندوق ومصالحه) بشكل أكبر من التماهي مع الأيديولوجيا الصهيونية للصندوق (في ظاهر الأمر)، ما أثّر بشكلٍ مباشرٍ على تشكيل وصناعة المكان بسياق مختلف وطريقة مغايرة عن الحالات الأخرى. وفقًا لذلك، يظهر وكأن بعض الممارسات التي تؤديها أذرع الصندوق القومي اليهودي (المحافظة على أغلب جزئيات المشهد الفلسطيني في صطاف، خاصةً المشهد الزراعي) تتناقض مع باقي الممارسات التي يمارسها ذات الصندوق كالتشجير والتحريج مثلًا، وهذا بالتحديد ما تعالجه هذه الجزئية للدراسة في سياق تشكيل وصناعة المكان في صطاف.

ثالثًا: فكرة المتنزه: ما بين المخطط والتنفيذ

في مجادلتها حول المكان، تحاول نوجا كادمان إظهار خلفية بناء الغابات والمتنزهات على أراضي القرى الفلسطينية المهجرة عام 1948، وتثبت ادعاءها في أن هذه المتنزهات ما هي إلا محوٌ لمشهد القرية الفلسطينية من المكان؛ المكان الذي كان مشغولًا بممارسات أخرى تختلف عما كانت عليه من قبل عام 1948.

"تم تدمير القرى الفلسطينية المهجرة من أجل محوهم من المشهد. وبالمقابل، أغلب مواقع تلك القرى موجودةٌ في مناطق مفتوحة، وفي الكثير من الأماكن يمكن بوضوح ملاحظة آثار تلك القرى. على مر السنوات، في كثير من المواقع تم تشجير الغابات، إقامة المتنزهات، تم إعلان كل المناطق كحدائق وطنية ومواقع "الطبيعة"، رصف مسارات المشي".[128]

من ضمن تلك المواقع التي ذكرتها كادمان كان متنزه قرية صطاف، إذ يشكل متنزه صطاف جزءًا من مشروع أكبر- (بالرغم من خصوصيته في صطاف) - يضم فيه الكثير من القرى المهجرة، وتتم من خلاله محاولة تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها، إذ إن ثمّة الكثير من الممارسات التي يؤديها الصندوق القومي اليهودي ما بين القرية والأخرى، لكن مع بعض المفارقات والاختلافات بين المكان والآخر تبعًا لجغرافية المكان، فالهدف من صناعة مكان جديد هو أن يحل محل ما سبقه.

في هذه الدراسة يتم التركيز على حالة متنزه صطاف، خاصة من ناحية الممارسات التي يعمل من خلالها الصندوق القومي اليهودي على صناعة مكان جديد على أراضي قرية صطاف المهجرة، ومحاولته من خلال ذلك المكان تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها. لكن كيف بدأت العلاقة بين صطاف كقرية فلسطينية مهجرة ومدمرة وبين المتنزه الذي أُقيم على أجزاء

[128] Noga Kadman, Oren Yiftachel, Dimi Reider, and Ofer Neiman, *Erased from space and consciousness: Israel and the depopulated Palestinian villages of 1948*.

واسعة منها؟ وما هي مميزات مشروع المتنزه في صطاف عن غيره من مشاريع المتنزهات والحدائق التي أُقيمت فوق القرى الفلسطينية المهجرة؟

لم تبدأ العلاقة ما بين صطاف والمتنزه مبكرًا، بل بدأت بشكل متأخر نسبيًا عن حالات أخرى في أماكن عديدة كانت قد واجهت مصيرًا مشابهًا، فجاءت فكرة المتنزه والتي لم يبدأ تنفيذها في الواقع إلا في بداية ثمانينيات القرن العشرين، وبالتحديد عام 1984-1985 (بدأت التحضيرات للمتنزه قبل هذا التاريخ) للمساهمة في محاولة "الحفاظ على المشهد الزراعي" الموجود في صطاف،[129] لكن ما الهدف من الحفاظ على مشهد عملوا هم بالمقام الأول على تشويهه من خلال اقتلاع أهل صطاف في حرب عام 1948(لم يتم طرد سكان قرية صطاف بالقوة العسكرية، لكن بسبب ما تم ارتكابه من مجازر مثل مجزرة دير ياسين، فَضَّل أهل القرية الخروج منها قبيل دخول الجيش الإسرائيلي)،[130] إذ كان السكان قبل ذلك يشكلون جزءًا لا يتجزأ من صورة الحفاظ على المشهد الطبيعي للمكان واستعمالات الأرض فيه، خاصةً المشهد الزراعي؟ لكن بالعودة إلى مشروع المتنزه؛ لماذا تم بدء العمل به في سنوات الثمانينيات (هل حقًا كانت الفكرة بداية سنوات الثمانينيات؟)، وكيف تم استخدام المتنزه كوسيلة في صناعة المكان وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيه؟

في هذا الفصل ومن خلال كافة جزئيات التحليل توضّح الدراسة جزئية "مسألة الحفاظ على ذلك المشهد الزراعي" الموجود في صطاف، لكونه يمثّل الحالة المركبة التي تحتاج إلى فهم ومعالجة معمقة يتم من خلالها تفكيك الممارسات التي أداها الصندوق القومي اليهودي تجاه المكان، والأمر المؤكد هو أن إقامة متنزه صطاف على أراضي قرية صطاف المهجرة بين أعوام 1984-1985 لم تكن من أوائل ممارسات الصندوق القومي اليهودي في صطاف، بل كانت ممارسات التشجير على أراضي القرية الموجودة على الأطراف شاهدةً أيضًا على ذلك.

صطاف: ما بين هدم بيوتها وإقامة المتنزه مكانها

خلال عام 1948 لم يبقَ أحدٌ في صطاف من سكانها، إذ تم تهجير القرية (كان لمجزرة دير ياسين الأثر الأكبر في خوف السكان على أرواحهم من مواجهة نفس مصير أهالي دير ياسين. لذلك عند اقتراب المعارك من صطاف خلال شهر تموز من عام 1948

[129] יוסי שפנייר, בוסתן עצי ארץ-ישראל בסטף,(ירושלים: קרן קימת לישראל), עמוד 4.
[130] تم اقتباس ذلك من أقوال أهل صطاف أنفسهم حلال إجراء المقابلات في كل من تاريخ 25كانون أول 2017 وتاريخ 2كانون الثاني 2018.

توجه السكان إلى مناطق أكثر أمانًا).[131] أما مصير بيوت القرية فكان مغايرًا لعدة سنوات لاحقة، إذ تمثل مصيرها بالبقاء (في أغلبها) بعيدًا عن الهدم حتى عام 1968.[132]

في داخل الأرشيف الصهيوني لم تكن هناك (أو أنه لا يمكن كشفها) وثائقُ تذكر بيوت قرية صطاف أو أسباب وزمن هدمها. لكن في مقابلة مع غيدي بَشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف التابع للصندوق القومي اليهودي،[133] ذكر– دون وجود رغبة منه في التطرق إلى أسباب هدم بيوت صطاف– أن عام 1968 (بشكل تقريبي) كان العام الذي تم فيه هدم بيوت قرية صطاف مع الإبقاء على بعض البيوت التي لا تزال موجودةً إلى يومنا هذا. لكن يمكن الادعاء أن دافع الحكومة الإسرائيلية إلى هدم بيوت القرية يُعزى إلى تخوفها من عودة اللاجئين إليها بعد حرب حزيران عام 1967؛ أي بعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة على وجه التحديد (كان فيهما العديد من مخيمات اللجوء الفلسطيني). لا بد من الإشارة إلى أنه بعد عام 1948 جرت محاولة إقامة "توطين" جزء من المستوطنين اليهود من شمال أفريقيا (مغاربة على وجه الخصوص) في صطاف، وقد تم تسمية المكان باسم مستوطنة "الباكورة"، إلا أنهم لم يستطيعوا السكن بالمنطقة إلا لعامٍ واحدٍ.[134]وبعد ذلك، تحولت المنطقة العلوية من صطاف إلى مكانٍ لتدريب وحدة من الجيش تُدعى وحدة101. [135] وبذلك، يمكن للدراسة توكيد ادعائها القائل بأن فكرة بناء المتنزه في صطاف كانت جزءًا من الأسباب التي أفضت إلى هدم بيوت القرية بعد مرور سنوات من إبقائها مهملةً دون هدمها، وذلك لتقارب التواريخ ما بين كل من هدم البيوت عام 1968 وبين تقديم أوائل المقترحات حول "فكرة متنزه الجبل" عام 1971.[136]

أما كلمات غيدي بشن فجاءت لتوكيد هذا الادعاء بقوله كالتالي:–

"قرر الصندوق القومي اليهودي أن يأخذ قرية مهدمة، كانت قرية صطاف مهدمة منذ حوالي عام 1968، هدموها بعد حرب الأيام الستة (حرب حزيران عام 1967) وليس بعد حرب الاستقلال (يقصد بها نكبة عام 1948). لماذا هدموها، هذه سياسة. موضوع يعنيني لكن هذه كانت سياسة

---

[131]السيد إسماعيل العبد عبيد الله، تم إجراء المقابلة مع الحاج إسماعيل في الأردن بتاريخ 21 حزيران 2007 من قبل مدير مشروع التاريخ الشفوي في الأردن ركان محمود.

[132]مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 2كانون الثاني 2018.

[133]من الجدير ذكره أن غيدي بشن ليس فقط مسؤول الغابة والجمهور في صطاف والعديد من المناطق المحيطة، إنما أيضًا يعيش في المكان منذ ما يقارب 34 سنة، أي منذ بناء متنزه صطاف، إذ كان هو أحد العائلتين اللتان سكنتا صطاف بالتزامن مع مسؤوليتهما في الإشراف على متنزه وبستان صطاف.

[134]רחל יוד, מתרבות חומרית לתרבות רוחנית לאורך שביל הבעל - סטף, מדינת ישראל משרד החינוך מינהל חברה ונוער אגף של"ח וידיעת הארץ, 2014, עמוד7.
http://meyda.education.gov.il/files/noar/sataf.pdf

[135]مصدر سبق ذكره، صفحة 7.

[136]مقترح إقامة "متحف" زراعي في صطاف لتوثيق زراعة الجبل، صدر بتاريخ 6 أيلول 1971، ملف رقم S15\50556، الأرشيف الصهيوني.

الحكومة. بعد هدمها قرروا أن يختاروها (صطاف) مكانًا للحفاظ على المشهد في جبال القدس، ذلك بأن يختاروا عائلتين أو ثلاثًا من أجل أن يسكنوا هنا (في صطاف) ويقوموا بعمل الثقافة (نشر ثقافة كيفية الحفاظ على المشهد الموجود في جبال القدس)، وأنا كنت من المحظوظين بذلك".

تخطيط المتنزه وتنفيذه

يذكر "شمعون غيبسون" وآخرون في المقالة الأكاديمية عن المشهد الطبيعي في صطاف أن متنزه صطاف "يشكل مشروعًا بنيويًا من أجل دراسة المشهد الأثري كوسيلة لجمع المعلومات عن التحولات الجماعية في المنطقة الوسطى من فلسطين خلال العصور القديمة". [137] هذا هو المشروع الذي يحاول "الصندوق القومي اليهودي" إنجازه في صطاف، لكن التساؤل يكمن حول فكرة مشروع "المتنزه" وبدء القيام به، فمتى بدأت الفكرة وكيف تمت بلورتها خلال عقد من الزمن؟

ضمن مقابلتنا مع غيدي بَشن حول فكرة بناء المتنزه وأهميته ضمن مشاريع الصندوق القومي اليهودي بخصوص المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في جبال القدس بشكل عام، وقرية صطاف بشكل خاص، كشف أن متنزه صطاف لم يكن المشروع الأول الذي استهدف قرية صطاف بعد تهجير سكانها الفلسطينيين، بل كان ثمّة مشروعٌ آخرُ بدأ مباشرةً بعد تهجير القرية؛ وهو مشروع يتعلق بإقامة مراكز حكومية ومراكز سياحية للزيارة والنقاهة، لكن المشروع كان قد فشل (كان قبله مشروع للاستيطان في صطاف، وهو أيضًا قد فشل). [138] أما بالعودة إلى فكرة بناء المتنزه في صطاف، فلم تأتِ فكرة بناء المتنزه بشكل فجائي، بل هي نتيجة تراكم العديد من المطالبات في إقامة "متحف" زراعي لجبال القدس، فكانت هذه الفكرة تراود العديد من المهتمين في "الحفاظ" على هوية المشهد الطبيعي لجبال القدس من ذات المؤسسة التي تمتلك حصةً كبيرةً في تدمير ذاك المشهد؛ أي الصندوق

[137] Shimon Gibson, Bridget Ibbs & Amos Kloner (1991) The Sataf Project of Landscape Archaeology in the Judaean Hills: A Preliminary Report on Four Seasons of Survey and Excavation (1987–89), Levant, 23:1, p 30.

[138] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 2كانون الثاني 2018.

القومي اليهودي الذي عمل لعقود من الزمن (ولا يزال) على تشكيل مشهد طبيعي يرتكز على الغابات والأحراش في منطقة جبال القدس المسماة بجبال "يهودا".

"الحفاظ على المشهد الزراعي في صطاف" هذا كان عنوان إقامة متنزه وبستان صطاف في النصف الثاني من عقد الثمانينيات من القرن العشرين؛ هذا هو الادعاء الأساسي الذي قام من أجله الصندوق القومي اليهودي في رصد الميزانيات لأجل إقامة بستان صطاف. وفي أقوال غيدي بشن– الذي لا يمكن اعتباره سوى أنه أحد الشخصيات الأساسية التي أدت ممارساتها على الأرض في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف– تأكيدٌ على ذلك بأن هدف المتنزه هو الحفاظ على مشهد صطاف، على اعتبار أن هذا المشهد ليس يهوديًا أو فلسطينيًا أو تركيًا، فهو يضمّ فيه كل من عاش على هذه الأرض: –

" نحن نتكلم عن المشهد الذي يضم جبال القدس ورام الله وبيت لحم والخليل بشكل أساسي، هو مشهد فيه الكثير من المدرجات، والذي لا يمتلكه اليهود أو العرب أو المسيحيين أو أي أحد آخر، نتكلم عن فترة حوالي 3000 سنة من تكوين للمشهد في صطاف".

يتمركز ادعاء غيدي في كون الهدف الأساسي من إقامة المتنزه كان من أجل المحافظة على جزءٍ من مشهد جبال القدس من الضياع، وذلك بسبب العديد من العوامل التي أساسها التوسع العمراني في جبال القدس وشق الطرق فيها. إنّ أعمال الصندوق القومي اليهودي في تحريج وتشجير جبال القدس ودورها في تغيير المشهد واغترابه عما كان أدى بشكل مطرد إلى اختفاء المشهد الطبيعي، وبالأخص المشهد الزراعي الذي يتكون من عدّة طبقات تعكس مجتمعاتٍ وسردياتٍ مختلفةً عاشت في المكان. مثّلث صطاف الحالة النموذجية في إنشاء مكان تتم فيه "المحافظة" على المشهد الطبيعي لعدة عوامل؛ أهمها عدم وجود تجمعات استيطانية آنذاك بإمكانها تشويه المشهد؛ أي أن المشهد في صطاف قد بقي كما هو منذ تهجير أهل القرية عام 1948. فيقول غيدي: –

"كانت هناك طريقتان في التعامل مع القرى المهجرة، منها ما تم تهجيرها بالقوة ومنها من هرب أهلها كما في صطاف الذي "هرب" أهلها. لم يكن للإسرائيليين الرغبة في المحافظة على الوسائل والطرق القديمة التي كان يستخدمها أهل القرية، بل كانوا يريدون التوجه نحو الحداثة؛ أي من خلال استخدام الوسائل الحديثة في الزراعة مثل الجرارات الزراعية، والحقول الواسعة، أنابيب مياه، ورشاشات المياه من أجل الري؛ وكل الأمور التي تخص الحداثة في الزراعة. بذلك هذا المشهد الذي يُعتبر جزءًا من تراث أجدادنا؛ ليس أجدادي وحدي بل أجدادك وأجدادي– (يحاول ألا يحتكر المشهد لفئة معينة من الناس) – ذاهب نحو الاختفاء، من خلال الطرقات، أو الأحياء والضواحي السكنية، والتشجير الذي يجريه الصندوق القومي اليهودي. ساعدت كل هذه العوامل على اختفاء المشهد الطبيعي الذي كان في هذه المنطقة قبل عام 1948، فلو قارنت بين المشهد الذي كان عام 1945

وبين الوقت الحاضر، لرأيت أن ذاك المشهد قد اختفى، والذي يمكن رؤيته في الوقت نفسه في بعض الأماكن الموجودة في الضفة الغربية، لكن ليس هنا، فهنا المشهد قد تمت إزالته"

يشكل خطاب غيدي حول أهداف الصندوق في إقامة متنزه صطاف تعارضًا (ولو بشكل سطحي وخارجي) مع الأيديولوجيا التي يستند عليها الصندوق القومي بشكلٍ عامٍ، إذ إن المحافظة على المشهد الذي يعمل ذات الصندوق على تدميره هو في قلب تلك التناقضات. فالمتنزه قد تم وضع أهدافه العريضة في "المحافظة" على المشهد كما كان، أو بالأحرى يمكن القول القيام بإعادة تشكيل المشهد كما كان، ويمكن التطرق إلى ذلك بعمق أكبر لاحقًا. هذا لا يعني أن الشخص هو من يريد استرجاع المشهد، إنما هو مشروعٌ جديدٌ للصندوق ستتم مناقشته فيما يلي. شهدنا بعد وضع مخطط بناء المتنزه والبستان في صطاف أنه تم إقرار الموازنة من أجل إقامته، كما هو مدونٌ في وثيقةٍ حول ميزانية بناء متنزه صطاف الموجودة في سجلات الأرشيف الصهيوني في القدس.

في داخل الأرشيف الصهيوني تتوفّر وثائق عدة التي تكشف مخططًا قديمًا للاستيطان في صطاف يعود إلى العام 1949.[139] وبالطبع إلى جانب كشفها العديدَ من الجزئيات حول إقامة المتنزه في سنوات الثمانينيات في صطاف بدءًا بوثائق مقترح بناء متنزه صطاف، إضافةً إلى وثيقة طلب الموازنة لشراء المقطورات من أجل سكن العائلات في صطاف (فقط عائلتان لأجل إدارة البستان والمتنزه)، مرورًا بوثائق طلب موازنات من أجل إقامة المدرجات الزراعية والمصاطب الحجرية حتى موازنات تشجير وتحريج جزء من الأراضي في صطاف.

كان عام 1971من أوائل الأعوام التي عَلَت فيه المطالب حول جعل صطاف مشروع "متحف" زراعي "يحافظ" على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في جبال القدس، خاصةً المشهد الزراعي منها، إذ تشير وثيقة تابعة للصندوق القومي اليهودي من الأرشيف الصهيوني المؤرخة بتاريخ 6 أيلول 1971 إلى المطالبة "باستعادة" موقع صطاف "كمتحف" زراعي يختص بزراعة الجبل، حيث تتضمن هذه الوثيقة مقترح إقامة "متحف" زراعة الجبل، والذي يضع العديد من الأسس التي سيُبنى عليها لاحقًا في إقامة

[139] في إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ 13 تشرين 1949 ملف رقم S15\49708 يوافق فيها ليفي أشكول (أصبح فيما بعد رئيسًا للحكومة) على طلب رعنون فيتس الذي تولى منصب رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية بتغيير التعليمات في خصوص الاستيطان بقرية صطاف، إذ أنه سيتمركز قسم/ جسم من الجيش في منطقة صطاف بدلًا من الاستيطان فيها. وهذا معنى أنه كان يوجد مخطط للاستيطان في صطاف لكن هنالك بعض الأسباب التي أدت إلى تغيير أهدافهم عنها كوجهة للاستيطان.

المتنزه، سواء كانت تلك الأسس في كيفية استغلال موقع صطاف "كمتحف" خاصة من ناحية المحافظة على المدرجات الزراعية والمصاطب الحجرية واسترجاعاها، أو يتطرق إلى التكاليف والمتطلبات المالية للمشروع.[140]

كشفت وثيقة أخرى من الأرشيف الصهيوني المؤرخة بتاريخ 15 شباط 1984 أن سنة 1984 كانت السنة المفصلية في وضع مخطط وفكرة إقامة متنزه صطاف ومن ثم تحويلها إلى ممارسات على الأرض من خلال إقامته في نهاية ذلك العام (لم يتم تنفيذ المشروع الأول عام 1971ولكن بناء مقترح سنة 1984 على ما جاء في معظم المقترح السابق)، ففي هذه الوثيقة يظهر المشروع "الطليعي" الذي نفّذه الصندوق القومي اليهودي، إذا إن هذا المشروع –ولو بشكل أولي– يتعارض مع الأيديولوجيا القائمة لدى الصندوق حول تغيير المشهد الطبيعي بشكل كامل إلى مشهد يؤدي إلى اغتراب كل ما هو فوق الأرض عن المشهد الذي كان قبل عام 1948. تألّف المخطط المكون من ثلاث صفحات، والذي هو عبارة عن مقترح المشروع المعنون بـ **"الحياة مع التناخ" (לחיות עם התנ"ך)**، من خارطة هيكلية "لتطوير" صطاف، فضلًا عن خارطة أخرى تبين خصائص النظام المائي الموجود في صطاف، سواء من الكهف المائي أو من نظام البرك. يتكون المقترح من ثلاثة أقسام قُصد منه "إحياء ذكرى" وزير الدفاع الأسبق موشيه ديان من خلال حثّ "الجمهور الإسرائيلي على التفكير بموشيه ديان عن طريق مجالات متنوعة أُشتهر هو بها كالأمن، الزراعة وعلم الآثار". يأتي في جزء من نص الوثيقة: –

"على اسم موشيه ديان رحمة الله عليه يتم التواصل مع ذكراه/إحياء فكره من خلال الجمهور الإسرائيلي بالأمن، والزراعة، وعلم الآثار. موقع عين الباكورة (صطاف) الذي يتميز ببقايا زراعية مبكرة، اثنان من الينابيع ذوا الطبقات (فيهما تدفق دائم للمياه على طول العام)، مدرجات وسلالم حجرية، نظام للمياه، بستان وأشجار ذات غير جدوى".[141]

هكذا تم وضع الخلفية حول إقامة المتنزه في قرية صطاف المهُجرة في مقترح ميزانية لإقامة مشروع متنزه "الحياة مع التناخ" لذكرى موشيه ديان. وفي ذات الوثيقة تم وضع مقترحات الخطوط العريضة من أجل "تطوير المكان" وهي كالتالي: –

- أن يتم إعادة المشهد/ الشكل الزراعي المبكر لمستوى شكل زراعي فاعل.
- "متحف الحقل" أن يتم عرض وتنفيذ فعاليات وبرامج زراعية أصيلة وذات قابلية لإعادة التدوير.
- برنامج تربوي يوضح، يعلم، يضع تلاميذ المدارس والزائرين الآخرين في فعاليات التطوير.[142]

---

[140] مقترح إقامة "متحف" زراعي في صطاف لتوثيق زراعة الجبل، صدر بتاريخ 6 أيلول 1971، ملف رقم S15\50556، الأرشيف الصهيوني.

[141] مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني.

تكون المشروع من ثلاثة أقسام للتطوير وهي: –

القسم الأول:

- تنظيف واسترجاع نظام المياه والمدرجات الزراعية.
- فعاليات إرشادية تستهدف الشبيبة من خلال الفعاليات الزراعية والمعاينة/ الدعم (ضمن أعمال بناء السلاسل وأمور أخرى).
- أن يتم إسكان عائلتين بالموقع من أجل القيام بمهمة الإرشاد وتطوير المكان.
- جمع موجودات أثرية وتحضير المعروضات لمتحف الحقل.

القسم الثاني:

- إقامة متحف الحقل.
- تخطيط البرنامج التربوي.

القسم الثالث:

- تفعيل البرنامج التربوي.

أما بخصوص الميزانية الأولية للمشروع فوصلت إلى 58 مليون شيكل (تبعًا لقيمة العملة آنذاك)، والتي تم تقسيمها للأقسام الثلاثة كما يلي: –

- القسم الأول: على افتراض تطوير 30 دونم = 20 مليون شيكل
- القسم الثاني: على افتراض بناء مساحته 300 متر مربع= 30 مليون شيكل
- القسم الثالث: ميزانية مساهمة سنوية للفعاليات= 8 مليون شيكل

ميزانية التطوير= 50 مليون شيكل

---

[142] مصدر سبق ذكره.

ميزانية الصيانة = 8 مليون شيكل [143]

من الملاحظ أن هذا المقترح كان قد أصبح لدنةً وركيزةً أساسيةً لممارسات متنزه صطاف حتى يومنا الحاضر (سوف تتطرق الدراسة بشكل مفصل إلى ذلك)؛ ذلك لكونه المشروع الأساس الذي تم العمل على تنفيذه في صطاف، إذ إنه في النصف الثاني من عام 1984 بدأ العمل على تنفيذ المشروع كما هو مخطط. ومن خلال وثيقة أخرى من الأرشيف الصهيوني المؤرخة بتاريخ 14 تشرين الأول 1984 يبدأ العمل على الأرض، إذ في مضمونها (الوثيقة) رسالة من الدكتور ح. تصبن إلى السيد يعقوب توخمن يطلب فيها الاستيضاح حول الأسعار المتاحة لهم بخصوص إقامة الكرافانات في صطاف كمخيم ومركز عمل مؤقت للمقيمين، إذ يطلب منه تجهيز عقد عمل من أجل المقيمين في صطاف كفترة تجريبية لسنة واحدة، من خلاله يتم وضع إطار وتصور لطبيعة التواصل معهم تبعًا لمبادئ الوثيقة التي بين أيديهم.[144]

في هذه الوثيقة تم البدء بأولى الممارسات والخطوات نحو إقامة المتنزه في صطاف (تبعًا لوثائق الأرشيف الصهيوني)، إذ لم يعد الأمر مجرّد ممارسات فاشلة (اقتراحات الاستيطان في صطاف بعد عام 1948) أو مقترحٍ يتم النقاش حوله، كما في العديد من المرات التي قبلها، بل انتقل من صيغة القول إلى صيغة الممارسة والفعل و"النجاح"، كما شهدنا في الممارسات الأخرى للصندوق القومي اليهودي بمناطق عديدة.

يتذكر غيدي بشن تلك الفترة التي لم يكن يتجاوز فيها بعد 23 عامًا، إذ كان ضمن المقيمين في صطاف– (فيما بعد سكن في صطاف بشكل دائم) – الذين بدأت على أيديهم الممارسات التي ساهمت في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، خاصة المشهد الزراعي في صطاف. يدعي بشن أن "المشروع" الأول لصندوق القومي اليهودي لم يكن هدفه التشجير والتحريج، إنما كان هدفه استرجاع المشهد القديم لصطاف (من وجهة نظر الصندوق القومي اليهودي). فيسرد في قوله: –

"في صطاف بدأ المشروع الأول للصندوق القومي اليهودي الذي كان يقضي باسترجاع المشهد فيها، وكما تعرف لم يكن يومًا للصندوق القومي اليهودي اهتمام في ذلك، إنما صب جل اهتمامه على تشجير وتحريج الغابات. منذ 34 سنة وأنا أعمل ضمن الصندوق القومي اليهودي، كما أنني أسكن هنا، أسكن في صطاف، هذا هو بيتي".

[143] كل ما ذُكر أعلاه من الوثيقة مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني، تمت ترجمته إلى اللغة العربية كما جاء في النص الأصلي الذي هو باللغة العربية.

[144] وثيقة أرشيفية حول إقامة كرافانات مؤقتة مؤرخة بتاريخ 14 تشرين الأول 1984، ضمن ملف رقم KKL5/63603.

أصبحت فكرة استرجاع المشهد تتبلور أكثر لدى ذات المؤسسة التي ترى أن تدميره هو الحل الأفضل (كما في العديد من القرى الفلسطينية المهجرة)، لكن يجدر الانتباه إلى أن فكرة استعادة المشهد أو الحفاظ عليه هي فكرة مركبة تقود إلى فهم بعيد عن سياق أيديولوجيا الصندوق القومي اليهودي (على عكس حقيقة المشروع)، فيختلف الوضع عما جاء في رواية عوزي شيلاح "أراضي للتنزه" التي أفردت مساحة للممارسات التي قامت الجهات الرسمية، وعلى رأسها الحكومة الإسرائيلية، في تحريج الغابات وطمس معالم القرى العربية الفلسطينية من خلال الأشجار. لكن فكرة الحفاظ أو استرجاع المشهد الطبيعي هي الفكرة المركبة التي يمكن من خلالها القيام بعملية هندسة وإدارة المشهد الطبيعي من خلال ممارسات تقع في صلب أيديولوجيا الصندوق وفكره القائم على أساس انتزاع أو تعويم فكرة المشهد الذي "لا يملكه أحدٌ"، وأن فكرة المتنزه تعود لإسقاط ممارسات الحضارات القديمة على صطاف (تبعًا لغيدي بشن). لا يوجد لدى الدراسة ادعاءٌ ينفي أن المشهد الطبيعي والممارسات في استعمالات الأرض تقوم على التعددية، وأن فلسطينية المشهد الطبيعي هي جزءٌ لا يتجزأ من مشهد أكبر وأوسع ينطوي على أجزاء كثيرة من حضارات وأمم مختلفة عاشت في المكان وعملت على تشكيل المشهد الطبيعي فيه واستعملت الأرض في استعمالات واستخدامات معينة، لكن الذي تنفيه الدراسة وتطعن فيه هو في احتكار هوية وشكل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في فترة تاريخية معينة، ومن ثم يتم إعادة تشكيل المشهد الطبيعي الحالي بالعودة إلى أسس تلك الفترة التاريخية، دون مراعاة التطورات التي حصلت خلال آلاف السنوات اللاحقة. تكمن المجادلة هنا في كون المشهد الطبيعي الفلسطيني في صطاف (بشكل خاص) هو جزءٌ من مشهدٍ متعددٍ تطور خلال آلاف السنوات، وذلك إزاء ادعاء الصندوق (كما جاء في مقترحات إقامة المتنزه). فبالنسبة إلى الصندوق القومي اليهودي، تُعدّ الفترة البرونزية هي الفترة الأساسية التي يرتكز عليها المشهد الطبيعي في صطاف. كما تكمن المجادلة تجاه ادعاء غيدي بشن بخصوص المشروع في استعادة المشهد الطبيعي في صطاف، في موقفه من المشهد بكونه لا يمتلكه أحدٌ أو فئةٌ بعينها من الناس سواء اليهود أو العرب، فهو يعود إلى أكثر من 6000 عام؛ أي من الفترة البرونزية الوسيطة، ما يعمل على تذويب المشهد الطبيعي الفلسطيني وخلق حالة اغتراب بينه وبين الممارسات الفلسطينية التي كانت جزءًا لا يتجزأ من تكوين المشهد بصطاف (هو جزءٌ وليس الكل). وهذا ما ينفيه الصندوق القومي اليهودي ويفرض ممارساته المعاكسة في هندسة المكان والمشهد في صطاف من خلال "إعادة" المشهد إلى فترة محددة (الفترة التي يدعي فيها أن المشهد في صطاف يجب أن يكون على هذا الشكل والمثيل)، فيسرد غيدي محدثًا: –

"هذا المشهد (المشهد الطبيعي) هو لهذه الأرض، ليس للعرب وليس لليهود وليس للمسيحيين. على الأقل تبعًا لأبحاث الدكتور غيبسون (شمعون غيبسون) يعود المشهد في صطاف خاصة الزراعي إلى خمسة آلاف – ستة آلاف سنة، من الفترة البرونزية الوسيطة. بالتالي كل من عاش هنا (في صطاف) حتى عام 1948 اشتغل بنفس المكان، فلم تكن هناك إلا المدرجات الزراعية التي هي تعتمد على الزراعة البعلية والقليل من الزراعة المروية".

ما بين أيديولوجية الصندوق القومي اليهودي وممارساته كان المقيمون (الأشخاص المسؤولون عن المتنزه) هم المحرك الأساسي على الأرض لتلك الممارسات؛ أي أن تشكيل المشهد الطبيعي يقع على عاتقهم في المقام الأول، والذي تم وضع ملامحه وخطوطه العريضة في صطاف من خلال العودة إلى استحضار المشهد الطبيعي الذي كان خلال فترات تاريخية معينة. بالتالي يصبح المشهد الطبيعي الحالي حكرًا على تلك الفترات التاريخية كالفترة البرونزية الوسطية على سبيل المثال، لا الحصر.

ثالثًا: المشهد الزراعي في صطاف بعد إقامة المتنزه

يعد تشكيل المشهد الزراعي من الممارسات البنيوية التي أداها الصندوق القومي اليهودي من أجل هندسة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها. تعد ممارسة الزراعة شكلًا من أشكال "توثيق مشهد الجبال" الذي يقوم به الصندوق ضمن "متحف" الجبال، أي صطاف. لكن كيف تتم عملية الزراعة من ناحية زراعة الأشجار والمحاصيل، هل هي مشابهة لما كان يمارسه أهل قرية صطاف قبل تهجيرهم عام 1948، أم أنها محاصيل وطرائق زراعية مختلفة؟

كان للصندوق القومي اليهودي (من خلال الإدارة أو العائلات المسؤولة عن المتنزه) توجهان في ما يتعلق بالممارسات الزراعية في صطاف. التوجه الأول هو الإبقاء على الممارسات الزراعية التي تعود إلى الفترة التي سبقت عام 1948– أي من الفترة الانتدابية وما قبلها– والاعتناء بالأشجار التي تعود إلى تلك الحقبة الزمنية حتى يومنا هذا مثل كروم الزيتون على سبيل المثال. أما التوجه الآخر، فهو مرتبط بممارسات مستحدثة على البيئة الموجودة في صطاف والمرتبطة بفكرة "متحف" الجبل فيها، ذلك من خلال

زرع نباتاتٍ ترسّخ ادعاء الصندوق القومي اليهودي على أنها جزءٌ من المشهد الطبيعي الذي كان في صطاف (الذي يجب أن يكون) –إذ إن أغلبها موجودة في البيئة الفلسطينية بشكل عام أو أنها موجودة في بيئة البحر المتوسط– (سيتم معالجة هذا الجانب بشكل أكثر تفصيلًا لاحقًا)، ويتم تسمية تلك الأشجار ببستان أشجار أرض إسرائيل في صطاف (تبعًا لادعاء الصندوق القومي اليهودي).[145] كلا التوجهين تم ربطهما بفكرة "المتحف" الطبيعي المفتوح الذي تمت إقامته في صطاف.

كما تم التطرق سابقًا حول نوعية الأراضي الزراعية في صطاف، إذ إن أغلب مساحة أراضي صطاف الزراعية هي أرضٌ زراعيةٌ بعليةٌ مقابل مساحة صغيرة من الأرض المروية. لذلك تركّز الدراسة على نمط الزراعة البعلية من خلال معالجةٍ تحتل فيها ممارسات الصندوق القومي مساحةً كبيرةً من معالجة الصورة في صطاف مع مراعاة الأنماط الأخرى (توجد جزئية لمعالجة نمط الزراعة المروية). في التوجه الأول للصندوق القومي اليهودي حول الزراعة في صطاف، أبقى الصندوق على أغلب الأشجار التي كانت موجودة، خاصة الأشجار المعمرة منها. فلم يكتفِ بالإبقاء عليها، وإنما "بالحفاظ" عليها. وقد ضمت هذه الممارسة العديد من كروم النباتات كأشجار الزيتون، اللوز، الرمان إضافة إلى العديد من النباتات الأخرى. إذ بقيت تلك النباتات في المشهد الزراعي لعدة أسباب؛ أولها أن هذه النباتات تشكل مرتكزًا قويًا لفكرة "المتحف الزراعي" في صطاف حول جبال القدس، فلطالما اشتهرت جبال القدس بزراعة أشجار الزيتون، وكون تلك الأشجار قديمة موجودة في صطاف، فيمكن أن يتم استغلالها لإنجاح المشروع على أنه مشروع بيئي، تراثي حافظ على ما سبق من قبله (حتى لو كان جزءًا من المشهد السابق). في ما يلي ستعمل الدراسة على توثيق ومعالجة الممارسات التي يشكّل من خلالها الصندوق القومي اليهودي المشهدَ الزراعيَّ الذي احتلّ جزءًا من المشهد الزراعي في صطاف خلال الفترة الانتدابية على فلسطين.

المدرجات الزراعية والنظام المائي في صطاف: ذات الممارسات التي مارسها أهل صطاف

تتميز قرية صطاف بكل من سلاسلها الحجرية، ونظامها المائي الذي يحتوي على القنوات والبرك والقنوات المائية الرومانية، إضافة إلى النبع الأصلي الذي يغذي تلك القنوات والبرك. ولا يمكن للدراسة أن تتجاهل كون تلك الخصائص الموجودة في صطاف تعود إلى عدة حقب زمنية عمل خلالها السكان الذين تواجدوا بصطاف على تشكيلها من خلال ممارسات أدّوها بشكلٍ خاصٍ من أجل تطوير المشهد الزراعي فيها. لعبت كلٌ من السلاسل، والمدرجات الزراعية والنظام المائي دورًا بنيويًا في تطوير الممارسات

[145] יוסי שפנייר, בוסתן עצי ארץ-ישראל בסטף,(ירושלים: קרן קימת לישראל), עמוד 5.

الزراعية في صطاف، ومن هذا التسلسل الزمني هناك أهل صطاف الذين كانوا جزءًا لا يتجزأ من تشكيل المشهد الزراعي وتطوره في القرية من خلال ممارساتهم فيه، خاصةً من خلال ممارساتهم في الحفاظ على نمط بناء السلاسل الحجرية والمدرجات الزراعية، إضافةً إلى استغلالهم للنظام المائي فيها. وقد بقيت ممارساتهم موجودةً حتى العام 1948. لذلك لا يمكن ربط المدرجات والسلاسل الحجرية الموجودة في صطاف بحقبة أو فترة زمنية معينة فقط. ومن أجل "الحفاظ" على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، "تبنّى" الصندوق القومي اليهودي ممارسات أهل قرية صطاف في بناء السلاسل.

من أولى الخطوات التي اتخذها الصندوق في سبيل تحقيق ذلك هي توطين عائلتين تكون لدى أفرادها القدرةُ على إعادة بناء السلاسل والمحافظة عليها، وقد تم توثيق هذه الخطوة بوثيقة أرشيفية توثق توطين "أشخاص" في صطاف من أجل إعادة "بناء" المشهد في صطاف. في مضمون تلك الوثيقة الأرشيفية الصادرة بتاريخ 1 كانون الأول 1985 رسالة تابعة للصندوق القومي اليهودي– قسم تطوير الأرض مرسلة من "نحمان سوس" إلى "ليئور وحينوخ تسورف" يطلعه فيها أنه تم إيجاد أشخاص ملائمين من أجل السكن في صطاف، وقد تقرر الأمر حول الفترة "التجريبية" بنصف عام، وخلال تلك التجربة يتم إطالة النقاش حول نجاح "التجربة". أما بخصوص الجدول الزمني حول سكن الأشخاص المختارين، فقد تقرر ما يلي: –

- أن يتم انتقال الأشخاص المختارين للسكن (في صطاف) بشكل فوري.
- تكون فترة بداية العمل هي بتاريخ 1 كانون الثاني 1986.

في متن الوثيقة يتم الطلب من الأشخاص المختارين التوجه لمكتب الصندوق القومي اليهودي من أجل استكمال باقي الأوراق والتوقيع على العقد وقبول العمل.

تم إرسال نسختين لكل من: –

- د. حاييم تصبن– مدير قسم تطوير الأراضي في الصندوق القومي اليهودي (آن ذاك).
- السيد ابن شني أور– مدير القوى البشرية في الصندوق القومي اليهودي/ القدس (آن ذاك).[146]

[146] "رسالة إسكان الأشخاص المختارين من قبل الصندوق القومي اليهودي في منطقة صطاف"، وثيقة أرشيفية رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.

هدفت خطوة الصندوق القومي اليهودي في إسكان "أشخاص مختارين" إلى إعادة بناء المشهد في صطاف، خاصةً بناء السلاسل وصيانة ينابيع المياه، لكن التساؤل الذي يتم طرحه هو حول مصدر الحصول على المعرفة في عمل ذلك، سواء على صعيد إعادة البناء أو إجراء الصيانة له؟

يسرد غيدي بشن حول كيفية حصوله على المعرفة بخصوص بناء السلاسل وترميمها (كان غيدي "هو وعائلته" قد وقع الاختيار عليهم كإحدى العائلات التي تم اختيارها للسكن في صطاف) فيقول: –

" عندما كنت أصغر منك كنت أتجول في المناطق (الضفة الغربية)، في بتير، الوجلة ومن تلك القرى، ما اسم القرية التي بجانب برك سليمان؟ تذكرت، إنها قرية أرطاس. قبل عام 1988 كانت أجلس مع الفلاحين (الفلسطينيين) من أجل أن أتعلم منهم بناء السلاسل والمدرجات الزراعية والينابيع، إذ إنني اكتسبت مهارة بناء تركيب السلاسل من هناك، كما تعلمت بناءها من أجل إعادة بناء المشهد في صطاف"[147]

يظهر من حديث غيدي أن القرى الفلسطينية كقرية بتير، أرطاس، جفنا وغيرها من القرى كانت مناطقَ تدريبيةً لبعض موظفي الصندوق القومي اليهودي، خاصة في تعلمهم لفن بناء وترميم السلاسل الحجرية، وقد وضعوا خبرتهم التي اكتسبوها في بناء السلاسل وترميمها بقرية صطاف المهجرة ،كونها متحفًا "يحافظ" على المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في جبال القدس، إذ تقع السلاسل الحجرية ضمن التوجه الأول للصندوق، وهذا ما يمكن أن تتم ملاحظته عند زيارة المكان، فتتم عملية معاينة وترميم تلك السلاسل بشكل دقيق، على اعتبار أنها تشكل إحدى الممارسات في الحفاظ على المشهد الزراعي في صطاف.

أما العامل الآخر الذي يعتمد عليه الصندوق القومي اليهودي في ممارساته، بإعادة بناء مشهد السلاسل والمحافظة عليها بطريقةٍ تمكنه من محاكاة السلاسل القديمة التي كانت قبل بناء المتنزه عام 1984–1985 فهو بالاعتماد على استخدام الموظفين الفلسطينيين في بنائها، خاصةً من يمتلك الخبرة لأجل ذلك. ومن بين الموظفين الفلسطينيين في صطاف وجدت الدراسة طريقها في إجراء مقابلة جماعية مع العاملين في بناء السلاسل التابعين للصندوق القومي اليهودي في منطقة صطاف، إذ إن السيد هاني (الاسم الكامل محفوظ) يعمل منذ 23 عامًا في بناء السلاسل، كما يعمل أيضًا السيد جميل (الاسم الكامل محفوظ) في ذات العمل منذ 39 في الصندوق القومي اليهودي (يعمل منذ 19 عامًا في صطاف)، بالإضافة إلى ممارسات أخرى ضمن الأعمال

[147] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 2كانون الثاني 2018.

التي ينفذها الصندوق القومي اليهودي في صطاف، وهنالك السيد نصر (الاسم الكامل محفوظ) يعمل منذ عامين في صطاف.[148]

(نحنا مسؤولين عن بناء السلاسل، نحنا بنرجعها متل ما كانت، إذا انهدت "تداعت وانهارت" بنرجع نبنيها) هكذا رد ثلاثتهم (الموظفون الفلسطينيون) حول عملهم في إعادة السلاسل، إذ يقع على عاتق هؤلاء الموظفين، كل من هاني وجميل ونصر، إعادة بنائها كما كانت بشكلها الأصلي، أو المفترض أن تكون عليه كما في تصور الصندوق القومي اليهودي.

إن ذات الممارسات المطبقة على السلاسل والمدرجات الزراعية مطبقةٌ على النظام المائي الموجود في صطاف، أي أنه هناك كل من خبرة العائلات الموكلة (موظفين) من الصندوق القومي اليهودي وخبرة الموظفين الفلسطينيين تقوم بإعادة بناء وترميم النظام المائي الموجود في صطاف (آخر مرة تم ترميمه نهاية عام 2017) واستغلاله في عملية الزراعة من خلال ري الحبلات الزراعية. وكما السلاسل الحجرية، تركز ممارسات الصندوق القومي اليهودي على إبراز الطابع الروماني للنظام المائي (لا تحاول الدراسة أن تقصي الممارسات الرومانية في إقامة النظام المائي)، وبالتالي التركيز على الهوية الرومانية لطريقة عمل النظام (لا يدحض أحدٌ أن الرومان هم من شقوا القنوات المائية)، دون الإشارة إلى كيفية استغلال أهل صطاف للنظام المائي ومحافظتهم عليه حتى عام 1948.

ما يهم الدراسة الممارساتُ التي يؤديها الصندوق القومي اليهودي على النظام المائي في صطاف، لكن قبل ذلك لا بد من توضيح التسميات التي يستخدمها الصندوق في تعريفه للنظام المائي الموجود فيها. يتكون النظام المائي في صطاف من الكهف الأساسي الذي يوجد فيه المصدر الأساسي للمياه المغذية لكامل المنطقة بصطاف. أما الأجزاء الأخرى فهي متكونة من القنوات المائية الرومانية التي تصل بالمياه إلى بركة التجميع الأولى، والتي تسمّى تبعًا لتسمية الصندوق القومي اليهودي بعين صطاف (يسميها أهل صطاف ببركة البلد)، أما البركة الأخرى فتتم تسميتها ببركة الباكورة (تسمية أهل صطاف هي بركة الشرقية).

[148] مقابلة مع الموظفين العرب في الصندوق القومي اليهودي بمنطقة صطاف بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

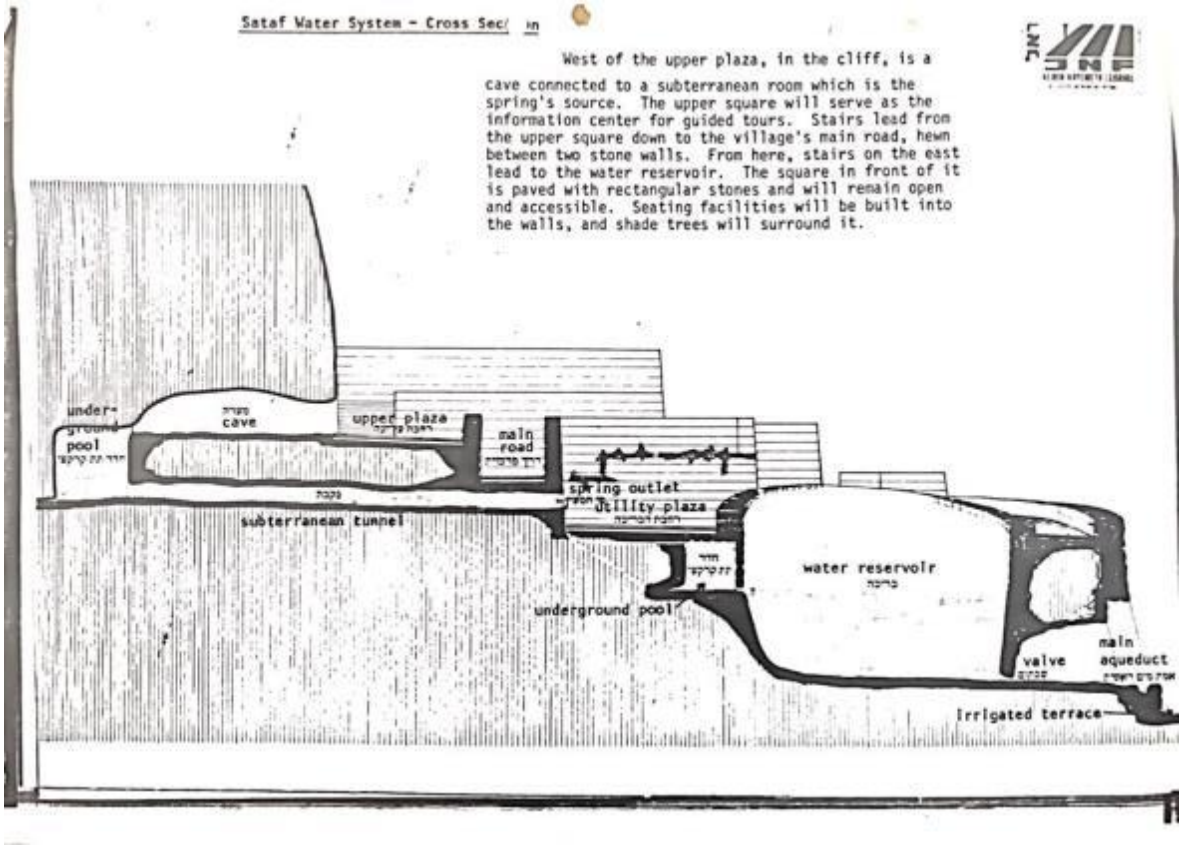

شكل رقم (1)، وثيقة حول مخطط النظام المائي الموجود في صطاف الذي وضعه الصندوق القومي اليهودي، الأرشيف الصهيوني.

منذ البداية، كان النظام المائي ضمن مخطط المشروع لدى الصندوق القومي اليهودي، ذلك لكونه حجر الزاوية في فكرة المتنزه في صطاف "المتحف الطبيعي"، في كافة أجزائه. من وجهة نظر الصندوق والمسؤولين عن صطاف يُعدّ النظام المائي ضروريًا من أجل هندسة وتكوين المشهد الطبيعي على أسس الحقب الزمنية القديمة مثل الحقبة الرومانية، لكن دون أن يتم الإشارة في الوقت عينه إلى كون أشكال الممارسات التي كانت خلال وجود أهل صطاف فيها حتى عام 1948 هي جزءٌ لا يتجزأ من المشهد القديم الذي كان حاضرًا في صطاف، والذي على أساسه بُنيت فكرة المتحف التوثيقي للمشهد الزراعي في جبال القدس، إذ يركز الصندوق على الممارسات دون التركيز على من قام فيها (بالرغم من عدم محاولة إخفاء احتلال القرية وتدميرها بعد ذلك).[149] أما الممارسات التي يركز عليها الصندوق فهي استغلال البساتين والحقول الزراعية البعلية والمروية الموجودة في مركز قرية صطاف (النمط المروي) وحولها (النمط البعلي)، سواء من خلال محاولة زراعة نفس أنواع النباتات الموجودة في جبال القدس (تم استقدام

[149] رحل יוד, מתרבות חומרית לתרבות רוחנית לאורך שביל הבעל - סטף, מדינת ישראל משרד החינוך מינהל חברה ונוער אגף של"ח וידיעת הארץ, 2014, עמוד6.
http://meyda.education.gov.il/files/noar/sataf.pdf

بعض الأنواع من الخارج، لكن أغلبها أشجارٌ من البيئة الفلسطينية) مثل كروم التين، الرمان، التفاح، اللوز. أما الزيتون فهو ذات أشجار الزيتون المعمرة التي كانت قبل عام 1948. يتحدث "غيدي بشن" عن استقدام الأشجار إلى صطاف: –

"هناك العديد من الأشجار التي لا تزال منذ عام 1948 مثل أشجار الزيتون (الرومانية)، لكن بالمقابل تم استقدام بعض الأشجار الأخرى الموجودة في البلاد (فلسطين) مثل منطقة الجليل، والخليل خاصة من منطقة العروب، وفي بعض الأحيان يتم استقدام بعض الأشجار من خارج البلاد لكنها قريبة مثل تركيا. يوجد حالة واحدة تم فيها استقدام شتلة شجرة تفاح من منطقة مكة أو الطائف في المملكة العربية السعودية". [150]

يكمن دور النظام المائي في كونه النظام الأساسي الذي يستخدمه موظفو الصندوق القومي اليهودي في عملية الري للمزروعات التي تتبع الطريقة المروية؛ أي في منطقة الحبلات الزراعية "الجنان"، وقد حافظ الموظفون على ذلك لكون النظام المائي جزءًا لا يتجزأ من فكرة توثيق المشهد الطبيعي والحضاري لجبال القدس.[151]

تشجير صطاف

ثمة العديد من تلك الممارسات التي عملت الدراسة إما على تفكيكها من أجل فهم أعمق لتلك الممارسات أو توحيدها ضمن مفاهيم مستحدثة لربط تلك الممارسات ببعضها البعض. أما معيار تفكيك الممارسات أو ربطها فيعود إلى الزيارات الميدانية لمكان الدراسة؛ أي قرية صطاف المهجرة. أما الممارسات التي تناقش وتجادل حولها الدراسة فهي: عملية التشجير التي أجراها الصندوق

[150] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 2كانون الثاني 2018.
[151] مصدر سبق ذكره.

القومي اليهودي على أجزاء معينة من أراضي صطاف (خاصة المنطقة العلوية)، بستان صطاف والممارسات التي ينخرط فيها "الجمهور"، سواء المشاريع الزراعية مثل الزراعة "التشاركية" أو المشاريع التربوية، وأخيرًا ممارسات التنزه من خلال المسالك المخصصة لذلك.

لا تعد ممارسة التشجير غريبة عن الصندوق القومي اليهودي (كما تم توضيحه سابقًا)، إذ إنها ممارسة أداها في الكثير من الأماكن، خاصةً في القرى الفلسطينية المهجرة عام 1948، وقد كان عراب التشجير كما يُسمى "يوسف فايتس" المسؤولَ الأولَ عن عمليات التشجير التي تم تنفيذها على أنقاض القرى الفلسطينية المدمرة. [152] بالرغم من تأخر خطوة التشجير فيها، إلا أن أراضي قرية صطاف المهجرة لم تكن بعيدةً عن ممارسات التشجير التي اعتمدها الصندوق، خاصةً في أماكن معينة على المرتفعات والتلال، وليس على كامل مسطح أراضي القرية ليضمن عدم تضارب الأهداف بين ممارسة التشجير وممارسات الصندوق المختلفة، خاصة أهداف مشروع المتنزه "متحف جبال القدس". لكن لماذا التشجير في صطاف، إذا كانت هنالك أفكار للقيام بممارسات أخرى كمتنزه صطاف؟ وما الأشجار التي تم استخدامها في عملية التشجير ومعايير اختيارها؟

في صطاف لم تكن ممارسات الصندوق القومي اليهودي تقتصر على الممارسات المرتبطة ببستان صطاف، إذ إن العمل في صطاف كان على أساس إقامة متنزه يوثق بيئة جبال القدس، من خصائص السلاسل الحجرية والمصاطب الزراعية والأشجار المعمرة ككروم الزيتون والتين، لكن في ذات الوقت بما أن ممارسات الصندوق القومي اليهودي امتدت إلى تحريج جبال القدس بشكل عام، فقد أصبح مشهد الأحراش والغابات جزءًا لا يتجزأ من المشهد المفترض احتلاله في صطاف (لكون عملية التشجير نُفذت قبل إقامة المتنزه).

إلى جانب استحضار المشهد القديم وتشكيله بما يتناسب مع رواية الصندوق القومي اليهودي، خاصةً في جزئية التركيز على المشهد الطبيعي الذي يعود إلى الفترة البرونزية الوسيطة والفترة الرومانية، يتحدث "غيدي بشن" عن ممارسات عملية التشجير التي قام وأشرف عليها الصندوق القومي اليهودي في صطاف بقوله: –

" بإمكانك الملاحظة أنه لا يوجد في صطاف هنا (مركز القرية المهجرة) أيُّ تشجيرٍ، إذ لا يوجد تشجير على المصاطب الزراعية. التشجير موجود في جميع مناطق القدس وليس في صطاف لوحدها. بدأ التشجير في صطاف خلال سنوات الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي. أي أن عملية

[152] Joanna Claire long, *Planting Israel: Jewish National Fund forestry and the Naturalization of Zionism*, (The University of British Columbia, 2005), p 28.

التشجير حدثت في فترة متأخرة عن المناطق الأخرى في القدس. يوجد مناطق وبالتأكيد صطاف ليست من ضمنهم! صطاف ليست من ضمنهم! إنهم قاموا (الصندوق القومي اليهودي) بإخفاء معالم القرى العربية (الفلسطينية) المدمرة من اجل ألا تتم ملاحظتهم. لكن بالتأكيد ليس في صطاف. كما ترى أنت يمكنك رؤية كل شيء" [153]

من ناحية تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في مركز قرية صطاف، لا يمكن الطعن في سردية "غيدي بشن" حول عدم تشجير أراضي مركز قرية صطاف، خاصة في أماكن البيوت المدمرة (في أغلبها)، لكن ذلك ليس بسبب رفض الصندوق القومي اليهودي عمليةَ التشجير من أجل عدم إخفاء البيوت المدمرة في صطاف، بل لأنه يوجد تخطيطٌ لممارساتٍ أخرى للمكان الذي لم يتم تشجيره بالأشجار الحرجية، وهذا ما تم تنفيذه في ثمانينيات القرن العشرين، ألا وهو إقامة متنزه صطاف "لتوثيق" مشهد جبال القدس. فعملية التشجير بدأت في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين على أماكن محددة، والأماكن التي لم يتم تشجيرها حلّ محلها "متنزه صطاف" بثمانينيات القرن العشرين. يمكن من خلال الإشارة إلى أماكن التشجير التي حدثت في صطاف الاستيضاح عن المواءمة ما بين أماكن التشجير وأماكن إقامة المتنزه، إذا إن أغلب الأشجار الحرجية التي تمت زراعتها في صطاف كانت على ارتفاع 640 مترًا فوق سطح البحر فما فوق؛ أي أن الأشجار الحرجية تغطي القمم الجبلية الموجودة ضمن أراضي صطاف، وليس وسط القرية أو الوادي التابع لها. وهذا يدل على أن عملية التشجير لم تكن بمعزل عن مخطط إقامة المتنزه في ما بعد على أراضي صطاف.

تسلط الوثائق الموجودة في الأرشيف الصهيوني الضوءَ على الميزانيات التي تم تخصيصها من أجل التشجير في صطاف. يمكن استخدام تلك الوثائق كجزءٍ من الأدلة التي تؤكّد نشاط الصندوق القومي اليهودي، بالتعاون مع شركات خاصة في القيام بممارسات التشجير في قرية صطاف. تظهر إحدى الوثائق التابعة لمكتب تطوير الأراضي في الصندوق القومي اليهودي، والتي يعود تاريخها إلى 11 كانون الثاني 1985 طلب رصد ميزانية 22 مليون شيكل من أجل حملة التشجير التي بدأت في صطاف، من خلال تمويل مشترك بين الصندوق القومي اليهودي ووكالات أخرى. [154] وهذا يدل على أن حملات التشجير لم تتوقف مع بدء بناء المتنزه في صطاف، بل بقي العمل على تشجير جزء من الأراضي جاريًا بالتوازي مع إقامة المتنزه.

في عملية تشجير أجزاء من أراضي صطاف التي حدثت خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، تم استخدام نمطٍ معينٍ من الأشجار. كانت شجرة الصنوبر والسرو الخيار الأول لدى الصندوق القومي اليهودي، وقد كان لاختيار شجرة الصنوبر

[153] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 22 كانون الثاني 2018.
[154] "طلب تعديل ميزانية التشجير في صطاف"، وثيقة أرشيفية رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.

جانبان: الجانب الأيديولوجي، والجانب الإجرائي الطبيعي حول خصائص الصنوبريات. حمل الجانب الأيديولوجي قدرًا كبيرًا من الأهمية في اختيار شجرة الصنوبر، وذلك من خلال النظرة إلى شجرة الصنوبر على أنها شجرة أوروبية غربية عمومًا (على الرغم من أنها أيضًا شجرة محلية تعيش في بيئة ومناخ البحر الأبيض المتوسط) يتم من خلالها الربط ما بين "الشتات" اليهودي وأرض "إسرائيل"، إذ كتب "عوز شيلاح" في روايته حول سبب اختيار هذه الأشجار التي تم تحريجها في جبال القدس ويقول:

لقد جعلنا الجبال دائمة الخضرة مثل سويسرا، تماماً كالجبال ذات القمم المكسوة بالثلج في أحجية الصور المقطوعة التي كنا نحب تركيبها مع صغارنا، دون الثلوج، بالطبع، أو البحيرة (إذ كان علينا أن نذكر أنفسنا: هذه ليست سويسرا). فعلى امتداد الطريق نحو القدس زرعنا في الماضي، وغطّينا حواكير السفوح بالصنوبر.[155]

أما بخصوص الجانب الإجرائي من ناحية خصائص الصنوبريات، فهو مرتكز على نقطتين مركزيتين بخصوص النمو والتنوع النباتي، إذ إن الفترة الزمنية لنمو شجرة الصنوبر تُعتبر فترة قصيرة نسبيًا، مقارنةً بأنواع الأشجار الأخرى مثل الزيتون وأشجار اللوزيات التي تحتاج إلى وقت أطول مقابل شجرة بالصنوبر، كما أن الصنوبر يغطي مساحات أوسع ولا يحتاج إلى عناية دائمة ومستمرة.[156] أما بخصوص التنوع النباتي، وهي نقطة بنيوية في اختيار الصنوبر، فتعتبر شجرة الصنوبر بشكلٍ عامٍ والأشجار الحرجية الأخرى مثل السرو حائلةً دون ظهور التنوع النباتي في المناطق التي تتم زراعتها فيه، ما يقضي على وجود الأنواع الأخرى من النباتات.[157]

تكمن العلاقة ما بين الجانب الأيديولوجي لزراعة أشجار الصنوبر والسرو، خاصةً في منطقة جبال القدس، وبين الجانب الإجرائي لزراعة أشجار ملائمة لكل منطقة جغرافية محددة بكونها علاقةً تكامليةً يعتمد فيها كلُّ طرفٍ على الآخر من أجل الحفاظ على استمرارية وجود ممارسات صناعة مكان، التي تتمثل في المساهمة بهندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف. عمل الجانب الأيديولوجي على التخطيط من أجل تشكيل وهندسة المشهد الطبيعي في قسمٍ من أراضي صطاف. أما الممارسات المتمثلة بالتشجير، خاصةً زراعة شجرة الصنوبر، فقد قامت بالعمل الإجرائي على الأرض في ذلك التشكيل. إن محاولة ربط المشهد الجغرافي الطبيعي بين الدول الأوروبية مثل سويسرا أو النمسا ما هي إلا توضيحٌ لكامل هدف الصندوق القومي اليهودي من وراء عملية التشجير والتحريج التي ينفذها على كامل الأراضي المسيطر عليها، إذ تعمل ممارسات تشكيل المشهد الطبيعي في صطاف على ربط المشهد الموجود فيها بالمشهد الطبيعي الأوروبي (لا يقتصر ذلك على التشجير، إنما على ممارسات

[155] المصدر الذي سبق، صفحة 37.

[156] Irus Braverman, Planting, p343.

[157] Irus Braverman, Planting, p344.

أخرى ستتطرق إليها الدراسة)، ما يضفي نوعًا من المحلية أو عدم الشعور بالاغتراب في داخل الشريحة الواسعة من المجتمع الاستيطاني المتنزه في المكان؛ أي في صطاف، إذ إن هذا المجتمع في معظمه مكونٌ من شريحةٍ مجتمعيةٍ قدمت من البلاد الأوروبية، والتي تتميز بالغطاء الأخضر المهيمن على المشهد الجغرافي، خاصةً أشجار الصنوبر والسرو. وعندما يتم زراعة هذه الأنواع من الأشجار، يصبح هناك مشروع صناعة مكان يهيمن على المشاريع والممارسات الأخرى التي كانت في ذات المكان. وهكذا هي الحالة في صطاف، فلا تكتفي الممارسات في زراعة شجرة فحسب، بل تتم ممارسة زراعة شعب وذاكرة تعمل على صناعة مكان في ذات مكان ذاكرة شعب آخر.[158]

بستان صطاف: ما بين ممارسات الصندوق القومي اليهودي و"الجمهور"

في الفصل السابق، تطرّقت الدراسة بخصوص طبيعة البستان الموجود في صطاف (الجناين كما في لغة أهل صطاف) إلى تركيبته وكيفية التقسيمات فيه، إضافة إلى ممارسات أهل صطاف، وخاصةً النساء منهم في البستان. في هذه الجزئية من الدراسة سنعالج موضوع البستان من زاويةٍ مختلفةٍ عما سبق، وذلك من زاوية الممارسات التي أداها الصندوق القومي اليهودي بالبستان، وخاصةً من خلال جزئيتين، هما: الزراعة المباشرة التي يمارسها موظفو الصندوق للبستان، أما الجزئية الثانية فهي تشجيع الصندوق القومي اليهودي "الجمهور" و"المجتمع" على الانخراط في مشروع صطاف من خلال ممارسات زراعية في بستان صطاف وتعلم بناء السلاسل، عدا عن ممارسات أخرى ستتطرق إليها الدراسة.

تعد جزئية ممارسة الزراعة في بستان صطاف من قبل الصندوق القومي اليهودي جزئيةً مركبةً لا يمكن لنا إصدار أحكام حولها دون عملية تفكيك للممارسات التي تتم فيها، ذلك لكونها ممارساتٍ تعمل على التشويش والخلط ما بين الأيديولوجيا الموجودة لدى الصندوق القومي اليهودي، وما بين الممارسات التي كان يؤديها أهل وعائلات صطاف. وهذا ما تقوم به الدراسة، إذ تعمل على تفكيك تلك الممارسات لتبيان كلٍّ منها على حدة، ما يؤدي إلى فهم أكبر وأعمق، بعيدًا عن تداخل المفاهيم والأفكار مع بعضها البعض.

في البداية، يجب التفريق بين مفهوم البستان الذي يستخدمه موظفو الصندوق، خاصةً المسؤولين عن صطاف، وما بين المفهوم الذي قصده أهل صطاف في كلمة بستان. عندما تتم قراءة كلمة بستان في المنشورات التي يصدرها الصندوق القومي اليهودي،

[158] Irus Braverman, *Planting the Promised Landscape: Zionism, Nature, and Resistance in Israel/Palestine* (New York, Baldy Center for Law & Social Policy- University at Buffalo School of Law, 2010), p335.

يُقصد به كامل المتنزه الذي تمت إقامته على أراضي قرية صطاف، أي الأراضي الزراعية المروية والبعلية، إضافة إلى برك المياه الموجودة التي يتم من خلالها ري المحاصيل خاصة المروية.[159] أما أهل صطاف فهم يقصدون بالبساتين منطقة الزراعة المروية؛ أي المنطقة المحيطة ببرك المياه، والتي يسمونها أيضًا بالجنانين أو الحبلات،[160] بينما التسمية المستخدمة في بعض الكتاب وبين بعض الثقافات هي تسمية أراضي الجدر.[161] لا تسعى الدراسة إلى استقصاء أي الأسماء يجب استخدامها للحبلات الزراعية الموجودة بالقرب من برك المياه، لكن تعمل الدراسة على تحديد مفهوم الحبلات الزراعية بكونها الأراضي التي يتم ريها بطريقة مروية وموقعها الجغرافي قريب من بيوت القرية (قبل هدم القرية)، كما تعتبر أراضيَ خصبةً كانت تشكل سلة الغذاء للعائلات التي كانت تعيش في صطاف، أما الآن فهي تشكل سلة غذاء لمن يختاره الصندوق القومي اليهودي. بالتالي تركز الدراسة على ممارسات الصندوق القومي اليهودي التي يؤديها في الحبلات الزراعية من بستان صطاف.

في عام 1984-1985 مع بدء بناء مشروع متنزه وبستان صطاف كمشروع "المتحف المفتوح" للمشهد الموجود في جبال القدس، بدأت الممارسات الزراعية تعود إلى صطاف، لكن ليس أهل صطاف هم الجهة التي تنفذ تلك الممارسات، بل الصندوق القومي اليهودي. بذلك أصبحت ممارسات أهل صطاف الزراعية في بساتين صطاف بشكلٍ عامٍ، ومنطقة الحبلات الزراعية (الجنان أو الجدر) بشكلٍ خاصٍ، حاضرةً بدون الأهل والعائلات التي كانت تمارسها في صطاف قبل عام 1948. وهكذا يمارس الصندوق القومي اليهودي ذات الممارسات التي كان يمارسها أهل صطاف في الحبلات الزراعية كنوع من "توثيق" المشهد الطبيعي الموجود في جبال القدس. لكن ما هي تلك الممارسات التي ينفذها موظفو الصندوق؟ ومن له "الحق" في أن يؤدي تلك الممارسات أيضًا؟

ليست كل الممارسات المرتبطة بالحبلات الزراعية متمحورةً حول الزراعة، لكن تعد زراعة تلك الحبلات من أهم الممارسات التي يتم القيام بها حاليًا. ومن صفات تلك الممارسات الزراعية الموجودة حاليًا بأنها بسيطةٌ لا تعتمد على وسائل زراعية حديثة (إلا في بعض الأحيان يتم استخدام رشاشات المياه من أجل الاقتصاد باستهلاك المياه)، كما أنها معتمدة بشكل كامل على الجهد البشري (كما ممارسات أهل صطاف الزراعية). تتم المحافظة على السلاسل الحجرية للحبلات الزراعية من خلال إعادة بنائها عند انهيارها، خاصةً في أوقات الشتاء (كما كان يفعل أهل صطاف). أما تقسيمات الحبلات الزراعية فيتم استخدام ذات التقسيمات

[159] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 22 كانون الثاني 2018.
[160] مقابلات أهل صطاف بتاريخ 25 كانون الأول 2017 وتاريخ 2كانون الثاني 2018 خاصة مقابلة السيدة عزيزة خضر محمد حسين.
[161] شكري عرّاف، القرية العربية الفلسطينية " مبنى واستعمالات الأراضي"، الطبعة الثالثة. (معليا: دار نشر إلى العمق، 1996)، صفحة 85-89.

من ناحية تجزئتها إلى أجزاء (كانت العائلات التي تمتلك الحبلات الزراعية تقسمها إلى "قسيمات" في ما بينها). وفي بعض أقسام الحبلات الزراعية نمط الزراعة فيها شبكي، كما كان يفعل أهل صطاف (بحسب الحاجة عزيزة). لكن بخصوص المنتجات الزراعية المزروعة في صطاف يوجد اختلاف، فهي ليست من أجل هدف تجاري، كما كان أهل صطاف يقومون به، بل هي من أجل الاستهلاك الشخصي لبعض العائلات (ستتناوله الدراسة فيما بعد). بينما المنتوجات الزراعية فهي ذاتها التي كانت تزرعها العائلات الصطافية (ما عدا البطاطا الصطافية التي لا يعرف مسؤولو صطاف بالصندوق القومي اليهودي عنها شيئًا)، ومنها: خيار، بندورة، خس، زهر، بقدونس، بصل بأنواعه، باذنجان، كوسا، قرع بأنواعه، جرجير، بالإضافة إلى غيرها من المنتوجات الفصلية، ومنها الصيفية والشتوية.

لم يقم مشروع "بستان" صطاف بتخريب تراتبية الحبلات الزراعية أو النمط الذي كان يتبنّاه أهل صطاف، بل على النقيض من ذلك، فقد "حافظ" المشروع على نمط الزراعة من ناحية الشكل والمضمون للممارسات التي قامت بها عائلات صطاف الزراعية (التي كانت تمتلك الجنان). لذلك تجادل الدراسة، في جزئية الحبلات الزراعية، في أن الصندوق القومي اليهودي لم يقم بممارسات مختلفة عما كان يقوم به أهل صطاف (بالرغم من قدرته الكاملة على تدمير تلك الحبلات الزراعية.

فرض هذا على الصندوق القومي اليهودي الإبقاء، بل "بالحفاظ" على تلك الممارسات الزراعية التي كان أهل صطاف يؤدونها! بينما على النقيض من ذلك، لم تكن من ضمن أهداف مشروع بستان صطاف المحافظة على بيوت عائلات صطاف، لكونها لم تشكل جزءًا من مشهد جبال القدس، إذ فرضت هندسةُ المكان على الصندوق القومي اليهودي هدمَ تلك البيوت بعد حرب حزيران-1967.

تطرقت الدراسة، سابقًا، إلى أن هناك عدة جهات تنفذ تلك الممارسات التي تعمل على هندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف. وكما تبين الدراسة، فإن الصندوق القومي اليهودي بكافة أقسامه ذات العلاقة يعد الجسم الأساسي الذي يقوم بالممارسات الزراعية في بستان صطاف، خاصةً الحبلات الزراعية، إلى جانب بعض العائلات "المستأجرة" و"الجمهور"، فمن هي تلك العائلات التي تمارس الزراعة؟ ومن الذي يختارها، وما هي المعايير التي على أساسها يتم اختيارها؟ وما هي الممارسات الأخرى التي يؤديها "الجمهور" في صطاف؟

في كل عام يختار الصندوق القومي اليهودي أفرادًا يحق لهم أن يستأجروا بمبلغ رمزي مساحةً صغيرةً من الأرض، ذلك من أجل زراعتها بمنتوجات يحتاجونها للاستهلاك المنزلي كالخيار والبندورة والخس وغيره من المنتوجات الزراعية. تكون مدة تأجير الأرض، وهي جزءٌ من الحبلات الزراعية، سنة كاملة. أما المياه فيتم استهلاكها من أجل الري من نظام صطاف المائي الذي يتكون من العين التي تمد برك صطاف بالماء عبر القنوات الرومانية، ومن ثم يتم إيصالها إلى الحبلات الزراعية بالطريقة التقليدية (كما كان أهل صطاف يقومون بري محاصيلهم) أو عن طريق رشاشات المياه. أما الواجبات التي يقوم بها الأفراد الذين يحصلون على الأرض فتتمثل في حراثة الأرض وزراعتها، ومن ثم الاعتناء بها وري محاصيلهم التي يجنون ثمارها دون أي تدخل من قبل الصندوق القومي اليهودي. ويكون أغلب الأفراد الذين يتم الموافقة على طلبهم في استئجار الأرض من المدينة، خاصة مدينة القدس والمناطق المحيطة. يُعتبر الصندوق القومي اليهودي (مسؤولو صطاف بالصندوق مثل غيدي بشن) الجهة المسؤولة عن الموافقة على طلبات من لديهم الرغبة بالقيام "بتجربة" زراعية في صطاف. أما الشروط التي يجب توافرها (بحسب المقابلة مع غيدي بشن،) فهي ألا يمتلك الشخص أرضًا أو ساحةً يمكن زراعتها، ويدفع المبلغ الرمزي الذي قدره 150 شيكلًا فقط، فضلًا عن ضرورة أداء الشخص واجباته الزراعية تجاه الأرض المستأجرة، بعيدًا عن دفع أي مبلغ لقاء تكلفة الماء للري.[162] يتحدث "غيدي بشن" عن الزراعة التشاركية التي في صطاف بقوله: –

" قمنا باقتطاع ثمان حبلات زراعية وقسمناها إلى قسائم، كلُّ واحدٍ منها 100–150 مترًا مربعًا، ومن ثم قمنا بإعطائها إلى الناس القادمة من القدس والمناطق المحيطة، فأصبح كل واحد منهم يزرع الأرض لاحتياجاته ويأتي للاعتناء بها مرة أو مرتين أسبوعيًا. هذه الطريقة تشبه إلى حد كبير ما يتم فعله بأوروبا مثل ألمانيا وهولندا. أما نمط الزراعة فيها فهي بدون تمديدات كمواسير المياه. وكانت تعود هذه الفكرة إلى الشخص الذي توفي واسمه شلومو إيلان، وبعد موته فقط من أجل تخليد فكرته (كان هو صاحب فكرة مشروع الزراعة التشاركية) وضعنا لافتة باسمه. في حال رغبة الشخص بالحصول على الأرض يقوم بتقديم طلب إلى إدارة الصندوق القومي في صطاف، ومن ثم يتم البت في طلبه وبعد ذلك يوقع على عقد الإيجار. مع الأسف كل الذين يأتون من أجل الزراعة هم من الوسط اليهودي، ونحن نسعد بوجود أشخاص عرب في هذا المشروع. بخصوص التكلفة فهي فقط 150 شيكلًا، إذ يوجد الآن 55 شخصًا".

(بحسب الزيارة الميدانية) يجب على جميع المستأجرين للأرض أن تتوافق ممارستاهم الزراعية مع المشهد الطبيعي لجبال القدس "كما يراها الصندوق القومي اليهودي"؛ أي المشهد القديم للزراعة في صطاف دون أي اعتبار أو إشارة إلى مشهد الزراعة الذي كانت تمارسه العائلات الصطافية (أشار غيدي بشن إلى ممارسات العائلات الصطافية، لكن خطابه غير مترجم على الواقع من خلال

[162] مصدر سبق ذكره.

منشورات أو لافتات كما اللافتات الموضوعة حول المشهد الزراعي "القديم" في صطاف). وهكذا يوجد في صطاف جهتان تؤدّيان الممارسات الزراعية، وهما: الصندوق القومي اليهودي، والأفراد "المستأجرون" لقسائم من الحبلات الزراعية الموجودة فيها. لكن تقتصر المسؤولية في هندسة المكان والمشهد على مسؤولي الصندوق القومي اليهودي فقط. فبالنسبة إلى مسؤولي الصندوق يجب على الممارسات الزراعية أن تتوافق مع أفكار وأهداف مشروع بستان صطاف الذي في صميمه يتضمن مشروع هندسة المشهد الطبيعي، إذ إنه لا يمثل صطاف فقط، بل المشهد الطبيعي للممارسات الزراعية في جبال القدس. لا تهدف الدراسة إلى الطعن في وجود تشابه في المشهد الطبيعي والحضاري، خاصةً الزراعي بين المناطق في جبال القدس، إذ يوجد قدرٌ كبيرٌ من الصحة حول هذا التشابه، مثل التشابه ما بين المشهد الطبيعي الموجود في قرية بتير والوجلة مع صطاف، لكن هندسة المكان والمشهد لدى الصندوق تقوم على انتزاع خصوصية المشهد في صطاف لصالح إسقاط المشهد الطبيعي والزراعي الموجود فيها على باقي المناطق المحيطة، وهكذا تكون العلاقة التي يبنيها الصندوق بمحو خصوصية المشهد الطبيعي في صطاف من خلال مواءمة المشهد فيها مع المشهد الذي "يتصوره" الصندوق القومي اليهودي لجبال القدس.

في حالة "الجمهور"، هناك العديد من الممارسات التي تستهدف "الجمهور" الذي يزور "متنزه" صطاف والذي لا يقتصر على فئة عمرية محددة، لكن لكل فئة عمرية ثمّة ممارساتٍ "ملائمةً" لها. ومن تلك الممارسات ما يدخل ضمن قضية تشكيل الوعي حول المكان بطريقة منهجية مباشرة، وتستهدف فئة معينة من الجمهور كطلبة المدارس على سبيل المثال، ومنها تدخل في سياق الممارسات المنهجية غير المباشرة، والتي تستهدف الجمهور بشكل عام، كالعائلات المتنزهة في صطاف.

تعد نشاطات "التطوع" إحدى الممارسات والنشاطات التي يتم تأديتها في صطاف، فهذه النشاطات اللامنهجية تعمل على "الحفاظ" على المشهد الطبيعي الموجود في جبال القدس من خلال "المتحف" الموجود في قرية صطاف المهجرة، إذ إنها أحد الأهداف الأساسية التي كانت ضمن مقترح إقامة المتنزه في صطاف عام 1984-1985. تدمج تلك النشاطات اللامنهجية المتطوعين في كيفية تعلم "استرجاع" خصائص المشهد الطبيعي الذي يمثله متنزه صطاف التابع للصندوق القومي اليهودي. أما الفئة المستهدفة، فهي الفئات كافةً، خاصة فئة الشبيبة؛ أي الفئة العمرية دون الثامنة عشر، والتي تشمل فئات الطلبة، خاصةً المرحلة المتوسطة والعليا (معظم الطلاب الموجودين يتبعون المدارس والمراكز اليهودية خاصة من المناطق المحيطة بصطاف).[163]

[163] مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني.

إضافة إلى فئة الطلاب، ثمّة فئاتٌ أخرى من المتطوعين كالمجندين، المتقاعدين لكن كيف يتم دمج النشاطات اللامنهجية التي ينفذها الصندوق القومي اليهودي مع ممارسات هندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف؟

لا تهدف الدراسة إلى معالجة وصفية لتلك النشاطات، بل يتعدى دورها إلى القيام بمعالجة أكثر تعمقًا لتلك الممارسات وتأثير ذلك على هندسة المكان والمشهد في صطاف. ومن تلك الممارسات التي تشكل جزءًا من النشاطات اللامنهجية نشاطات إعادة تأهيل وبناء السلاسل الحجرية، بالإضافة إلى ممارسة زراعة الحقل ضمن بستان صطاف وإعادة تأهيل النظام المائي الذي يتكون من عيون المياه والقنوات المائية التي تربطها مع البرك المائية. إلى جانب تلك البرامج، هناك أيضًا "برنامج الإرشاد" التابع للصندوق، والذي من خلاله يعمل على تشكيل المعرفة والوعي حول المشهد في جبال القدس، خاصةً في صطاف، إذ يأتي الكثير من الزوار إلى صطاف، ويحتاج الصندوق إلى المتطوعين من أجل "إرشاد" الزوار حول المتنزه وما يحتويه.[164]

في كل عام، وخاصة خلال فترة الصيف، يستقبل موظفو الصندوق القومي اليهودي في صطاف العديد من مجموعات المتطوعين في البرامج المختلفة التي يطرحها الصندوق القومي اليهودي في صطاف، خاصة مجموعات المخيمات الصيفية والمدارس. يساعد البرنامج المخصص لهم على تعليمهم فن بناء السلاسل الحجرية وكيفية المحافظة عليها من الانهيار وترميم ما ينهار منها. يذكر "أبو روبين" كيف يأتي معه المتطوعون لتعلم بناء السلاسل ويقول (**بيجوا عنا المتطوعين اليهود وبيساعدونا بالشغل، ملان منهم بيجي خاصة بالصيف**)،[165] كذلك الأمر تحدث "غيدي بشن" عن التطوع في صطاف بقوله: –

"يأتي إلينا العديد من المتطوعين، من أجل المساعدة في التصليح والترميم، المحافظة على السلاسل الحجرية، العناية بالأشجار مثل أشجار الزيتون (هنالك أشجار زيتون رومانية قديمة في صطاف)، أما بخصوص الفعاليات فهي مرتبطة بقسم الإرشاد، خاصةً الإرشاد الذي يقدم إلى الطلاب، إذ يتم الجلوس معهم من قبل المتطوعين الذين يتبعون إلينا. يوجد متطوعون يهود وكذلك متطوعون عرب، لإرشاد خلفيات مختلفة كالجنود والمتقاعدين. كلهم يأتون".

وحول فئات المتطوعين يتحدث "غيدي بشن" حول المتطوعين من "الوسط" العربي الذين يأتون إلى صطاف، خاصة من المناطق المحيطة في صطاف بقوله (**هناك نسبةٌ من المتطوعين العرب الذين يأتون ضمن البرامج المختلفة مثل البرامج التطوعية حول السلاسل والزراعة إلى صطاف، فيأتي طلاب من أبوغوش والقدس أيضًا**).[166]

---

[164] מתנדבים למען הסטף, קרן קימת לישראל. http://www.kkl.org.il/volunteers/volunteering-possibilities/sataf/ (جرى تصفح الموقع بتاريخ 6 آذار2018).

[165] مقابلة مع السيد أبو روبين أحد العاملين العرب في متنزه صطاف، تم عمل المقابلة بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

[166] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 22 كانون الثاني 2018.

لا يكمن الأمر في استقدام المتطوعين وتعليمهم فن بناء السلاسل الحجرية أو الزراعة الحقلية، فهذه الأمور في ظاهرها ممارسات إيجابية تصب في مصلحة الفرد أيًا كان، لكن تكمن المعضلة في كيفية الترويج للمكان، في كونه مشروعًا متحفيًا "يحفظ" ما تبقى من مشهد جبال القدس، أو كما يُطلقون عليهم بجبال "يهودا" دون التطرق (الرسمي) لشكل المشهد الذي كان قبل ذلك؛ قرية تسكنها عائلات تؤدّي هي أيضًا ممارسات زراعية مشابهة لما يقوم به الصندوق القومي اليهودي ببرامجه "التربوية"، فهي أيضًا جزءٌ لا يتجزأ من مشهد جبال القدس. يركز خطاب الصندوق القومي اليهودي وممارساته على استحضار فترات تاريخية قديمة جدًا، ويسقطها على المشهد الحالي من أجل هندسته وتشكيله، لكن بدون مشهد القرية في صطاف وأهلها.

يعد التنزه في صطاف جزءًا من الممارسات التي تدخل في صناعة مكان جديد، إذ إن ذلك يدخل ضمن ادعاء الدراسة حول كيف أن الممارسات تعمل على هندسة وتشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، وهذا ما ينطبق على الحالة في صطاف. فالصندوق القومي اليهودي هو الجهة المسؤولة عن إدارة ممارسات الجمهور، وهذا يعني أن الجمهور أيضًا له دور في القيام بممارساتٍ يمكن إسقاطها بشكل فيزيائي مثل التنزه في المكان، كما يتم إسقاطها على تشكيل الوعي أيضًا من خلال تناقل الرواية حول صطاف في كونها متنزهًا، بعيدًا عن تناقل أجزاء أحرى من الروايات حول المكان. لكن بما أن هذه الدراسة تركز على الممارسات، فارتأت التركيز على جزئية مسالك ومسارات التنزه في صطاف لكونها أساس الإسقاط الفيزيائي لممارسات التنزه في صطاف، فالصندوق القومي اليهودي هو المسؤول عن تأسيس وتأهيل تلك المسالك، بينما "الجمهور" هو الذي يمارس التنزه فيها.

في صطاف يوجد عدة مسالك متفرعة من مسارين أساسيين، إضافة إلى مسارٍ للدراجات الهوائية والركض؛ كلٌّ منها لها اسم يعكس نوعية المسار ومكان تواجده، وفي كل مسلك محطاتٌ تحتوي على لافتاتٍ لوصف المكان كنوع من الإضاءات المعرفية حوله. مثلًا هناك مسار البعل، والذي يُقصد به المسار الذي يمر بالأراضي البعلية التي تتواجد حول مركز القرية وليس في داخلها، إذ يعتبر من المسارات التي تدخل إلى البساتين والحقول البعلية مثل كرم التين والزيتون. أما المسار الثاني فهو يسمى بمسار القرية الذي يتركز في وسط القرية بالقرب من برك المياه والنبع الرئيسي. [167]

[167] צא לנוף סטף- הרי ירושלים, קרן קימת לישראל, עמוד 10-9.

في كل من المسارين توجد محطات تسلط الضوء على المشهد الطبيعي والحضاري الموجود في صطاف. بالتالي عند ممارسة "الجمهور" التنزه في تلك المسارات، فإن تلك المحطات تشكل جزءًا من الأدوات التي يعمل فيها الصندوق على تشكيل المعرفة حول صطاف (بغض النظر عن توجه الصندوق وأيدولوجيته)، لتصبح ممارسات الجمهور مرتبطةً بالمعرفة والتعليمات التي يعطيها الصندوق. ومن تلك الممارسات التنزه بالمشي، ركوب الدراجات الهوائية، ركوب السيارات الرباعية في مسالك مخصصة لها، الركض. تصبح كل هذه الممارسات جزءًا من المشهد الذي يشكله الصندوق، بينما على النقيض من ذلك يغيب المشهد الآخر الذي لا يمكن للمتنزهين رؤيته، مثل تاريخ القرية الفلسطينية في صطاف، والذي تم محوه من الوجود، دون وجود علامات تدل على الأماكن التي كانت فيها مرافق القرية أو بيوتها (لا تدحض رواية الصندوق القومي اليهودي وجود سكان في صطاف تم تشريدهم من بيوتهم عام 1948 ولم يتم تغيير اسم القرية، لكن بذات الوقت يتم تجاهل تلك الحقائق والتركيز فقط على جمالية المشهد الموجود فيها من المشهد الطبيعي والحضاري، وبشكل خاص المشهد الزراعي). على سبيل المثال، هنالك مسارٌ يسمى "مسار القرية"، ويمر بالقرب من بيوت لا تزال موجودة (في الحقيقة حاولت الدراسة أن تكشف أسباب بقاء بعض البيوت، مثل بقايا البيوت الموجودة في حوش الفتياني، لكن لم تستطع الحصول على إجابة من أية جهة). مع ذلك، لا يتم الإشارة إلى تاريخها، إلا في كونها "بناءً قديمًا" أو يتم الإشارة إليها في كونها "بقايا القرية" في صطاف.[168] يجمع المساران وما بينهما من مسالك فرعية محطاتٍ مختلفةً، سواءً المرتبطة بالزراعة البعلية كبساتين وكروم العنب، الزيتون، التين، الرمان وغيرها من البساتين أو مسلك الزراعة المروية، والتي تركز على كيفية الزراعة فيها، خاصةً من خلال الوسائل اليدوية بالزراعة، والمحطات المرتبطة بالنظام المائي، مثل الكهف المائي والقنوات المائية والبرك التي يتم ملؤها عن طريق تلك القنوات. فكل هذه المحطات الموجودة في المسارين تعكس الممارسات التي كان يؤديها أهل وعائلات قرية صطاف قبل التهجير، لكن لا يتم الإشارة والإيحاء إليهم بكونهم كانوا جزءًا من تلك الممارسات أو جزءًا من المشهد الطبيعي والحضاري الموجود في صطاف، ما يؤدي إلى تهميش دورهم وحصره بكونهم عاشوا في القرية فقط، وأن آثار البيوت تعود إلى "القرية" في صطاف (لا يتم التطرق إلى مسمى قرية صطاف، بل يتم استخدام مصطلح القرية في صطاف، مما يعطي نوًعا من حالة الاغتراب ما بين القرية واسمها).

[168] مصدر سبق ذكره، صفحة 12.

رابعًا: تلخيص

في نهاية الأمر حول جزئية ممارسات الصندوق القومي اليهودي، لا بد للدراسة من التأكيد على عدة أمور، التي من أهمها أن حالة صطاف وعلاقتها بممارسات الصندوق القومي اليهودي هي حالةٌ مركبةٌ، فلم يتم تدمير المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها، بل تعرض إلى عملية تشويه من خلال ممارسات التشجير، لكن الجزء الأكبر خاصةً وسط القرية تمت المحافظة عليه من أجل استغلاله في مشروع "المتحف" المفتوح حول جبال القدس، فعلى الرغم من وجود شكل من أشكال التناقض بين ممارسات الصندوق ذاتها حول صطاف، إلا أنه في داخله هو مشروعٌ متكامّل تكمّل فيه كل جزئية الأخرى. إن بقاء المشهد الذي احتلّ

أهل صطاف جزءًا لا يتجزأ من تشكيله لا يعني أن الصندوق يحافظ على المشهد الفلسطيني في صطاف، بل على النقيض من ذلك، إذ يهدف إلى اختزال جميع ممارسات ومكونات المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في فترة تاريخية معينة، خاصةً الفترة البرونزية والرومانية، مع التغاضي عن هوية أهل وعائلات صطاف في مساهمتهم بتكوين المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها، خاصةً الممارسات الزراعية. إجمالًا، تحتاج الحالة المركبة بكون صطاف حالةً استثنائيةً ضمن المكانيات التي تقع تحت سيطرة الصندوق القومي اليهودي إلى رؤى متعددة الجوانب من أجل تفكيك العناصر والعوامل التي تكونها؛ ذلك من أجل عدم الوقوع في متاهات الجزم وإطلاق الأحكام غير المقترنة بالدلائل والقرائن والحجج التي تدعم جدلية وجود صناعة مكان جديد يعمل على محو حقبة أو فئة معينة.

الفصل الرابع:

تمثيل صورة المشهد الزراعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف من خلال الخرائط والصورة الجوية

أولًا: خلفية حول الخرائط والصور الجوية

من بداية استخدامها، أصبحت العلوم التقنية جزءًا من الممارسات التي تمثّل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، سواء كان ذلك من خلال علوم التصوير الجوي كونها إحدى الأدوات التي تم استخدامها من قبل جهات عديدة، كلٌّ منها لمصلحتها الخاصة، كذلك الأمر بالنسبة إلى علم الخرائط الذي يُعدّ علمًا واسعَ المقياس، ويتم استخدامه في العديد من المجالات المتعددة ولأهداف وممارسات مختلفة، حيث سبق استخدامه لعلوم التصوير الجوي.

لا تتجاهل الدراسة علم الخرائط وكيف تم تمثيل منطقة الدراسة من خلال الخارطة، خاصةً تمثيلها في خرائط مسح فلسطين الانتدابية (Survey of Palestine). لذلك من الضروري التطرق إلى علم الخرائط الذي يعدّ مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالصور الجوية التي شكلت أساس الخرائط الطبوغرافية لفلسطين. إن توضيح مفهوم الخرائط ومن ثم العلاقة المباشرة مع المنطقة التي تعالجها الدراسة؛ أي قرية صطاف المهجرة، ضمن الخرائط التي تمثّل المكان يساهم في تشكيل صورة حول العلاقة بين كلٍّ من الصورة الجوية، الخارطة البريطانية وعلاقة كليهما بتمثيل ممارسات تشكيل استعمالات الأرض في صطاف من خلال نظم المعلومات الجغرافية. أما على صعيد التصوير الجوي، فقبل التطرق إلى العلاقة ما بين علوم التصوير الجوي وقرية صطاف التي تتمثل العلاقة في ما بينهما بالصور الجوية الانتدابية التي تم تصويرها، فلا بد للدراسة من توضيح مفهوم علوم التصوير الجوي (Aerial Photography)، بحيث يشكل إطار استخدامها لهذه العلوم.

عند التطرق لمفهوم الخارطة، لا يوجد هناك تعريف موحد حول ماهية الخارطة وما الذي تمثله، فمفهومها مختلفٌ باختلاف المجالات التي تمثلها الخريطة، إذ يتم توظيفها من أجل تمثيل ظاهرة أو شكل معين مختلف عن الآخر، فيجادل "جورج لاك أوف" أن مفهوم الخريطة يتضمن بمقياسها الواسع الصور الجوية وصور الأقمار الصناعية، وهذا يمثل كسرًا للقواعد التقليدية حول الخريطة، ولكن ثمّة اتجاهٌ آخرُ يدعي أن مفهوم الخريطة هو ضمن فئة شعاعية تضم في حيثياتها الكثير من الفئات التي يمكن ضمها إلى المفهوم لكن بدرجات متفاوتة، فمنها ما هو في محيط المفهوم مثل الصور الجوية، صور الأقمار الصناعية وغيرها، أما من يقع في مركزية مفهوم الخريطة فهي الخرائط التقليدية مثل: خرائط الطرق، الخرائط الطبوغرافية والخرائط التي تُظهر التقسيمات السياسية وانعكاساتها.[169] بشكل أساسي ينبني مفهوم الخريطة على كونها تمثيلًا جغرافيًا للظواهر المكانية ولأشكال سطح الأرض، إذ من خلال تمثيل تلك الظواهر نستطيع فهم العلاقات في ما بينها.[170] لكن لا يقتصر رسم الخرائط على تمثيل البيانات، إنما هي أداة بنيوية في تحديد وإدارة الموارد بأنواعها العديدة، وسيلة لتحليل الظواهر المكانية وملاحظة التغييرات في أشكال سطح الأرض. إن هذا ينقل علم الخرائط من علم مجرد إلى علم يعدّ أحد أشكال الفنون الذي يحاول تمثيل الظواهر التي يصعب تمثيلها بدونه؛ أي فن رسم الخرائط.[171]

---

[169] I. Vasiliev, S. Freundschuh, D. M. Mark, G. D. Theisen, and J. McAvoy. "What is a map?" *The Cartographic Journal*, 1990 27 (2): 119-120.

[170] Ibid, p 122.

[171] Martin Dodge, *Mapping: Critical concept In Geography*, (London & New York: Routledge, 2016), p 1.

ليس هناك حصرٌ لاستخدامات الخريطة، فلا تتمثل عملية استخدام الخريطة بالوضوح؛ ذلك نظرًا إلى التغييرات الديناميكية التي تطرأ على المشهد مع التقادم الزمني والعوامل التي تشكل ذلك المشهد. وبالتالي، يكون استخدام كل خريطة منوطًا بالسياق الذي تم تشكيلها وإنتاجها فيه، ويمكن عكس ذلك على المشهد الفلسطيني في كونه يدور ضمن بوتقة ديناميكية التغييرات السريعة تبعًا للظروف المحيطة، وشأن ذلك يتمثل على الخرائط التي تنوعت وتعددت خلال فترات تاريخية مختلفة.[172] في المشهد الفلسطيني، كان العامل السياسي أحد أهم السياقات التي انعكست على إنتاج الخرائط ، فالعامل السياسي ساهم في تشكيل الخارطة، وبالتالي تشكيل المعرفة العلمية التي تمثلها سواء كان ذلك في الفترة الانتدابية، أو في الفترات اللاحقة لها على مستوى المدن الفلسطينية، مثل مدينة القدس، أو على مستوى الحيز المكاني الفلسطيني بشكله الانتدابي (وما طرأ عليه من تغييرات)، مثلًا الخارطة البريطانية حول التثليث (والتي يُقصد بها خريطة عمل الإحداثيات الهندسية التي كانت تغطي فلسطين من شمال النقب حتى الحدود الشمالية مع لبنان وسورية). تُعتبر هذه الخارطة ذات أصلٍ استعماريٍ قام بها الانتداب البريطاني على فلسطين من خلال استخدامه أداة التثليث، فتمت عملية بلورة المعرفة العلمية من أجل الوصول إلى فكرة إمكانية تقسيم الأرض وتحديد مفهوم الهوية فيها،[173]إذ لم تكن خارطة التثليث سوى جزء من المشروع الأكبر الذي نفذه الانتداب البريطاني خلال فترة استعماره لفلسطين، والتي امتدت منذ أواخر عام 1917– 1948، فكان اسمه مشروع مسح فلسطين (Survey of Palestine under the British Mandate 1920-1948).

لا يمكن الادعاء بأن فكرة عملية مسح الأراضي قد بدأت في فلسطين، فلم تكن فكرة عملية مسح الأراضي في فلسطين فكرةً حديثة النشأة، فقد سبقتها الأراضي المصرية والسودانية في عملية المسح ضمن المشروع الذي كان يرأسه القاضي وليمسون، إذ بعد انتهائه من مشروع مسح الأراضي المصرية والسودانية في أوائل عام 1919 بشهر نيسان، انتقل وليمسون إلى فلسطين من أجل مشاركة خبراته التي اكتسبها في مشروع مسح الأراضي الفلسطينية إلى جانب السيد بروان مدير دائرة الزراعة في مصر.[174] وتركزت معظم النقاشات حول كيفية تطبيق فكرة مسح الأراضي، خاصة بخصوص عملية رسم الخرائط. وللمرة الأولى تم تداول فكرة استخدام الصور الجوية كمرجعية لتلك الخرائط، والتي تعود إلى والتر لورنس، لكن فكرته لم تُقنع الجنرال ألنبي، الحاكم

[172] Jesse Bier, *Mapping Israel, mapping Palestine: how occupied landscapes shape scientific knowledge*, (The MIT Press: Cambridge, Massachusetts, 2017), P 1.

[173] Ibid, P 166- 170.

[174] Dov Gavish, *A survey of Palestine under the British mandate, 1920-1948*, (London: Routledge, 2005), P 34-35.

العسكري لفلسطين، لذلك بدأت أولى الخطوات العملية في تحقيق مشروع مسح الأراضي بعد انتهاء "الحكم العسكري"، والتي تمثلت بتأسيس دائرة مسح أراضي فلسطين عام 1920؛ أي مع صدور صك الانداب البريطاني على فلسطين. [175]

في عملية مسح الأراضي كانت خطة التثليث هي حجر الزاوية، وكانت الفكرة في أن يتم إجراء شبكة مثلثات تغطي مساحة فلسطين (لم تشمل عملية التثليث منطقة النقب، بل من منطقة غزة ومن ثم باتجاه الشمال) وذلك من أجل وضع نظام إحداثيات قائم على الخطوط التي نفذها الانتداب والتي تمر في مدينة القدس، كان ذلك بطريقتين: بإقامة 100 نقطة ثابتة تكون المسافة بين كل منها 15 كيلومترًا على الأقل، ومن ثم إقامة شبكة تثليث ثانوية تكون المسافة بين نقاطها الثابتة 5 كيلومترات والتي تتكون من 2000 نقطة قياس.[176] لم تكن مقاييس الرسم التي تعتمد عليها خرائط مسح الأراضي والخرائط الطبوغرافية ذاتها، فهي مختلفة تبعًا للسنوات التي تم رسم الخريطة فيها، كما أنها مختلفة تبعًا لهدف استخدام الخريطة، وهذا بالذات يقودنا إلى الخرائط التي تم إنتاجها قبل الحرب العالمية الثانية، وبشكل أكثر خرائط سنوات عام 1933 التي تُعنى بتغطية منطقة الدراسة، فحتى عام 1933 تم مسح حوالي 424600 دونم من كامل أراضي فلسطين مع بدء المسح عام 1927. كانت هذه الخرائط بمقياس رسم 1:10000 عملت على مسح الأراضي واستخدامات الأرض الموجودة فيه،[177] وهي ذات الخرائط التي، في ما بعد، تم استخدامها في العديد من المجالات، منها المجال الاقتصادي، لكن هذه الخرائط لم تكن الوحيدة، فهناك العديد من الخرائط التي أنتجتها دائرة مسح الأراضي في فلسطين على شكل مقاييس رسم مختلفة ذات استخدامات مختلفة.[178]

في هذه الدراسة يتم تحديد العلاقة ما بين علم الخرائط وما بين قرية صطاف المهجرة من خلال تمثل القرية بخارطة مسح الأراضي لمنطقة الدراسة زمن الانتداب البريطاني، والتي تعود إلى المسح الذي تم إجراؤه عام 1933 وقد صدرت أولى نسخ ذلك المسح عام 1934. تحتوي الخارطة على عدة عناصر يمكن معالجتها في ضوء موضوع الدراسة عن المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف، بدايةً بأسماء المناطق داخل حدود القرية بشكل تفصيلي، إذ إن الأسماء هي كلماتٌ مفتاحيةٌ لدراسة العناصر الأخرى الموجودة في الخارطة، عدا عن كونها أداةً لتوثيق الأماكن الموجودة في القرية بعد هدم الكثير من معالمها. أما الأمر الآخر فهو مسح استعمالات الأراضي الموجودة في القرية، فهناك معلوماتٌ عن المنتجات الزراعية التي كانت تُزرع فيها، وما هي نسبة

[175] Ibid, P 36-38.
[176] Ibid, P 66.
[177] Ibid, P 178-179.
[178] National library of Israel, collection of Survey of Palestine Maps.http://web.nli.org.il/sites/nlis/he/Maps/pages/results.aspx#query=any,contains,maps

كل منتج من مساحة الأرض الكلية في كل مكان داخل حدود القرية مع عدم مسح الأراضي غير القابلة للزراعة، والتي أيضًا تم تمثيلها بنسبة مئوية من مجموع مساحة الأرض الكلية داخل كل مقطع مكاني في القرية (خلال هذا الفصل سيتم التوسع في هذه الجزئية لاحقًا).[179]

لا تقل أهمية علوم التصوير الجوي عن أهمية الخرائط، بل يمكن الادعاء بحقيقة أن التطور المطرد والقفزة النوعية والكمية في علم الخرائط كانوا نتيجةً حتميةً بعد نشوء علم التصوير الجوي، إذ تُعتبر علوم التصوير الجوي من أكثر العلوم غنىً بالمعلومات، والأكثر اقتصاديةً وتمثيلًا لسطح الأرض وتضاريسها، فلها القدرة على تمثيل التلال والأودية، والماء والتربة، وغموض الطبيعة والأضرار التي تحيط فيها، فعلاقتها مع المكان لا تقتصر على استخدامها ضمن مجالٍ واحدٍ، بل على أكثر من مجال مع وجود القدرة على معالجة جانب واحد متخصص تبعًا لما هو مطلوب منها عمله. لذلك، لهذه العلوم استخداماتٌ كثيرةٌ؛ منها ما هو بخصوص الطبيعة وجيولوجيا الأرض، والحفاظ على الغابات، ومنها ما هو اقتصادي خاصةً في قطاع الزراعة مثل التخطيط لري المزروعات والحماية من خطر الفيضانات وغيرها من الأمور التي ترتبط في هذا القطاع.[180] كما تزداد أهمية الصور الجوية في كونها خرائطَ تفصيليةً إلى حدٍّ كبيرٍ، أو أن التفاصيل التي يتم الحصول عليها من تلك الصور تؤدي إلى تنفيذ خرائط تفصيلية، حيث إن الهدف الأساسي من التقاط الصور الجوية هو كشف العناصر من خلال التصوير الأفقي للمنطقة المستهدفة.[181] بطبيعة الحال، لا يؤدي ذلك إلا إلى اعتماد علم الجغرافيا على الصور الجوية وازدياد أهميتها إليه، وذلك لحاجته إليها في تشكيل المشهد الطبيعي، خاصةً من أجل إقامة المتنزهات وتخطيط الطرقات.[182] وهذا بالتحديد ما يهم هذه الجزئية من الدراسة بكونها تعالج استخدام التصوير الجوي كإحدى الوسائل التي من خلالها يمكن إعادة تشكيل استعمالات الأرض واستخداماتها في منطقة الدراسة، من خلال وسائل الترسيم والتظليل باستخدام برامج نظم المعلومات الجغرافية. لكن قبل معالجة ذلك، ينبغي للدراسة أن توضّح جزئية أنواع التصوير الجوي، وما هو النوع الذي تستخدمه الدراسة في الصور التي تعالج منطقة صطاف، كما توضح الاستخدامات لها من أجل فهم أكبر لطبيعة التصوير الجوي المستخدم.

---

[179] Institute of Palestine studies, Survey of Palestine March 1934- Sataf sub-district map.

[180] United States, *Aerial-photo interpretation in classifying and mapping soils*, (Washington, D.C.: USDA., 1973), p 1.

[181] A. J. Eardley, *Aerial photographs: their use and interpretation*, (Ann Arbor, Mich: University Microfilms International, 1977), p 1.

[182] Ibid, p 2.

على صعيد أنواع الصور الجوية، تختلف الصور الجوية باختلاف أهدافها؛ الأهداف التي تكون فيها الصورة الجوية أداة أو إحدى الأدوات لتحقيقها. لذلك ثمّة عدة أنواع من الصور الجوية، حيث يتم بشكل عام تقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي:

الصورة المائلة (Oblique photograph): يتم التقاط الصورة من خلال محور الكاميرا الجوية بزوايا مختلفة ما بين الأفق والأرض. صورة مائلة أكثر تعني زيادة مساحة الأفق في الصورة، بينما الأقل ميولًا تبين العكس، حيث إن الصورة المائلة تغطي مساحات أكبر بكثير من الصورة العمودية عند التقاط الصورة من ذات نقطة الارتفاع، لكنها ذات فعالية محدودة مقارنة بالصورة العمودية، إذ إنها مقيدة في تصويرها بطريقة تظهر الأجسام الموجودة على الأرض.[183]

الصورة العمودية (Vertical photograph): يتم التقاط الصورة العمودية من خلال كاميرا تكون متجهة تمامًا بشكل مستقيم إلى النقطة المُراد تصويرها على سطح الأرض أو بالشكل الملائم لتوضيح الأجسام على سطح الأرض. في الصور العمودية يكون هناك تداخلٌ بين الصور في حال كانت هناك استمراريةٌ بالتقاط الصور الجوية لمناطق متجاورة جغرافيًا، وذلك من أجل زيادة دقة الحصول على تغطية كاملة للمنطقة المستهدفة، خاصةً إن كانت هناك رغبةٌ في إجراء خرائط لها. عند الحديث عن الصورة الجوية، يتم ربط ذلك المفهوم بشكل مباشر مع الصورة العمودية التي يتم اعتبارها الصورة الأكثر تمثيلًا واستخدامًا. [184]

الصورة المركبة (Composite photograph): يتم التقاط الصورة المركبة إما من خلال عدة كاميرات جوية تلتقط صورًا متزامنة، أو من خلال كاميرا واحدة لها عدة عدسات من أجل توفير عدة صور (multiple exposure).[185]

بما أن الصورة العمودية هي الصورة الأكثر انتشارًا من بين الصور الأخرى، فلا بد من التطرق إلى عامل التداخل الذي يُعتبر نتيجة التصوير العمودي لمنطقة معينة، حيث إن هذا التداخل يكون بين الصور (مع بعضها البعض تشكل صورة كاملة عن المنطقة بأسرها) بنسبة تصل إلى معدل 60%، وذلك من أجل تمثيل كافة النقاط على الأرض ورؤيتها. بالرغم من العلاقة الطردية بين عاملي التداخل والتكاليف، فكلما زادت نسبة التداخل في الصور زادت تكاليف التقاطها، إلا أن التداخل عاملٌ لا يمكن الاستغناء عنه خلال التقاط الصور الجوية، وذلك لكونه طريقةً يتم من خلالها تجنب حدوث الفجوات بين الصور التي يتم التقاطها، فإذا كانت نسبة التداخل أقل من 60%، تزداد نسبة حدوث الفجوات بين الصور. يؤدي حدوث الفجوات إلى

---

[183] Thomas Eugene Avery, *Forester's guide to aerial photo interpretation*, (Washington: U.S. Govt. Print. Off, 1979), p 1.
[184] Ibid, p 1.
[185] Ibid, p 1.

خسارة جزء من المشهد للأجسام والمعالم التي تم التقاط الصور الجوية لها، بالتالي يعني ذلك إفقار فعالية الخرائط التي تعتمد على الصور الجوية. ومن أجل إصلاح خلل الفجوات، لا بد من إعادة تصوير منطقة الفجوة بشكل 100% من آخر نقطة بدأ فيها الخلل.[186]

بالنسبة إلى مجالات استخدام الصور الجوية، فهناك عدة مجالات قد أصبحت فيها الصورة الجوية أداةً رئيسيةً في الملاحظة وتحليل البيانات، لكن لا يتسع التعمق فيها إلا في المجالات التي تركز الدراسة عليها. عدا عن الاستخدامات المدنية لتلك الصور، فهناك أيضًا استخداماتٌ لها في الجانب العسكري، فالصور الجوية أصبحت حاجةً ملحةً وأمرًا استراتيجيًا في الجانب العسكري خلال وقت الحروب، إذ إنه في وقت الحرب العالمية الثانية تم استخدام الصور الجوية على نطاق واسع لأجل الانكشاف على مناطق الحرب، وخاصةً من خلال اعتبارها أداةً للكشف عن مواقع الدبابات والقوافل العسكرية، مثل كشف مواقع فرق "البانزر" الألمانية (هي فرقة الهندسة والمدرعات في الجيش الألماني) من قبل الجيش البريطاني.[187] خلال عام 1949 لم يكن الجيش الإسرائيلي خارج نطاق هذه التكنولوجيا الحديثة. في ذلك الوقت وعلى الرغم من حداثة عهده، إلا أنه كان هناك كتابٌ يتم توزيعه على الجنود من أجل تعلم كيفية قراءة الصور الجوية والخرائط التفصيلية لأغلب المناطق التي استهدفها خلال الحرب، ومما لا شك فيه أن ذلك ساعده كثيرًا على زيادة تفوقه وسرعته في احتلال المدن والقرى الفلسطينية آنذاك.[188]

بالعودة إلى منطقة الدراسة، تتضمن الصورة الجوية الحاملة لرقم 5098 منطقة الدراسة؛[189] أي قرية صطاف المهجرة، حيث يعود تاريخ الصورة إلى عام 1945، لكن ما هي أسباب التقاط الصورة وما هي المجالات التي تم استخدامها فيها؟ أيضًا ما هو مدى مقدرة الصورة الجوية على تمثيل استعمالات واستخدامات الأرض الموجودة في قرية صطاف والتي شكلها أهلها قبل عام 1948؟

من خلال الصور الجوية ثمّة مجال واسع للحصول على تفاصيل حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، خاصةً كون الاستخدام الأساسي لتلك الصور هو من أجل إجراء خرائط طبوغرافية، وبالتالي إمكانية استخدامها في معالجة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين الذي كان أيضًا مسؤولًا عن التقاط الصور

---

[186] United States, *Aerial-photo interpretation in classifying and mapping soils, p 5.*

[187] Ibid, p 3.

[188] "צבא הגנה לישראל, קריאת מפה וצילומי- אוויר, (מרץ 1949).

[189] The Map library and Aerial Photograph Archive, Sataf Aerial Photograph number 5098, The Hebrew University of Jerusalem.
http://ccg.huji.ac.il/aerialphotos/

الجوية عام 1945. أما الهدف الأساسي للصور الجوية البريطانية حول فلسطين فكان من أجل استخدامها كمرجعية لإجراء الخرائط الطبوغرافية في فلسطين الانتدابية (لم يمنع ذلك من استخدامها في مجالات أخرى مثل المجال العسكري)، فتم التقاط تلك الصور بين عامي 1944- 1948 من خلال طائرات سلاح الجو البريطاني (RAF). وكان التصوير الجوي آنذاك شاملًا لأغلب المناطق في فلسطين (من ضمنهم صورة لمنطقة صطاف والتي تعود إلى سنة 1945).[190] ومن الجدير ذكره حول الصور الجوية وبداية استخدامها في فلسطين أن الانتداب البريطاني لم يكن أول من استخدام أداة التصوير الجوي فيها، بل كان الألمان أول من قاموا بذلك خلال الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد خلال عامي 1917- 1918 (لم يكن التصوير الجوي شاملًا لكافة المناطق بفلسطين، بل اقتصر على أماكن معينة، حيث لم تكن منطقة صطاف من ضمن تلك الأماكن)، كما أنّ هناك مجموعةً من الصور الجوية التي التقطها الجيش الأسترالي قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى (أيضًا لم تكن صطاف من ضمن المناطق التي تم تصويرها).[191]

بشكل عام، تم التقاط الصور الجوية من أجل استخدامها كوسيلة بنيوية في إجراء الخرائط الطبوغرافية، خاصة الخرائط الطبوغرافية ذات مقياس 1:20000 لكن هذا لا يتطابق مع مقياس رسم الصورة الجوية التي كانت ذات مقياس رسم 1:15000 بالتالي، لم يكن هدف التقاط الصورة واستخدامها مرتبطًا بالخارطة الطبوغرافية التي رسمتها سلطات الانتداب البريطاني على عدة مراحل: المرحلة الأولى عام 1933-1938، المرحلة الثانية 1938-1942 ومرحلة "سلسلة 17 عشر ورقة" (The series of sixteen sheets) والتي كانت للاستخدامات العسكرية، لكن كيف تم رسم الخرائط الطبوغرافية قبل أن يتم التقاط الصور الجوية ،خاصة أن الصور الجوية في أغلبها تم التقاطها منذ عام 1944 فما فوق؟

كانت هناك مرحلةٌ أخرى من التصوير الجوي البريطاني لفلسطين، والتي تم استخدامها كوسيلةٍ رديفةٍ لإجراء الخرائط الطبوغرافية. امتدت تلك الفترة بين سنة 1935-1937، وهذا يفسر كيف تم إجراء أغلب الخرائط الطبوغرافية قبل أعوام الأربعينيات من القرن العشرين. في تلك الفترة (سنوات الأربعينيات) كانت نهاية مشروع الخرائط الطبوغرافية. وبشكلٍ متزامنٍ، بدأت المرحلة الثانية

[190] Hebrew University, Aerial Photography Archive.
http://ccg.huji.ac.il/ajax/Aerial%20PH2.htm
Jan 23, 2018

[191] Ibid.

من التصوير الجوي الذي كان مشروعًا تم البدء فيه عند الاقتراب من انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقد كان لأهدافٍ أغلبُها عسكريةٌ، وليست مرتبطةٌ فقط بمشروع مسح فلسطين. [192]

أما على صعيد تمثيل الممارسات في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، فتستطيع الصورة الجوية أن تساهم في تمثيل تلك الممارسات من ناحية مضمون الصورة في مجال نسق وتراتبية الأشجار، كثافتها، بيوت القرية التي تم هدمها بعد عام 1948، المساحات المكانية التي كانت مزروعةً فيها، وذلك تبعًا لحال مقياس الرسم. فإذا كان مقياس الرسم صغيرًا (دقته متواضعة)، فهناك قدرة أقل على معالجة البيانات من الصورة. أما إذا كان مقياس الرسم كبيرًا (دقته عالية)، فتزداد القدرة على معالجة البيانات.[193] في حالة الصورة الجوية التي تقع فيها قرية صطاف هي ذات مقياس كبير 1:1500، بالتالي يمكن استنباط قدر أكبر من البيانات منها. كما تُظهر الصورة الجوية بوضوح وجود التراتبية في تنفيذ المدرجات الزراعية التي، بشكلٍ أساسيّ، هي مدرجاتٌ تختص بالزراعة البعلية، إذ يمكن ملاحظة هيمنة هذا الأسلوب الزراعي على أسلوب الزراعة المروية التي تتركز في منطقة الحبلات "الجنان"، وهي المنطقة الأكثر غنىً بالمياه، بسبب موقعها الملاصق إلى جانب عيون وبرك المياه. ثمّة نمط وتراتبية معينة ضمن أسلوب الزراعة البعلية في كون الزراعة فيها متباعدةً، ويوجد بين الأشجار مسافةٌ أكثر اتساعًا، وهذا الأمر موجودٌ في أغلب المناطق خارج حدود القرية المبنية في صطاف؛ أي منطقة وسط البلد. تتركز الزراعة البعلية في الناحية الشمالية والجنوبية للقرية، فالناحية الشمالية (باتجاه قرية صوبا والقسطل) تتميز بكونها أرضيَ وعرةً، لكنها بذات الوقت مزروعةٌ ويتم حراثتها.

ثانيًا: تمثيل صطاف من خلال خارطة مسح فلسطين

كما تم الذكر سابقًا حول خرائط مسح فلسطين الانتدابية، فقد أجرت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين من خلال دائرة مسح الخرائط مسحًا لأغلب المناطق في فلسطين، خاصة مسح عام 1933 الذي شمل منطقة صطاف. وقد تم إنتاج خارطة لصطاف تبين تفاصيل القرية والأراضي المحيطة فيها، ومن ثم تم استخدامها كوسيلة في حصر إنتاج القرية الزراعي، خاصة حول طبيعة أنواع الأشجار المثمرة الموجودة فيها. وقبل التطرق إلى معالجة مضمون خريطة مسح أراضي صطاف عام 1933، لا بد من الإشارة إلى كون تركيز هذه الدراسة ينصب على حدود صطاف ضمن حدود وضعتها الدراسة من أجل مواءمة الصور الجوية

---

[192] Dov Gavish, *A survey of Palestine under the British mandate, 1920-1948,* P 235.

[193] Thomas Eugene Avery, *Forester's guide to aerial photo interpretation*, P 14-15.

مع بعضها البعض. كما أن ذلك يهدف إلى زيادة القدرة على المقارنة ما بين شكل صطاف بالخرائط في الزمن الحاضر، وما بين شكل صطاف خلال الفترة الانتدابية على فلسطين (يعود ذلك إلى تحديد منطقة الدراسة وترسيمها، لكن من دون إهمال ذكر التغييرات التي طرأت على شكل وحدود صطاف بين الفترتين).

توثق هذه الخريطة تفاصيلَ عدةً حول قرية صطاف المهجرة، لكن ما تهدف إليه هذه الدراسة هو تركيز معالجتها حول الممارسات الزراعية التي كان أهل صطاف يمارسونها، فهذه الخريطة هي إحدى الأدلة التي تربط دور عائلات وأهل صطاف بالممارسات التي تدخل في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، خاصةً المشهد الزراعي خلال الفترة الانتدابية، والذي تم البناء عليه في ما بعد. تبين الخارطة أن تلك الممارسات لا تزال تشكل جزءًا من المشهد الطبيعي الموجود في مشروع "بستان صطاف" الذي يعمل على حصر هوية تلك الممارسات في الفترات القديمة، منذ الفترة البرونزية والرومانية بشكل أساسي. لا تنفي الدراسة أن ممارسات أهل صطاف مبنيةٌ على ممارسات من قبلهم، خاصةً الممارسات الزراعية، لكن ذلك لا يعني تهميش دورهم في تكوين المشهد الطبيعي الحالي فيها. يحتوي مضمون الخريطة على عدة أمور تقع ضمن تركيز الدراسة، ومن ضمنها كل من الأشجار الموجودة في صطاف، طبيعة الزراعة (بعلية، مروية)، مناطق الزراعة في صطاف ونسبتها في كل منطقة، وأخيرًا الأسماء العربية التي كانت حاضرةً في صطاف حتى عام 1948. ولكون أحد أهداف الدراسة الأساسية هو معالجة الممارسات، فسيتم التركيز على تمثيل المضامين التي تعكس الممارسات التي ساهمت في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف.

في صطاف تفاوتت الممارسات الزراعية التي كان يؤديها أهل صطاف تبعًا للبيئة الطبوغرافية فيها، فمنطقة البلد؛ أي وسط القرية كانت تقع في وسط المنطقة الجبلية وليس على قمة الجبل، لكون مصادر المياه موجودةً في منتصفه، وتمثلت تلك المصادر بعين وبرك المياه، كذلك الأمر ذاته بالنسبة إلى مناطق الزراعة المروية، إذ كانت بجانب المنطقة المبنية لقربها من مصادر المياه أيضًا، بينما المناطق المروية التي تقع أبعد قليلًا كان يتم نقل المياه إليها من خلال قنوات الماء الرومانية، لكن ما الذي يمكن للخارطة البريطانية حول صطاف أن تمد الدراسة به حول ذلك؟

توثق الخارطة البريطانية أنواع الأشجار التي كانت موجودة بمحيط مصادر المياه من خلال نسبة كل نوع من مجموع الإنتاج الكلي، لذلك يمكن من خلالها توثيق الممارسات الزراعية التي نشطت في كل منطقة من صطاف، سواء من ناحية اسم المكان الذي

تنشط فيه الممارسات الزراعية أو أنواع الأشجار المزروعة والنسبة المهيمن منها على المكان. وهذا ما تهدف إليه الدراسة في الحصول عليه من الخارطة البريطانية من أجل تبيان التغييرات التي حصلت (إذ كانت هناك فعلًا تغييراتٌ).

"**البساتين**": تكثر الأشجار التي تحتاج إلى كميات مياه أكبر بالقرب من مصادر المياه مثل أشجار الحمضيات والفواكه التي شكلت 40-60% من مجموع المحاصيل الزراعية الموجودة (في القسم الغربي من البساتين). وقد تمثل وجود هذه المحاصيل إلى الشرق من مصادر المياه لكونها المنطقة الأكثر انخفاضًا، ويكون انسياب المياه باتجاهها على عكس المنطقة الغربية المرتفعة. لكن ليس النمط المروي من الزراعة وحده موجودًا في البساتين، إذ ينبغي الانتباه إلى أن البساتين تتضمن نمط الزراعة المروي والبعلي على حد سواء، فالقسم الغربي من البساتين القريبة من مصادر المياه يتبع نمط الزراعة المروي، بينما القسم الشرقي البعيد عن مصادر المياه والقريب من وادي الصرار "وادي سوريك" يتبع نمط الزراعة البعلي، إذ إن أغلبه مزروع بكروم الزيتون، والتي تصل نسبته 40-90%، وبجانبه هناك كروم العنب التي تشكل حوالي 40% من الجهة الغربية من البساتين.

"**العروض**" و"**زرب النمر**": هي مناطق تقع إلى الشمال من البساتين، وهي مغطاة بأشجار الزيتون بنسبة تصل إلى 80%، لكن مع وجود بعض الأشجار الأخرى مثل كروم العنب التي تتواجد بنسبة قليلة.

"**القنطرة**": منطقة تقع إلى الشمال من المنطقة المبنية من صطاف وتهيمن عليها كروم العنب بنسبة تصل إلى 60%.

"**خربة حسن**": منطقة تقع في أعلى الجبل وتمتاز في كونها منطقة صخرية في أغلبها لم تستخدم للزراعة.

"**كرم النمر**": هي منطقة تختلف عن زرب النمر، فالأولى في الوادي والثاني على قمة الجبل، وهي مزروعة بكروم العنب بنسبة تصل إلى 60% من مجموع مساحتها الكلية، والباقي أرض صخرية ونسبة قليلة من الأرض التي يتم حراثتها. تشكل منطقة كرم النمر حدود صطاف مع قرية خربة اللوز إلى الجهة الغربية من مركز قرية صطاف.

"**حريقة المصري**": تقع حريقة المصري إلى الشمال من كرم النمر، وهي مغطاة بكروم العنب بنسبة تصل إلى 80%، كما أنها تشكّل حدود قرية صطاف مع قرية صوبا.

"**الرأس** ": تشكل منطقة الرأس حدود قرية صطاف مع قرية عين كارم، (لا تدخل ضمن المناطق التي تعالجها الدراسة، لكن تم ذكرها كونها تشكل حدود صطاف مع قرية القسطل). تشكل كروم العنب فيها حوالي 80% من مجمل الزراعة الكلية فيها.

"باب المفحمة": تقع إلى الجنوب من مركز القرية، ويوجد فيها خليطٌ من المنتجات الزراعية كالحمضيات والفواكه والعنب. وهي تشكل حدود صطاف مع قرية الجورة (في الجنوب).

هذه هي المناطق التي تقع ضمن حدود الدراسة، أما المناطق الممثلة ضمن الخريطة البريطانية على أنها مناطق من صطاف، بينما هي لا تدخل ضمن هذه الدراسة (سيتم توضيح ذلك لاحقًا) فهي "حريقة غنام"، "حريقة الشعوارية (تمت ترجمته من الإنكليزية)، جزء من منطقة العروض (القسم الشرقي منها)، جزء كبير من منطقة "الرأس"، "كرنة الشمال"، وأخيرًا منطقة "وعر هاسوا" (مترجم عن الإنكليزية). ويكمن سبب عدم شمل هذه المناطق من صطاف ضمن منطقة الدراسة حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض لكون تلك المناطق ليست ضمن الحيز المكاني "لمتنزه" صطاف الذي يقتصر على منطقة مركز القرية وما يحيطها. بالتالي لا يمكن شمل المناطق التي لا تقع ضمن نطاق المتنزه، ذلك من أجل القيام بمواءمة منطقة الدراسة، حتى تعكس الدراسة صحة النتائج في فحص مدى حدوث تغييرات على استعمالات الأرض في صطاف على ذات الحيز المكاني في فترتين تاريخيتين مختلفتين (قبل عام 1948 وبعده) من خلال برامج نظم المعلومات الجغرافية. يجدر الإشارة كذلك إلى أن هناك مناطقَ من الخارطة البريطانية غيرُ ممثلة في الصورة الجوية (هي ممثلةٌ في صور جوية أخرى)، بالتالي لا يمكن مطابقتها مع صورة صطاف الجوية لعام 2014.[194] وفي حال التساؤل عن منهجية تحديد منطقة الدراسة، فتم استخدام منهجية هجينة من المحددات الطبيعية والإدارية؛ ومن المحددات الطبيعية هناك وادي سوريك أو وادي الصرار إلى الشرق من صطاف، وقمة الجبل من الغرب. أما الحدود الإدارية فتتمثل في حدود "متنزه" صطاف الحالية التي تضم أغلب أراضي صطاف، بما فيها مركز القرية والأراضي المحيطة بها، وأجزاء من الطرق المحيطة بالمتنزه.

ثالثًا: تمثيل استعمالات الأرض في قرية صطاف من خلال نظم المعلومات الجغرافية

في الحالة الدراسية للدراسة؛ أي قرية صطاف، ليس من أهداف الدراسة توثيق استعمالات الأرض فقط، بل يكمن هدفها الأساسي في مجادلتها بأن الممارسات الحالية التي تشكل استعمالات الأرض في صطاف هي خليطٌ من الممارسات ذاتها التي كان يمارسها أهل صطاف –سواء بخصوص الزراعة البعلية أو الزراعة المروية– وما بين ممارساتٍ استحدثها الصندوق القومي اليهودي في ذات المكان كالتشجير والتحريج، ومسالك التنزه وغيرها من الممارسات. وجدت الدراسة في نظم المعلومات الجغرافية سبيلًا في

[194] تم الحصول على صورة صطاف الجوية لعام 2014 من دائرة الجغرافيا في جامعة بيرزيت.

إثبات مجادلتها حول ذلك، إذ استخدمت صورتين جويتين؛ إحداهما تعود إلى العام 1944-1945، والأخرى تعود إلى العام 2014؛ أي أن ذلك يغطي فترة 70 عامًا يتم من خلالها توثيق فئات استعمالات الأرض في فترة وجود أهل صطاف، أو الفترة التي أصبحت فيها صطاف تحت إدارة الصندوق القومي اليهودي. ومن أجل فهم أكبر ومعمق لاستعمالات الأرض في صطاف (خلال الفترتين)، اجتهدت الدراسة في إجراء ترسيم لفئات استعمالات الأرض في صطاف. أيضًا، وفي سبيل توضيح العلاقة ما بين استعمالات الأرض في صورة عام 1945 وصورة عام 2014، عملت الدراسة على حساب مساحة كل فئة من فئات استعمالات الأرض من أجل فحص التغييرات والتحولات على استعمالات الأرض لتدعيم ادعاء الدراسة حول حالة صطاف الاستثنائية في وجود خليط من الممارسات التي تشكل المشهد واستعمالات الأرض فيها.

ترسيم صورة صطاف الجوية لعام 1945

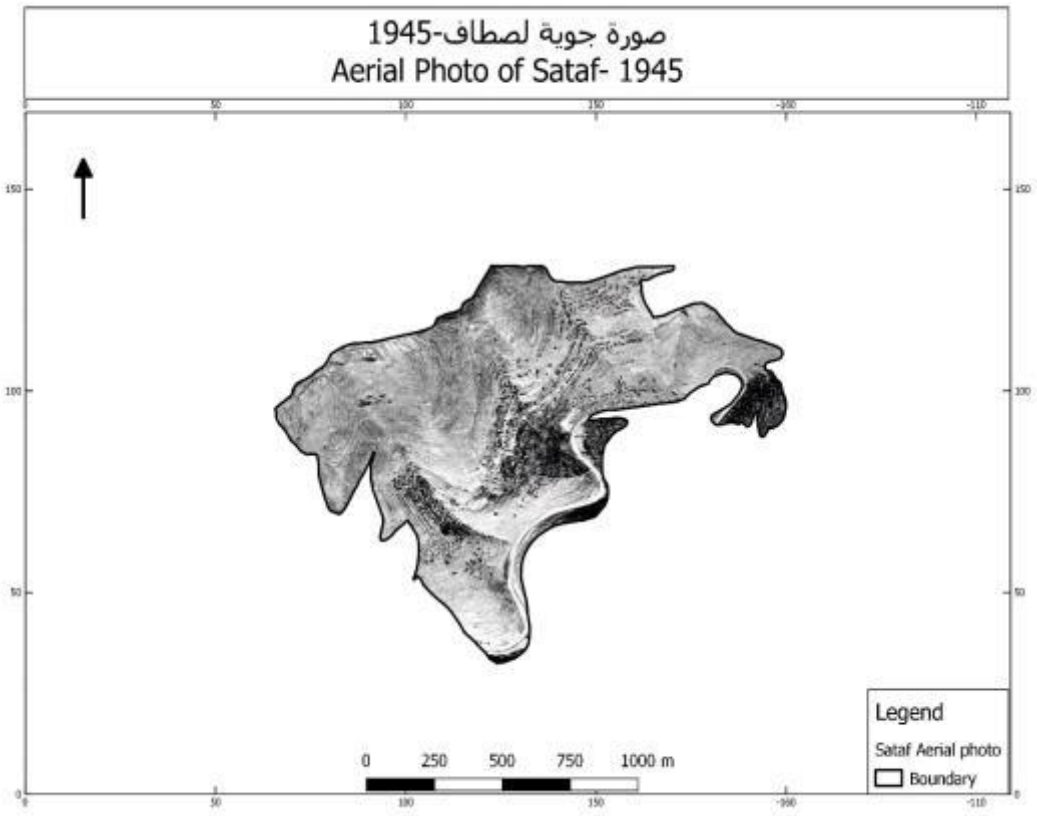

خارطة رقم (1)، صورة جوية لصطاف عام 1945.

في صورة عام 1945 هكذا تظهر صورة صطاف من الجو (بعد تحديد منطقة الدراسة)، إذ تظهر من خلالها استعمالات الأرض التي كانت سائدة آنذاك،[195] وقد تم تقسيم فئات استعمالات الأرض (تبعًا لنظام CORINE land cover) إلى ثلاث فئات، وفي كل فئة هناك ثلاثةُ مستوياتٍ.[196] تقسم الفئات إلى فئة المناطق المبنية، إذ يوجد فيها المستوى الثالث،[197] وتضم فيه المناطق المبنية والطرقات. أما الفئة الثانية، فهي فئة المناطق الزراعية التي تضم في المستوى الثالث كلًا من كروم الزيتون، وأشجار الحمضيات، والمحاصيل المروية. بينما الفئة الثالثة والأخيرة هي فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية، وفي المستوى الثالث تضم فئة الغابات المختلطة، وفئة المناطق المفتوحة قليلة النباتات.

---

[195] لا بد التوضيح من أنه قد يختلف تمثيل استعمالات الأرض في الصورة الجوية عما هو موجود في الخارطة البريطانية، لكون الخارطة الميدانية كانت قد ارتبطت بزيارات ميدانية قبل ترسيمها ضمن مشروع مسح فلسطين. لكن ومن أجل زيادة مصداقية الترسيم تم إجراء عدة زيارات ميدانية قبل ترسيم الصورة الجوية التي تعود إلى العام 2014.

[196] European Environment Agency, CORINE Land Cover.
https://www.eea.europa.eu/publications/COR0-landcover

[197] تسلط الدراسة على المستوى الثالث من فئات استعمالات الأرض، ذلك لكونه المستوى الذي من خلاله يُجرى تحديدٌ دقيقٌ لاستخدامات الأرض في كل فئة.

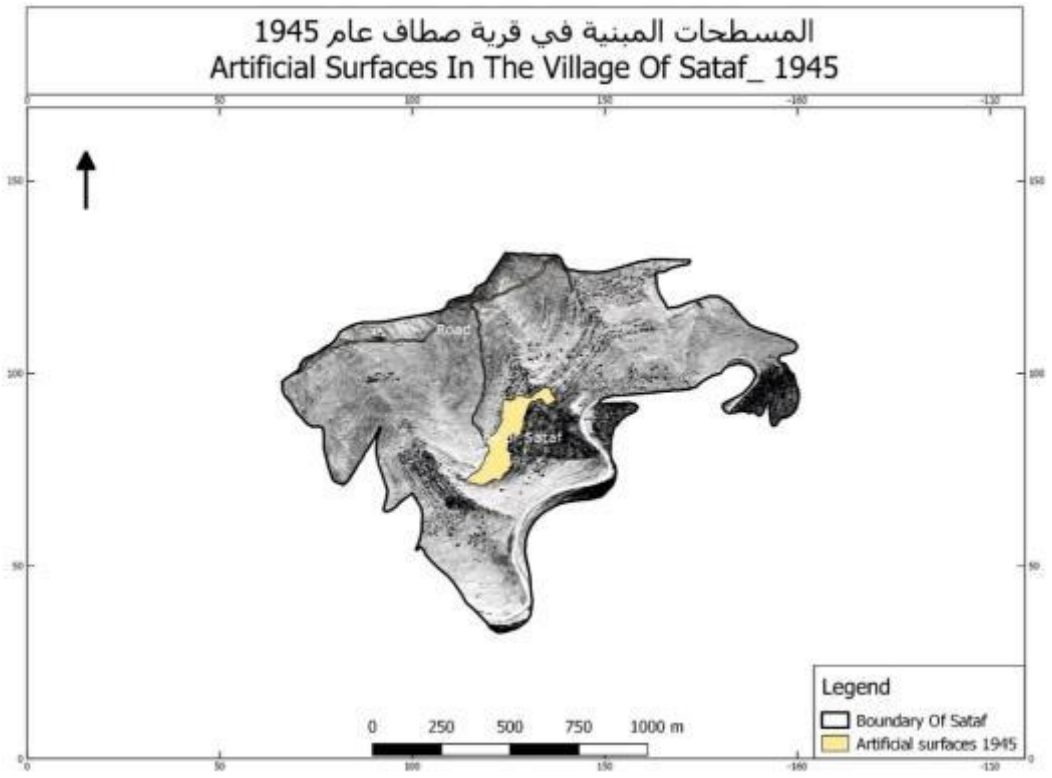

خارطة رقم (2)، تُظهر المناطق المرسمة المساحات المبنية والطرقات في صطاف.

تعتبر صطاف من القرى الجبلية التي تتمركز فيها المنطقة المبنية في وسط الجبل، لكون أغلب الموارد المائية موجودةً هناك. ولم يكن هناك طرقٌ كثيرةٌ- سواء طرق معبدة أو غير معبدة- ما عدا بعض الطرق التي تصلها مع قرية صوبا (ومنها إلى القسطل)، وطريق أخرى إلى خربة اللوز. أما مساحة المنطقة المبنية (تبعًا لترسيم الخريطة الجوية) فهي 44254 مترًا، أي 44.2 دونم، بينما مساحة الطرقات فهي 15279 مترًا، أي حوالي 15.3 دونمًا.[198]

[198] الدونم هي وحدة لقياس الأراضي في فلسطين وسوريا إضافة إلى المناطق المحيطة، وكل 1 دونم= 1000 متر.

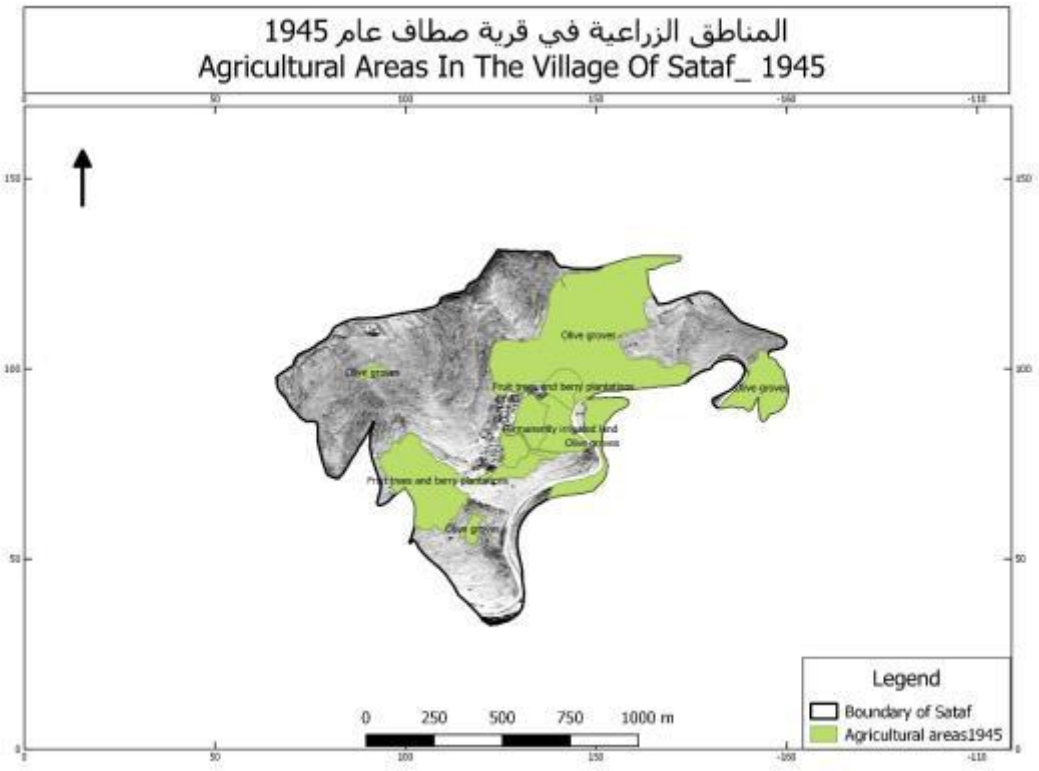

خارطة رقم (3)، تُظهر المساحات المرسمة المناطق الزراعية في صطاف.

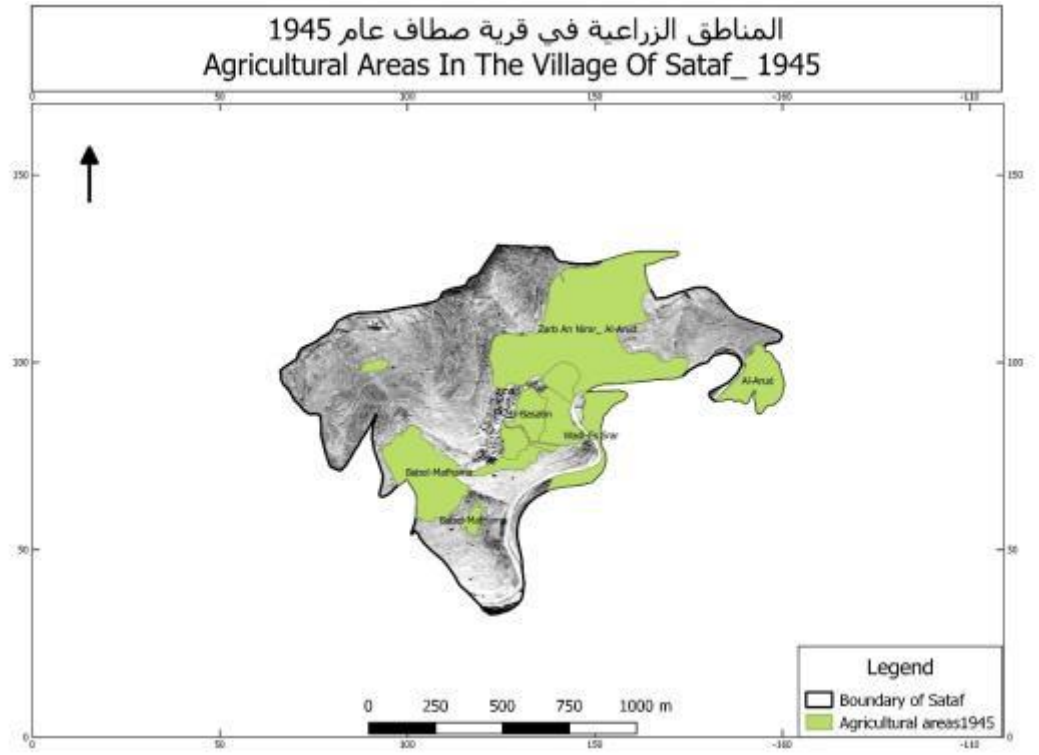

خارطة رقم (4)، تظهر أسماء الأماكن الزراعية الموجودة في صطاف.

تتوزع المناطق الزراعية على مساحات مختلفة من الأراضي في صطاف، ذلك تبعًا لنوعها من ناحية الري (الطريقة البعلية والطريقة المروية)، أو تبعًا لنوع الأشجار والمحاصيل الزراعية الموجودة في كل منطقة. في الجزء الشمالي تهيمن كروم الزيتون على باقي الأشجار والمحاصيل الزراعية الأخرى، خاصةً في منطقة "زرب النمر" ومنطقة "العروض"، وهي مناطق تكثر فيها المدرجات الزراعية، والتي تعتمد على الطريقة البعلية في الري؛ أي على مياه الامطار بشكل أساسي. أما المنطقة الوسطى، فهي منطقة تهيمن عليها المحاصيل المروية خاصة في المنطقة التي تُطلق عليها تسمية "البساتين" أو الجنان (كما هي معروفة لدى أهل صطاف). كما توجد أشجار الفواكه والحمضيات بين منطقة زرب النمر والبساتين (لكون البعض منها يحتاج إلى ري من الموارد المائية كالبرك الشرقية على سبيل المثال). في المنطقة الشرقية، بالقرب من وادي الصرار أو وادي سوريك تكثر أشجار الزيتون إلى جانب الأشجار الأخرى، لكنها على الطريقة البعلية (لكونها بعيدةً عن مصادر المياه). في المنطقة الغربية أغلب مساحات الأراضي مغطاةٌ بكروم الزيتون، خاصةً أن المنطقة تزداد وعورة بالاتجاه نحو أعلى الجبل وباتجاه قرية خربة اللوز، ويطلق على هذه المنطقة اسم "باب المفحمة" (تبعًا لخارطة مسح فلسطين عام 1933).[199] في صطاف تتباين المساحات الزراعية تبًعا لعوامل عدة؛ أهمها العامل الجغرافي وطبيعة التربة وتوفر المصادر المائية، وهذا تفسيرٌ لتنوع المحاصيل الزراعية فيها. من حيث المساحة تغطي كروم الزيتون المساحة الزراعية الأكبر بمساحة مقدارها 370289 مترًا؛ أي حوالي 370.3 دونمًا. بينما تأتي بساتين الفواكه في المرتبة الثانية، إذ تغطي مساحة بمقدار 120964 مترًا؛ أي حوالي 121 دونمًا. بينما تبلغ مساحة المحاصيل المروية 70868 مترًا؛ أي حوالي 71 دونمًا، والتي تتركز في وسط البلد بالقرب من موارد المياه بالقرية.

[199] خلال القيام بعمل مقابلات التاريخ الشفهي لم يتعرف من تمت مقابلته/ها إلى مسمى باب المفحمة.

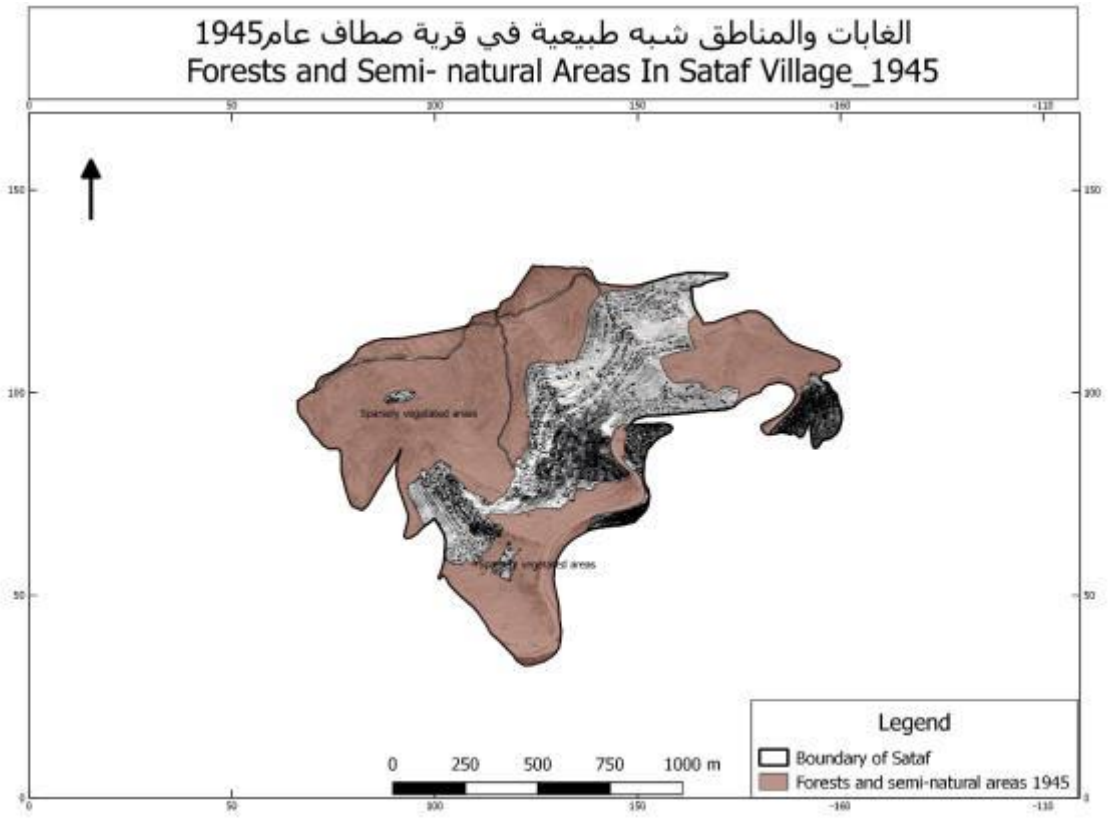

خارطة رقم (5)، تُظهر المساحات المرسمة المناطق المفتوحة القليلة النباتات.

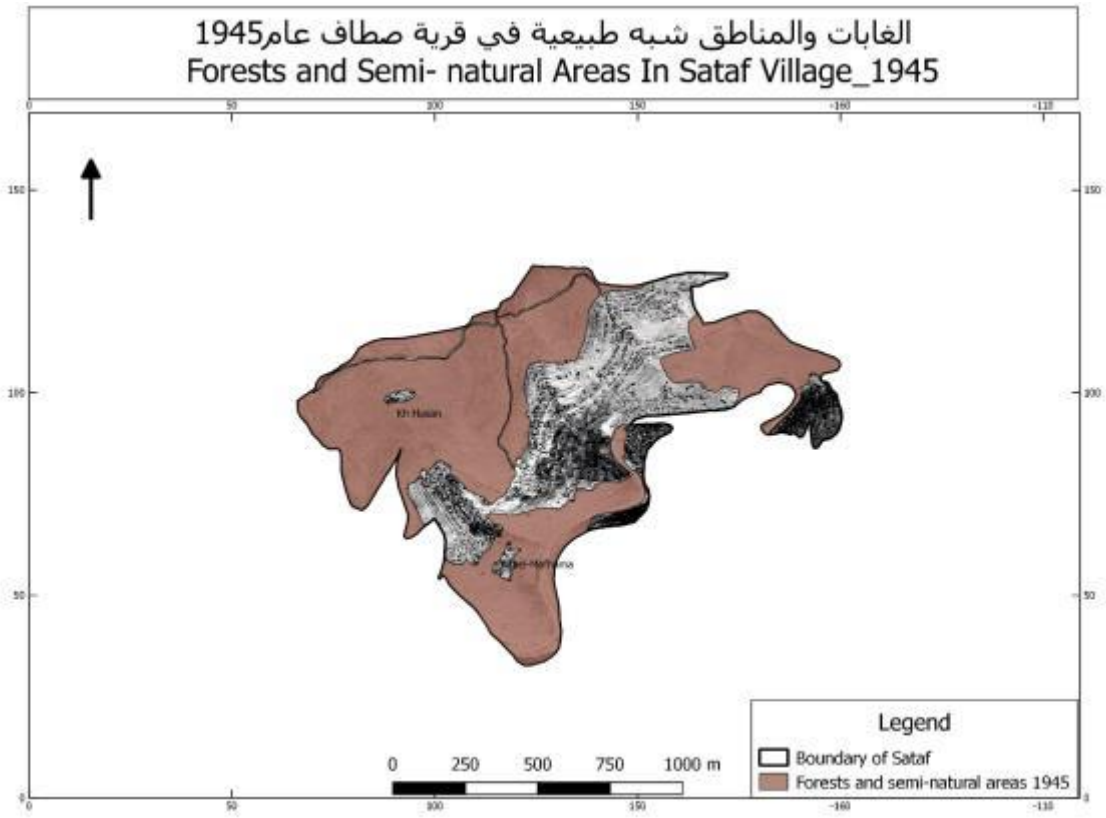

خارطة رقم (6)، تظهر أسماء المناطق التي تهيمن عليها فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية– فئة المساحات القليلة الخضرة.

تتصف المناطق المظللة بكونها مناطقَ ذات إنتاجيةٍ زراعيةٍ متواضعةٍ، فيها بعض الأشجار، كما كانت تستخدم بشكل أساسي كمساحات رعوية. بالإضافة إلى ذلك كانت موطن النباتات البرية والشجيرات المنتشرة، وهي التي كانت تتركز في ثلاث مناطق: خربة حسن، باب المفحمة، ومنطقة العروض. وتغطي هذه الفئة، التي تتم تسميتها كمناطق مفتوحة قليلة الخضرة، مساحاتٍ كبيرةً تعد هي الأكبر على نطاق منطقة الدراسة، إذ تغطي مساحة مقدارها 1252741مترًا؛ أي حوالي 1253 دونمًا.

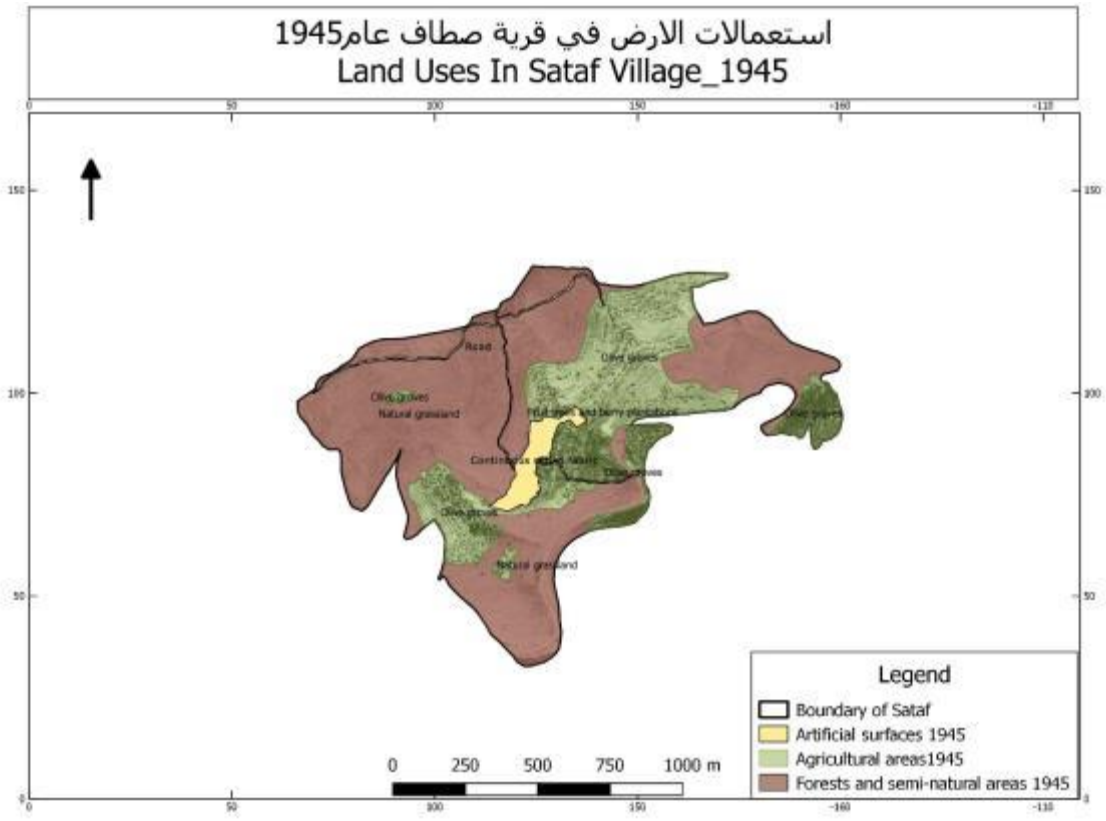

خارطة رقم (7)، استعمالات الأرض في قرية صطاف عام 1945.

عند وضع الفئات الثلاث من استعمالات الأرض، يصبح تقسيم استعمالات الأرض في قرية صطاف عام 1945 كما في الصورة أعلاه، إذ كما يظهر فيها تتركز المنطقة المبنية في المنطقة الوسطى، والتي تعدّ قريبةً من المناطق الزراعية بأنواعها المختلفة، كما أنها تصل المناطق الزراعية بالمناطق الرعوية. تقع أغلب المناطق قليلة الخضرة، والتي تغطي مساحات واسعة من استعمالات الأرض على أطراف القرية، كما تقع في أعلى قمة الجبل، وذلك لكونها مناطقَ تصعب الزراعة فيها. وبذلك، يمكن ملاحظة وجود تنوع في استعمالات الأرض الموجودة في صطاف، سواء باحتوائها على مساحات زراعية يُقدر مجموعها (تبعًا لترسيم الصورة الجوية) 563 دونمًا، أما مساحة المنطقة المبنية (من ضمنها مساحة الطرقات) فهي بمقدار 59.5 دونمًا. وكما تطرقت الدراسة بالسابق حول اعتبار المنطقة المفتوحة قليلة الخضرة هي الفئة التي تغطي المساحة الأكبر ضمن ترسيم الصورة الجوية عام 1945 بمقدار 1253 دونمًا.

ترسيم صورة صطاف الجوية لعام 2014

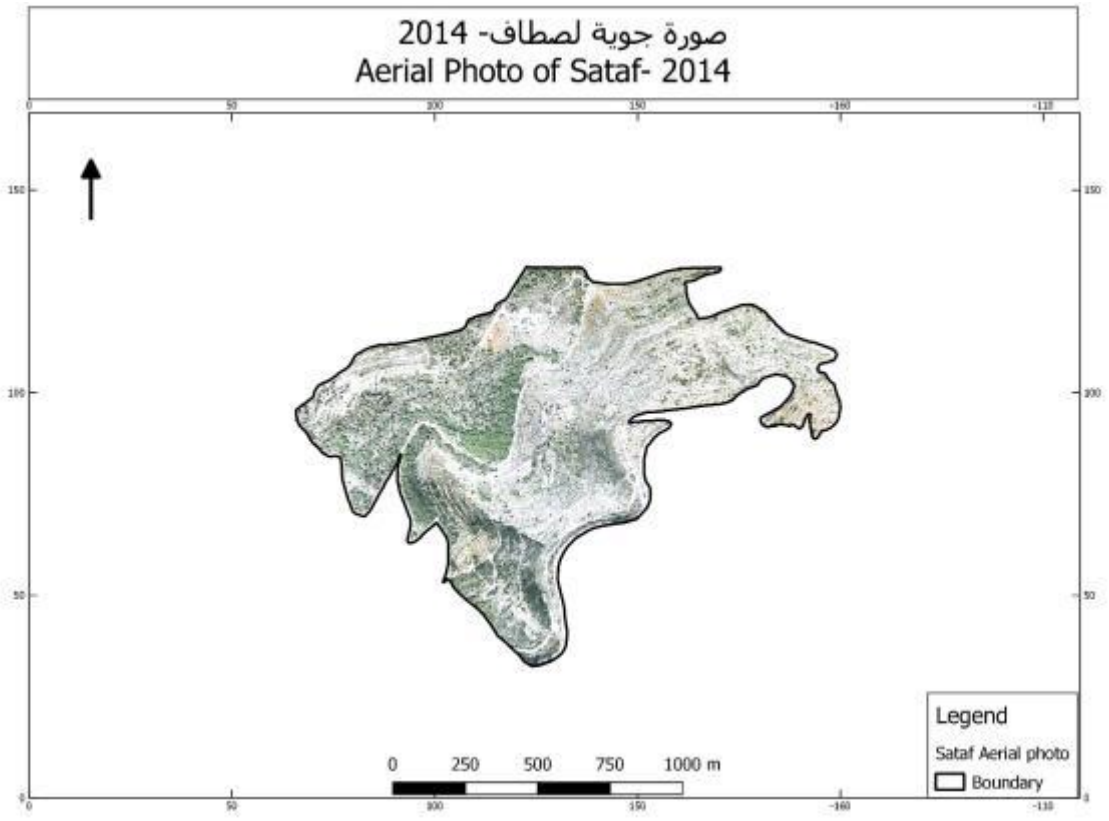

خارطة رقم (8)، صورة جوية لصطاف عام 2014.

في البداية، لا بد من القول إن ترسيم صورة صطاف الجوية لعام 2014 هو أكثر دقة من ترسيم صورة صطاف الجوية لعام 1945، وذلك لكون صورة 2014 ذات جودة عالية ووضوحٍ كبيرٍ مقارنةً بصورة عام 1945. وهذا ما ينعكس على مصداقية الترسيم. لكن من ناحية الخطوات، فهي ذاتها بين الصورتين، لكن سبق ترسيم صورة عام 2014 زيارات ميدانية إلى المكان.

كما في تقسيمات استعمالات الأراضي الموجودة في صورة صطاف الجوية لعام 1945 تحتوي الصورة الجوية لعام 2014 على ذات الفئات والمستويات؛ إذ يوجد ثلاثة تقسيمات تم حساب مساحة كلٍّ منها، كما يتم التركيز على المستوى الثالث من فئات التقسيمات، تبعًا لنظام تقسيمات استعمالات الأراضي CORINE.

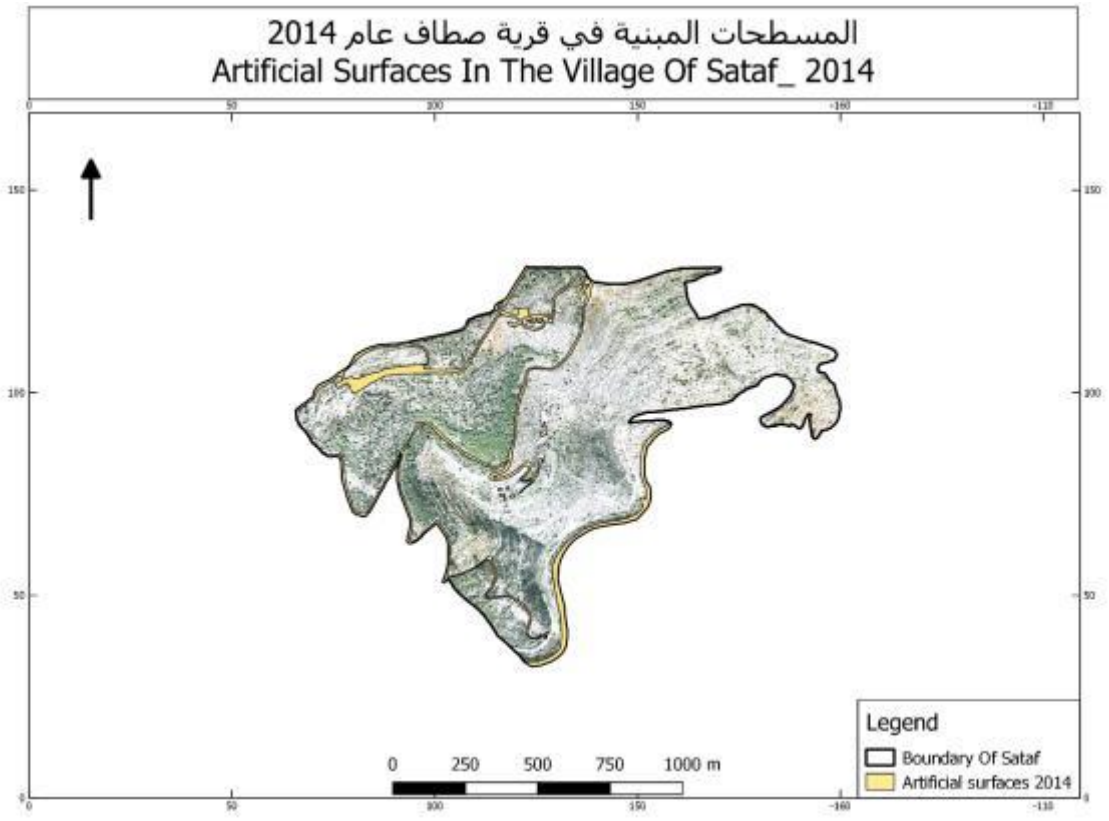

خارطة رقم (9)، تُظهر مساحات الترسيم المظللة المناطق المبنية والطرقات في صطاف.

في الصورة تظهر مسطحات البناء الموجودة في الوقت الحالي في صطاف، إضافةً إلى الطرقات الموجودة فيها، إذ تبلغ مساحة المسطحات المبنية 1809 أمتار أي 1.8 دونم، بينما تبلغ مساحة الطرقات 94908 أمتار؛ أي حوالي 94.9 دونمًا. ومن الجدير ذكره بأن مساحة مسطحات البناء قد تعرضت لتحولات كبيرة (تناقشها الدراسة عند استعراض النتائج بشكل مفصل)، كما الحال ذاته بالنسبة إلى الطرقات.

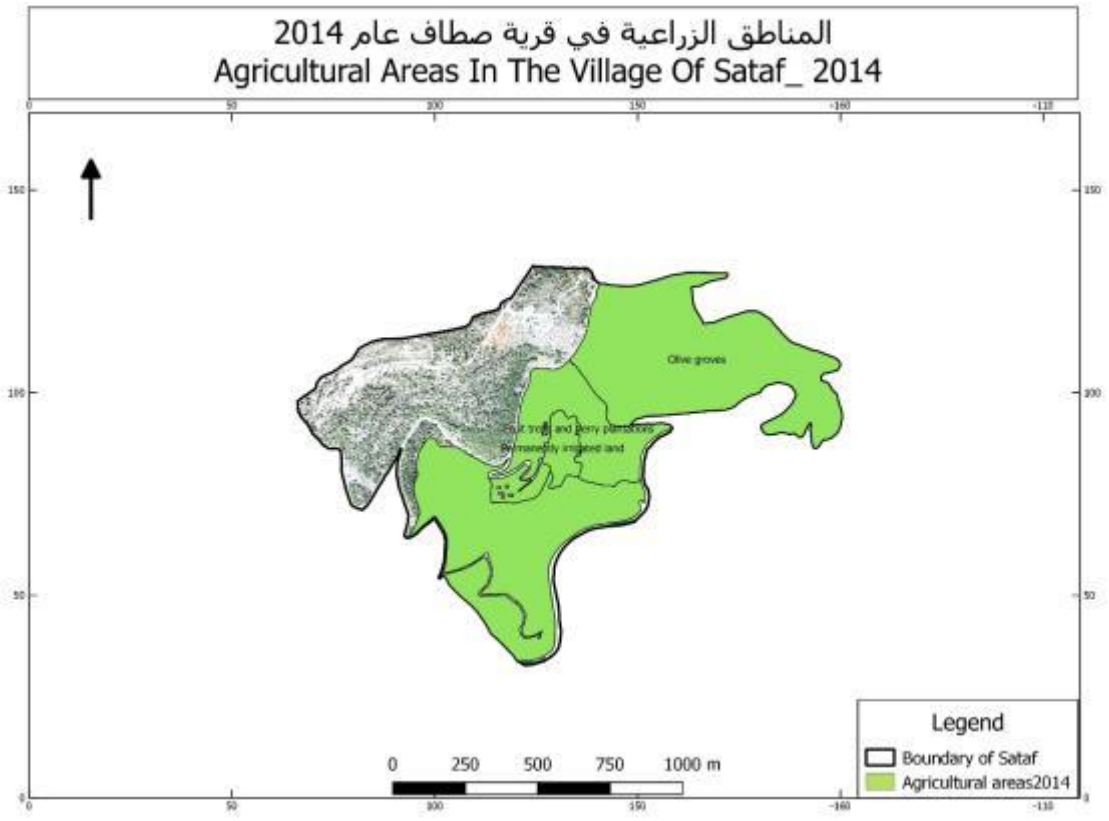

خارطة رقم (10)، تُظهر المناطق المظللة مساحات المناطق الزراعية الموجودة في صطاف)

تُظهر الصورة أماكن تركز المساحات الزراعية المختلفة، ومدى هيمنة كل صنف (المستوى الثالث) على كل منطقة، إذ تتواجد كروم الزيتون في المنطقة الشمالية، والشمالية الشرقية، ومنطقة وادي سوريك أو وادي الصرار، بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية. أما منطقة البساتين، فلا تزال تتركز بالمنطقة المركزية (الوسطى) من المكان إلى جانب موارد المياه الموجود هناك. أما أشجار الفواكه بالإضافة إلى الأنواع الأخرى (من ضمنها أشجار اللوز)، فهي تشكل المنطقة الحاجزة في الوسط، والتي تبدأ من الجهة الغربية العليا إلى الجهة الشرقية في الأسفل. بالنسبة إلى مساحة كل فئة من الفئات الزراعية والتي تتواجد في المكان، فهي كالتالي: من ناحية المساحة الأكبر للأشجار الموجودة في صطاف، تُعتبر كروم الزيتون بالمقدمة بمساحة مقدارها 807711 مترًا؛ أي حوالي 808 دونمات. بينما تأتي بعدها فئة أشجار الفواكه والأشجار الأخرى بمساحة مقدارها 174954 مترًا؛ أي حوالي 175 دونمًا. وتأتي الفئة الثالثة وهي فئة الأراضي المروية بمساحة مقدارها 34012 مترًا؛ أي حوالي 34 دونمًا.

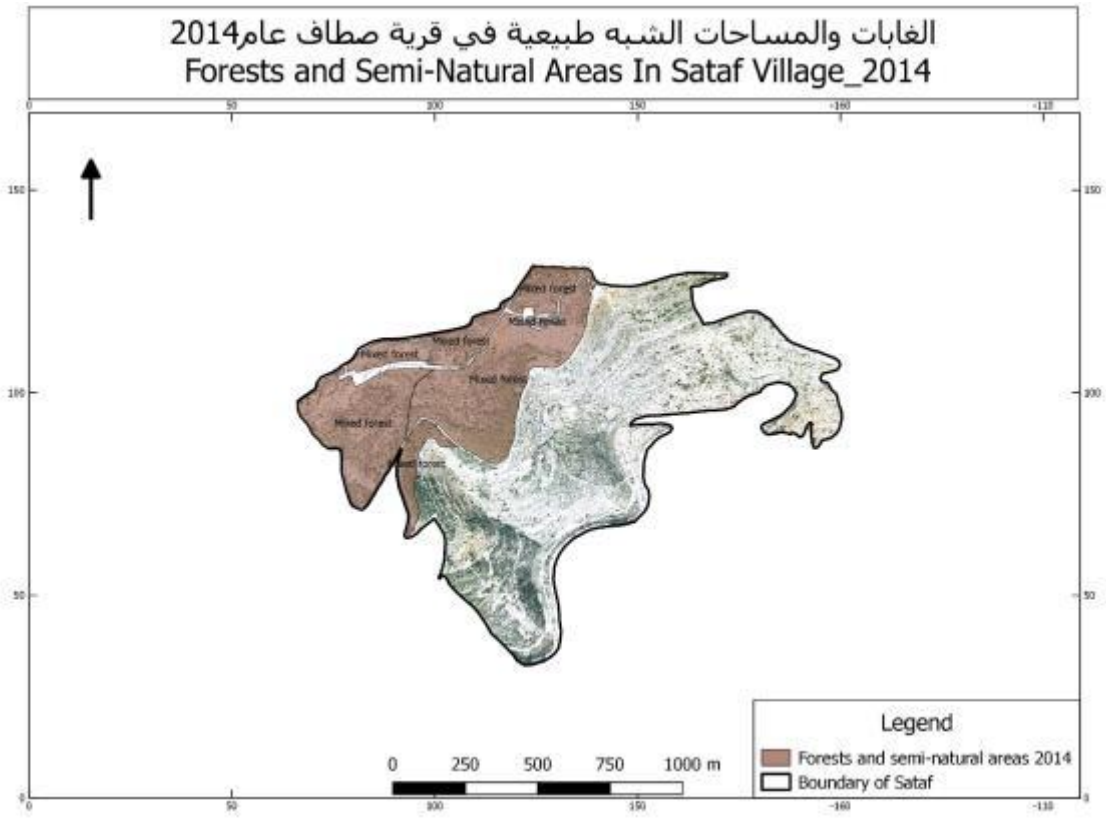

خارطة رقم (11)، تُظهر المساحات المظللة مناطق الغابات المختلطة الموجودة في صطاف

تعدُّ الغابات المختلطة جزءًا من الفئة الثالثة لاستعمالات الأراضي؛ وهي فئة الغابات والمساحات الشبه طبيعية. تتواجد هذه الغابات في المنطقة الغربية والشمالية الغربية، ومن ثم تمتد لتغطي مساحات شاسعة خارج حدود منطقة الدراسة. يهيمن المستوى الثالث؛ أي فئة الغابات المختلطة، على هذه المساحات التي يبلغ مقدار مساحتها (داخل حدود منطقة الدراسة) 505626 مترًا أي 505.6 دونمات، إذ تظلل هذه مساحةً كبيرةً من مساحة استعمالات الأرض في حدود الدراسة لمنطقة صطاف.

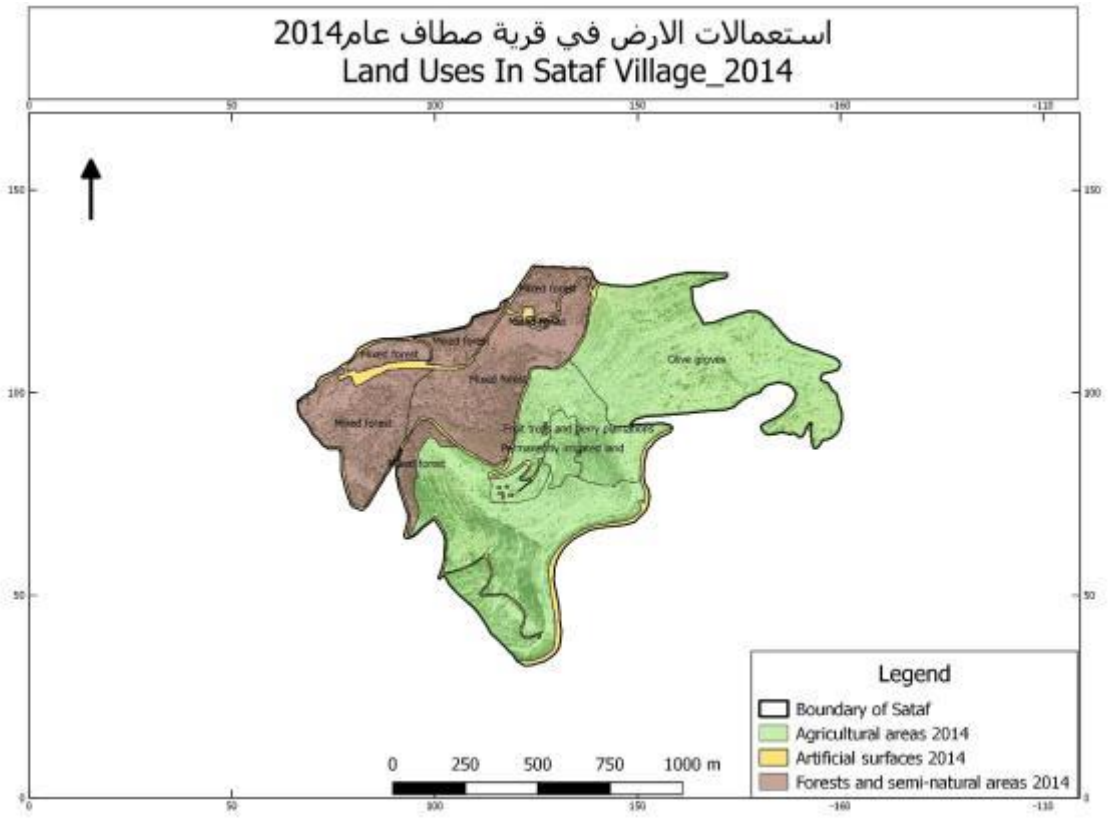

خارطة رقم (12)، استعمالات الأرض في قرية صطاف.

تبين الصورة الجوية استعمالات الأرض المختلفة الموجودة حاليًا في "متنزه" صطاف، إذ تشتمل فيه استعمالات أرض متنوعة، وقد هيمن عليها الاستخدام الزراعي للأرض؛ ذلك أنه بعد حساب المساحة الإجمالية لاستخدامات الأرض المختلفة تبيّن أن الاستخدام الزراعي ظلل المساحة الأكبر والتي مقدارها 1016 دونمًا. أما الغابات، فهي تشكّل المساحة المظللة الأكبر بعد الاستخدام الزراعي بمساحة مقدارها 505.6 دونم. بينما أصغر المساحات المظللة كانت من نصيب المسطحات المبنية (مع الطرقات)، إذ تبلغ مساحتها 69.7 دونمًا، لكن إذا تم استثناء مساحة الطرقات، فإن المساحة المظللة للمسطحات المبنية تبلغ 1.8 دونم فقط.

ثالثًا: استعمالات الأرض في صطاف: تغييرات وتحولات!

من خلال استخدام نظم المعلومات الجغرافية تظهر العديد من النتائج والمخرجات، سواء كانت النتائج المنبثقة عن صورة صطاف الجوية عام 1945 أو صورة 2014. وحتى يتم توضيح العديد من المركبات والعناصر المكونة لصورة استعمالات واستخدامات الأرض في صطاف، لا بد للدراسة من استعراض النتائج المنبثقة عن عملية الترسيم والتظليل، ومن ثم حساب المساحات لكل عنصر على حدة. وهذا ما تحتاجه الدراسة لتوضيح النتائج. لكن أيضًا، لا بد للدراسة من مقارنة النتائج والمخرجات بين صورة صطاف الجوية عام 1945 وصورة صطاف الجوية عام 2014 حتى تدعم مجادلتها في وجود حالة مركبة واستثنائية في صطاف، تتمثل بوجود خليط من الممارسات التي تُعدّ مسؤولةً عن تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة، ويتشكل هذا الخليط من وجود ممارسات مشابهة لممارسات أهل صطاف قبل عام النكبة (ذات منهجية العمل الزراعي على سبيل المثال لا الحصر)، وما بين وجود ممارسات مختلفة تم فرضها على المكان (كالتحريج والتشجير).

يتبين لدى الدراسة أن استخدامات الأرض في صورة صطاف الجوية لعام 1945 قد هيمن عليها استخدامات واستعمالات مختلفة، ما بين الزراعة بأشكالها المختلفة من جهة، ومن جهة أخرى وجود مسطحات بناء متشكلة بغالبها ضمن مساحة متواصلة غير مجزأة، متمركزة في وسط القرية، لكنها مساحة ليست كبيرة، إذ إنها لا تتجاوز 44 دونمًا، وهذه مساحة صغيرة نسبة إلى المساحة الكلية (مساحة منطقة الدراسة). أما الطرقات فهي ذات مساحة ليست كبيرة لا تتجاوز 15 دونمًا، وهذا يُعبّر عن قلة عدد الطرقات الموجودة في القرية. وهذا معناه أن المساحة الإجمالية لفئة مسطحات البناء هي 59.5 دونمًا. أما الفئة الثانية، وهي فئة المساحات الزراعية، فهي فئة متنوعة بذاتها، يوجد في داخلها العديد من الفئات التي عملت الدراسة على رصدها، إذ توجد فئة كروم الزيتون والتي تبلغ 370.3 دونمًا، أما الفئة الثانية، فهي فئة أشجار الفواكه والأشجار الأخرى، إذ بلغت مساحتها 121 دونمًا. بينما بلغت مساحة الأراضي المروية (بشكل دائم) 71 دونمًا. يتبين من هذه النتائج أن مجموع استخدامات الأرض الزراعية بكافة أنواعها هو 562.3 دونمًا، والتي تشكل كروم الزيتون منها النصيب الأكبر. تبقى الفئة الثالثة، وهي فئة الغابات والمساحات الشبه شبه طبيعية، إذ إنها الفئة الأكبر بمساحة مقدارها 1252.7 دونمًا، وهي تتكون من فئة واحدة؛ وهي فئة

المراعي المفتوحة التي تضم أيضًا أشجارًا قليلة، فتبلغ مساحتها أكثر من ضعف مساحة الأراضي الزراعية. هذه كانت أهم النتائج التي تم استخراجها من صورة صطاف الجوية لعام 1945.

أما أهم النتائج التي استخلاصها من صورة صطاف الجوية لعام 2014 فهي كما يأتي، تستعرض الدراسة نتائج الفئة الأولى وهي فئة مسطحات البناء، فبلغت مساحة مسطحات البناء (مع الطرق) حوالي 95 دونمًا، لكن منها فقط حوالي 1.8 دونم هي مساحة مسطحات البناء بدون الطرق، بالتالي بلغت مساحة الطرقات 93.8 دونمًا.

بينما الفئة الثانية، وهي فئة الاستخدام الزراعي للأرض، فكانت مقسمة (كما هو متبع في دراسة) للفئات ذاتها، إذ كانت النتائج متباينة بين الاستخدامات الزراعية المختلفة، فكانت مساحة كروم الزيتون هي الأكبر ضمن الاستخدام الزراعي، إذ وصلت إلى 808 دونمات، أما مساحة أشجار الفواكه والأشجار الأخرى فكانت 175 دونمًا، ومساحة الأراضي المروية بشكل دائم هي 34 دونمًا. والفئة الأخيرة كانت فئة أراضي الغابات والمساحات الشبه طبيعية، إذ إن مساحتها قد بلغت 505.6 دونمات، والتي كانت مساحتها مغطاة بشكل كامل بفئة الغابات المختلطة (تتكون من أشجار السرو والصنوبر)، بينما مساحة مستوى المراعي قد بلغت صفرًا.

بعد استعراض نتائج كل من صورة صطاف الجوية لعام 1945 وصورة صطاف الجوية لعام 2014، لا بد للدراسة من مقارنة النتائج بين الفترتين الزمنيتين من أجل فهم التحولات والتغييرات التي حصلت على استخدامات واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة عام 1948، ما بين استعمالات الأرض التي شكّلها أهل صطاف حتى العام 1948 وما بين استعمالات الأرض التي شكلها الصندوق القومي اليهودي بعد عام 1948. أما المقارنة، فهي على شاكلة مقارنة الفئات ببعضها البعض، أي المقارنة بين كل فئة وما يماثلها من الصورة الثانية، وبعد ذلك تكون هناك مقارنة شاملة على المستوى الأوسع بشكل يضم كافة الفئات والمستويات على مستوى استعمالات الأرض بشكل يشمل كافة مساحة الدراسة في صطاف.

فئة المسطحات المبنية: عند مقارنة المسطحات المبنية بين صورة عام 1945 مع صورة عام 2014 يمكن ملاحظة الانخفاض الحاد في مساحة مسطحات البناء (بدون مساحة الطرقات)، إذ كانت عام 1945 قد بلغت 44 دونمًا، بينما تبلغ مساحة المسطحات المبنية الآن فقط 1.8 دونم بالتالي صغرت مساحة الأبنية بمقدار 42.2 دونمًا، وهذا يعود إلى تدمير القرية بعد عام

1948، وبالتحديد تدمير وسط القرية بالكامل (ما عدا حوش الفتياني) بعد حرب حزيران عام 1967.[200] وبذلك يعد تدمير قرية صطاف العامل الأهم في تراجع مسطحات البناء من مساحة 44 دونمًا إلى مساحة 1.8 دونم، التي تعتبر مساحةً مخصصةً لبناء المساكن لمسؤولي صطاف في الصندوق القومي اليهودي، بالإضافة إلى مساحة مخازن لمواد البناء المستخدمة في أعمال الترميمات والتصليحات التي تتم من خلال موظفي الصندوق.

في ذات فئة مسطحات البناء هنالك أيضًا الطرقات التي هي على النقيض من فئة الأبنية قد ازدادت مساحتها بشكل طردي، إذ كانت مساحتها عام 1945 قد بلغت حوالي 15 دونمًا، بينما بلغت مساحتها عام 2014 حوالي 93.8 دونمًا، أي أن مساحتها قد تضاعفت أكثر من خمس مرات عن مساحتها في عام 1945 فازدادت حوالي 79 دونم.

فئة المناطق الزراعية (الاستخدام الزراعي): تتعدد المستويات الموجودة داخل هذه الفئة، إذ يوجد ثلاث فئات ضمن المستوى الثالث؛ وهي فئة كروم الزيتون، أشجار الفاكهة، والأرض المروية بشكل دائم. وبسبب تعدد الفئات ضمن المستوى الثالث تتعمق الدراسة فيها لتقوم بمقارنة كل فئة داخل المستوى الثالث، وذلك من أجل ضمان فهم أفضل للنتائج والمخرجات.

في الصورة الجوية لعام 1945 بلغت مساحة كروم الزيتون 370.3 دونمًا، بينما بلغت مساحة هذه الفئة ضمن صورة عام 2014 حوالي 808 دونمات، إذ تعبر هذه النتائج عن زيادة مطردة في مساحة كروم الزيتون الموجودة ضمن منطقة الدراسة، حيث ازدادت بأكثر من الضعف بمقدار 438 دونمًا (سيتم التطرق إلى ذلك بشكل معمق). أما مساحة الفئة الثانية ضمن المستوى الثالث، أشجار الفاكهة (والأشجار الأخرى) فكانت في عام 1945 قد بلغت مساحتها 121 دونمًا، بينما في العام 2014 قد بلغت 175 دونمًا، بالتالي توجد زيادة مقدارها 54 دونمًا. بالنسبة إلى الفئة الثالثة ضمن المستوى الثالث؛ أي فئة الأرض المروية بشكل دائم، في العام 1945 بلغت مساحتها حوالي 71 دونمًا، لكن مساحتها هبطت إلى 34 دونمًا عام 2014 لعدة أسباب؛ أهمها استنزاف المياه بشكل كبير وانخفاض منسوب المياه في صطاف (بحسب مسؤولي الصندوق القومي اليهودي).[201]

[200] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 22 كانون الثاني 2018. وقد ذكر خلال المقابلة حول تدمير وسط قرية صطاف بعد حرب حزيران عام 1967.
[201] مصدر قد سبق ذكره.

فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية (الغابات والمناطق المفتوحة قليلة الخضرة): في العام 1945 بلغت مساحة المستوى الثالث منها، والذي كان بشكل استثنائي ينضوي تحت فئة واحدة هي فئة المناطق المفتوحة قليلة الخضرة، إذ كانت هذه الفئة تعد الأكبر من حيث تغطيتها لمساحة بلغت حوالي 1253 دونمًا، بينما في العام 2014 شهدت (ضمن الفئة بشكل عام والمستوى الثالث بشكل خاص) تغييرات وتحولات كبيرة أدت إلى نقصان مساحتها لتبلغ 505.6 دونمات، والتي تحولت بشكل كامل من مستوى المناطق قليلة الخضرة إلى مستوى الغابات المختلطة (ضمن المستوى الثالث)، وكان ذلك بسبب عمليات التحريج والتشجير التي نفذها الصندوق القومي اليهودي، إذ استهدف بشكل مباشر (في حالة صطاف) المناطق قليلة الخضرة التي كانت ضمن المناطق البعيدة عن وسط القرية أو المناطق الزراعية بأنواعها المختلفة. بالإضافة إلى ذلك كان ثمّة نقصان ضمن مساحة هذه الفئة بشكل عام لصالح فئات أخرى (ستتعمق الدراسة في ذلك بشكل أكثر تفصيلًا).

بعد التطرق بشكل تفصيلي إلى المقارنة ضمن فئات استعمالات الأرض بين صورة صطاف الجوية عام 1945 وصورة صطاف الجوية عام 2014، لا بد للدراسة من المقارنة على مستوى رسم أكبر يضم فيه استعمالات الأرض المختلفة بين الصورتين، وذلك من زاويتين؛ من زاوية علاقة الزيادة والنقصان بين فئات استعمالات الأرض، أما الأمر الآخر، فهو بدخول أو خروج فئات ضمن فئات استعمالات الأرض في الصورتين أيضًا.

شهدت العلاقةُ بين الفئات المختلفة لاستعمالات الأرض تغييراتٍ من ناحية علاقة الزيادة والنقصان، إذ ازدادت مساحة فئات معينة ونقصت مساحة فئات أخرى لحساب الفئات التي ازدادت المساحة فيها. كما تطرقت الدراسة من قبل حول الزيادة المطردة في كروم الزيتون، إذ بلغ مقدار الزيادة فيها 438 دونمًا، كما كان هنالك زيادة بأشجار الفاكهة والأشجار الأخرى بمقدار 54 دونمًا، أما المساحات التي شهدت نقصانًا، فهي المساحات المبنية بمقدار 42.2 دونمًا (بدون الطرقات)، بينما الطرقات قد ازدادت بمقدار 79 دونمًا. أما الأرض المروية بشكل دائم فقد نقصت بمقدار 37 دونمًا. لكن التغييرات الأكبر قد وقعت على فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية، إذ قلت مساحتها بمقدار 747.5 دونمًا. وهذا معناه وجود تغييرات في مساحات استعمالات الأرض بمنطقة الدراسة، إذ ازدادت مساحة كروم الزيتون وأشجار الفاكهة والطرقات على حساب مساحة فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية، مناطق مسطحات البناء (ما عدا الطرقات)، والأرض المروية بشكل دائم. لكن ذلك لا يعني (حتى الآن) وجود ممارسات مختلفة عما كانت عليه ممارسات تشكيل استعمالات الأرض قبل عام 1948، إذ إن المساحات هي التي اختلفت وليست الممارسات. بينما عند فحص الزاوية الأخرى من العلاقة، ألا وهي زاوية دخول أو خروج فئات ضمن فئات استعمالات

الأرض بين الصورتين، فتستطيع الدراسة إثبات وجود تحولات وتغييرات على الممارسات ضمن فئتين اثنتين هما: فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية، وفئة مسطحات البناء. عند معاينة فئة الغابات والمناطق الشبه طبيعية ضمن صورة 2014 يمكن ملاحظة خروج فئة المناطق قليلة الخضرة من التصنيف لاستعمالات الأرض لصالح فئة أخرى؛ هي فئة الغابات المختلطة التي لم تكن موجودة بتاتًا ضمن فئات استعمالات الأرض في صورة صطاف الجوية لعام 1945. التغيير الثاني ضمن فئات استعمالات الأراضي كان أيضًا ضمن الصورة الجوية لعام 2014، إذ لم يبقَ من المناطق المبنية إلا المنشآت التي أنشأها الصندوق القومي اليهودي (وترميم غرفتين في حوش الفتياني)، أما البناء في صطاف فممنوع، لكون القرية تخضع لسيطرة الصندوق القومي اليهودي– قسم المتنزهات والحدائق. وهكذا أصبحت فئة المسطحات المبنية مقتصرة على الطرقات ومنشآت الصندوق.

بعد استعراض ومعاينة وجود تغييرات ضمن فئات استعمالات الأرض، يمكن للدراسة إثبات وجود تحولات في الممارسات في تشكيل استعمالات الأرض عند مقارنة الصور الجوية الخاصة بمنطقة الدراسة؛ أي منطقة صطاف (ضمن الحدود التي وضعتها الدراسة) ضمن صورة عام 1945 وصورة عام 2014. ولكن يجب التنبه إلى كون اختلاف ممارسات تشكيل استعمالات الأرض يقع في فئتين فقط من مجمل الفئات الأخرى الموجودة في صطاف؛ فئة المسطحات المبنية والمناطق قليلة الخضرة، بينما أغلب الممارسات الأخرى قد بقيت فيها ممارسات تشكيل استعمالات الأرض كما كانت عليه قبل عام 1948.

سادسًا: تلخيص

في هذا الفصل، كان جل تركيزه على فحص مدى التغييرات التي شهدتها استعمالات الأرض بين صورة صطاف الجوية لعام 1945 وصورة عام 2014 لذات منطقة الدراسة. بالإضافة إلى ذلك، هدف الفصل إلى توضيح تلك التغييرات، ومساحة كلٍّ منها في ضوء التأكد من وجود بعض التغييرات التي أثرت على بعض الفئات دون غيرها، وهي فئة المسطحات المبنية وفئة المناطق المفتوحة قليلة الخضرة، إذ إن التغييرات التي أصابتها كانت تغييرات جذرية تضمنت استبدالها بفئات أخرى مثل فئة الغابات المختلطة. كما استطاعت الدراسة من خلال هذا الفصل تبيان التغييرات والفروقات بمساحة فئات استعمالات الأرض، ومن ثم تمثيلها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية التي استعرضتها في الصور الموجودة في الفصل. هذا الفصل هو بمثابة أداة لربط وسائل تمثيل استعمالات واستخدامات الأرض ببعضها البعض، سواء كان باستخراج البيانات من الخارطة البريطانية أو من الصور الجوية، ومن تمثيلها بالترسيم والتظليل، وفي النهاية مقارنتها مع بعضها البعض واستخراج النتائج التي أثبتت بطريقة علمية وجود حالة مركبة في صطاف. تتصف هذه الحالة المركبة في كون صطاف هي حالةٌ استثنائيةٌ تجمع بين ممارسات تشكيل استعمالات الأرض بشكلٍ مطابقٍ للممارسات التي كان يمارسها أهل صطاف قبل عام 1948 مثل الزراعة البعلية التي تمثلت بشكل كبير في كروم الزيتون وأشجار الفاكهة، كما بالزراعة المروية التي تمثلت بالأرض المروية بشكل دائم في البساتين والجنان، وبين ممارسات مختلفةٍ لتشكيل استعمالات الأرض عن الممارسات التي كانت قبل عام 1948 مثل التشجير، وإقامة المتنزه، ومنع وجود مسطحات مبنية في مكان الدراسة (ما عدا مساكن مسؤولي صطاف في الصندوق القومي اليهودي).

الفصل الخامس: تحليل وخلاصة

أولًا: ربط الممارسات وتحليلها

يعد الفصل الخامس الجزئية الأخيرة ضمن فصول الدراسة، لكن هذا لا يعني أنه محورٌ تلخيصيٌّ لها فقط، بل هو فصلٌ يتم من خلاله ربط الممارسات التي تدخل في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف- وهي التي تمت معالجتها كلٌّ على حدة خلال الفصول السابقة- فيأتي هذا الربط من أجل معالجة الادعاء الأساسي للدراسة حول تلك الممارسات؛ بكونها ممارساتٍ شكّلت مشهدًا مركبًا من مشهدين في آنٍ؛ جزءٌ منه مكون من ممارسات أهل قرية صطاف المهجرة عام 1948 (تم توثيقها من خلال وسيلة التأريخ الشفوي وخرائط مسح فلسطين عام 1933، إضافة إلى الصور الجوية التي تعود إلى العام 1944-1945)، والجزء الآخر مكونٌ من ممارسات الصندوق القومي اليهودي التي بدأت بعد حرب حزيران عام 1967(تم توثيقها من خلال وثائق الأرشيف الصهيوني وإجراء مقابلات مع مسؤولي وموظفي الصندوق القومي اليهودي، كما بالاعتماد على الصور الجوية التي تعود إلى العام 2014 والقيام بالزيارات الميدانية إلى منطقة الدراسة). بالتالي، هي ممارساتٌ تعود إلى جهات مختلفة قد ساهمت (كلٌّ منها في أوزانٍ مختلفةٍ) في تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف. يضمّ هذا الفصل، أيضًا، الزيارات الميدانية والمقطع العرضي كوسيلة لتفكيك الممارسات المركبة في صطاف. أما نتائج معالجة الممارسات في الفصول السابقة فاستعراضها وتحليلها هما جزءٌ من موقف الدراسة تجاه قضية المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، سواء كانت النتائج حول الممارسات في صطاف قبل عام 1948 وبالتحديد ممارسات أهل القرية، أو النتائج حول الممارسات التي استؤنفت فيها بعد عام 1967 أي بعد إقامة مشروع المتنزه فيها.

ما تحاول الدراسة إثباته بعد التحقق منه على أرض الواقع أن المشهد الطبيعي في صطاف لا تحتكره جهةٌ واحدةٌ أو حقبةٌ واحدةٌ؛ أي أنه مشهدٌ مركبٌ من عدة طبقات، كانت ممارسات أهل قرية صطاف جزءًا بنيويًا منها كسائر الممارسات الأخرى المشكلة للمشهد، وهذا ما تسعى الدراسة إلى توضيحه. أما الممارسات التي يؤديها الصندوق القومي اليهودي من خلال فكرة "المتنزه" في صطاف فهي مرتبطة بهندسة وتشكيل المكان ضمن أطر وأهداف كيف يجب على المشهد في صطاف أن يكون، ليتم اختزال ذاك المشهد في فترة وحقبة محددة قديمة تكون نموذجًا لما كانت عليه جبال القدس قبل آلاف السنوات، بينما يتم استبعاد واستثناء حقبة أهل قرية صطاف الفلسطينيين ودورهم في المحافظة على الكثير من تلك الممارسات، خاصة الزراعية منها.

عند زيارة المكان، لا تتوقف الجدلية حول الممارسات الموجودة فيه؛ هل هي ممارسات قديمة أم ممارسات حديثة تشكل جزءًا من هندسة وتشكيل المكان؟ هل هذا المشهد جزءٌ من القرية الفلسطينية أم جزءٌ من المتنزه في صطاف؟ فإذا كان المشهد في صطاف جزءًا من الفترة الانتدابية، لماذا لم يتم محوه بالكامل كما تم في العديد من القرى الفلسطينية الأخرى (مثل قرية خربة اللوز الملاصقة لصطاف)؟ أو على الأقل تم إهماله (كما في قرية صوبا إلى الشمال من صطاف)؟ تتقاطع جميع هذه الأسئلة مع الممارسات التي نفّذتها جهات عدة في صطاف؛ سواء أهل صطاف خلال الفترة الانتدابية، أو الصندوق القومي اليهودي في مشروع المتنزه الذي نفّذه في ذات المكان، حتى أصبح المكان يضم ممارسات متعددة الأوجه يصعب على غير المتعمقين في حيثيات المشهد أن يفهموها، وبدلًا من ذلك يتم تشكيل المشهد على أساس تصورات تهيمن عليها ثقافة الحنين إلى الماضي ومحاولة استرجاعه، وهذا ما تتجنبه هذه الدراسة بشكل كامل من خلال مقاربتها النقدية.

تبدأ البداية منذ النهاية؛ أي تبدأ مع جزئية المشهد المركب للمشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف الذي لا يمكن معالجته إلا بتفكيك العناصر والعوامل المكونة له، إذ ينبغي الفصل ما بين أمرين؛ ما بين الممارسات التي تُعتبر جزءًا من المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف وما بين الممارسات الدخيلة عليها بعد عام 1948، فيجب التفريق بينها لكون أغلب الممارسات التي نشطت ضمن فترتي الدراسة؛ أي قبل عام 1948 وبعده لا تتسم جميعها بالتناقض والتعارض في ما بينها، بل على العكس من ذلك تتسم بالتشابه والتجانس(بعضها) بل حتى بالتماهي. أما الممارسات الدخيلة فهي متناقضة وتتصادم في ما بينها؛ بين ما كان وما يوجد الآن. لذلك وجب على الدراسة تبيان ما هو متجانسٌ وما هو متعارضٌ من تلك الممارسات في صطاف حتى يتم الفصل في ما بينها. لكن لا يعني أن تماهي ممارسات تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض أن الجهة التي تمارسها هي ذاتها، وهذا ما يتم توضيحه في هذه الدراسة أيضًا.

إن هذه الدراسة تطرح الفرق بين ذات الممارسات وفي ذات المكان، إذ يعود الفرق إلى عدة أمور: أهمها الجهة التي تمارس الممارسات في الحقبتين الزمنيتين، فالحقبة الأولى كان يشغلها أهل وعائلات صطاف، بينما الحقبة الثانية أمسك بزمامها الصندوق القومي اليهودي. أما الأمر الآخر فيُعزى إلى اختلاف هدف الممارسات الزراعية ما بين الجهتين، فالممارسات الزراعية لأهل صطاف كانت من أجل سد الحاجات الغذائية لأهل القرية، والقسم الآخر منها كان من أجل بيعه في الأسواق في عين كارم والقدس ،كما تقول السيدة عزيزة **"وأنا كنت بعمر الثمان سنين لما كنت بنت صغيرة كنت بنط من هان لهان، كنت أروح مع أمي نبيع بسوق عين كارم ونرجع لما نخلص، بس ما كنا نروح على محنيه يهودا، بس الستات الكبار يروحن هناك"**[202]. بينما الممارسات الزراعية التي يشرف عليها الصندوق القومي اليهودي تعود إلى كونها تشكل "متحفًا" مفتوحًا من أجل توثيق واسترجاع المشهد الزراعي الذي شَغَلَ جبال "يهودا" خلال الفترات التاريخية القديمة،[203] (بدون ذكر الحقبة الزمنية التي كان أهل صطاف موجودين فيها، فلم يتم التطرق إلى كيف كان المشهد الزراعي في تلك الفترة)، وهذا ما يؤكده مسؤول منطقة صطاف في الصندوق القومي اليهودي "غيدي بشن" بقوله: –

"في صطاف بدأ المشروع الأول للصندوق القومي اليهودي الذي تمحور حول استرجاع المشهد فيها، وكما تعرف لم يكن يومًا للصندوق القومي اليهودي اهتمامٌ في ذلك، إنما صب جل اهتمامه على تشجير وتحريج الغابات".[204]

بالإضافة إلى ما سبق، يقول "غيدي "بشن" حول ممارسته هدفَ الصندوق القومي اليهودي ضمن الحبلات الزراعية بشكل خاصٍ، إضافةً إلى وضع مشاريع تستهدف "مشاركة الجمهور" في الممارسات الزراعية فيها (جزءٌ معينٌ من مساحة الحبلات الزراعية)، وبطريقة القسائم ذاتها التي كانت يستخدمها أهل صطاف:

" قمنا باقتطاع ثمان حبلات زراعية وقسمناها إلى قسائم، كل واحد منها 100–150 مترًا مربعًا، ومن ثم قمنا بإعطائها إلى الناس القادمة من القدس والمناطق المحيطة، فأصبح كل واحد منهم يزرع الأرض لاحتياجاته ويأتي للاعتناء بها مرة أو مرتين أسبوعيًا. هذه الطريقة تشبه إلى حد كبير ما يتم فعله بأوروبا مثل ألمانيا وهولندا. أما نمط الزراعة فيها فهي بدون تمديدات كمواسير المياه. وكانت تعود هذه الفكرة إلى الشخص الذي توفي واسمه شلومو إيلان، وبعد موته فقط من أجل تخليد فكرته (كان هو صاحب فكرة مشروع الزراعة التشاركية) وضعنا لافتة باسمه. في حال رغبة الشخص بالحصول على الأرض، يُقدّم طلبًا إلى إدارة الصندوق القومي في صطاف، ومن ثم يتم البت في طلبه وبعد ذلك يوقع على عقد الإيجار. مع الأسف كل الذين

[202] السيدة عزيزة خضر محمد حسين: من مواليد قرية صطاف عام 1936. تم إجراء المقابلة بتاريخ 1 كانون الثاني 2018.

[203] مقترح إقامة "متحف" زراعي في صطاف لتوثيق زراعة الجبل، صدر بتاريخ 6 أيلول 1971، ملف رقم S15\50556، الأرشيف الصهيوني.

[204] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 2كانون الثاني 2018.

يأتون من أجل الزراعة هم من الوسط اليهودي، ونحن نسعد بوجود أشخاص عرب في هذا المشروع. بخصوص التكلفة فهي فقط 150 شيكلًا، إذ يوجد الآن 55 شخصًا".

لكن الذي لم يتطرق إليه "غيدي بشن" (ربما لعدم درايته بالأمر) أن أهل صطاف كانوا قد استخدموا ذات نظام القسائم في زراعة الحبلات الزراعية، إذ كانت مقسمة في ما بينهم؛ لكل عائلة مساحات محددة منها (لم يكن لجميع العائلات الصطافية قسائمُ أو حصصٌ في الحبلات الزراعية، بل اقتصر ذلك على عائلات معينة) بحسب ادعاء السيدة عزيزة حسين: –

أبوي أنا كان عنده أرض أكثر، في ناس ما إلهنش (ليس لديهم) ولا حبلة (يتم تقسيم البساتين من خلال مصاطب وسلاسل حجرية تُسمى حبلات)، يعني قد "طاولة" ما إلهنش بالجنان (البساتين)، ولا إشي قليل جدّا لأن هذه الأرض مش كثيرة كثير (قليلة). دار عمي صالح إلهن حبلة، كان قليل للناس، بس إلنا! حبلة مسلم إلنا اشتريناه من الذهب، ما أدري دهب فرنسي ولا رشادي (عثماني)، خضر محمد حسين هو كان إله أكثر جانين من غيره بالرغم من أنهم (البساتين) مش كثير. الناس كانوا ميتين على الجنان (كانوا يريدونها بشدة).[205]

من الصحة القول بأن الصور الجوية لا تستطيع تحديد هوية من يقوم بالممارسات الزراعية في صطاف، لكنها تستطيع إثبات أمرٍ آخرَ بخصوص ذات الممارسات، وهو حول تشابه الممارسات الزراعية بين الحقبة الانتدابية على فلسطين، وبالتحديد عام 1944–1945 وما بين الحقبة التي يتولى فيها الصندوق القومي اليهودي الإشراف المباشر على من يؤدّي، إلى جانب الصندوق، تلك الممارسات الزراعية. كذلك الأمر من ناحية كشف التغييرات التي وقعت على الحبلات الزراعية (الجنان) من ناحية التغييرات في المساحة، نمط وتراتبية الزراعة (في حال وجود صورة جوية ذات دقة عالية). على سبيل المثال تكشف المقارنة ما بين الصورة الجوية 1945 والصورة الجوية 2014 أن منطقة الجدر والحبلات الزراعية (الجنان) قد بقيت فيها الممارسات دون تغيير، إلا أنه من ناحية مساحة مسطح الزراعة المروية فقد نقصت المساحة الزراعية، إذ كانت في العام 1945 قد بلغت مساحتها حوالي 71 دونمًا، لكن مساحتها هبطت إلى 34 دونمًا عام 2014 فيها لأسباب لم يتم التطرق إليها، إلا أن مسؤولي وموظفي الصندوق القومي اليهودي قد صرحوا بوجود نقص في كمية المياه بصطاف (تبعًا لادعاء غيدي بشن). هذا معناه أن مساحة ممارسة الزراعة المروية قد تأثرت، وليست الممارسة نفسها، إذ إنها بقيت متشابهةً بين الفترتين. والأمر الذي يؤكد ما جاء في الصورة الجوية ويزيد عليها هو الزيارة الميدانية إلى موقع الدراسة التي تكشف تشابهًا كبيرًا جدًا بين ما قاله أهل صطاف خلال مقابلات التاريخ الشفهي حول جزئية الممارسات الزراعية في الحبلات الزراعية وما بين الواقع الحالي، أي بعد 70 عامًا على

[205] السيدة عزيزة خضر محمد حسين: من مواليد قرية صطاف عام 1936. تم إجراء المقابلة بتاريخ 1 كانون الثاني 2018.

طردهم من المكان، لا يزال الصندوق القومي اليهودي يشرف على زراعة أغلب المنتجات الزراعية فيها، والتي كانت تُزرع من قبل أهل صطاف وباستخدام ذات وسيلة الري المستخدمة قديمًا.[206] في خريطة صطاف التابعة لمشروع مسح فلسطين عام 1933 لم يكن هناك أيُّ إشارةٍ إلى موقع الحبلات الزراعية المروية، وقد اكتفت بالإشارة إلى أماكن تواجد مصادر المياه في القرية.

في الحبلات الزراعية (الجنان) لا يمكن إهمال النظر إلى النظام المائي وعلاقته بالحبلات الزراعية، فللنظام المائي حكايةٌ مشابهةٌ مع الحبلات الزراعية، سواء كان ذلك حول استغلاله ومصيره. عند المقارنة بين الفترتين الزمنيتين، يصبح تكوين رؤية حول منهجية استغلال النظام المائي أكبر، فكما كان أهل صطاف يستغلونه يقوم الصندوق القومي اليهودي بذات الممارسات تجاه النظام المائي (في الحبلات الزراعية فقط)، إذ لا يزال حتى الآن يستخدم ذات مصدر المياه من الكهف المائي (نبع صطاف)، والقنوات المائية الرومانية والبرك المائية التي تم ترميمها مؤخرًا.[207] لكن الذي تم فقدانه هو منهجية تقسيم حصص المياه الذي كان مستخدمًا آنذاك بين سكان القرية، فمع تهجير السكان فُقدت ممارسات استخدام ذاك النظام الذي كان كما يصفه السيد شعبان الفتياني

"بيجيبوا عصاية البطاطا (البطاطا الصطافية) وبعدين بيعلموا عليها تعليمة على كل العصاي وبعدين بيقيسوا فيها بوحدة القيراط وكل واحد بيخلص مقدار القيراط إلى إله بيسكروا المي عليه وبينقلوها لعند غيره".[208]

الجنان في الوسط، وبرك المياه والقنوات تصل بالمياه إليها، لكن ماذا عن المدرجات الزراعية المحيطة، لماذا تم الإبقاء عليها، بل والمحافظة عليها من خلال الإصلاح والترميم المستمر دون انقطاع؟

ارتبط بقاء المدرجات الزراعية والممارسات المرتبطة فيها –من حراثة الأرض، الزراعة البعلية، والاعتناء بالأشجار– بفكرة المتنزه أو المتحف المفتوح لجبال القدس، فالممارسات المرتبطة بالمدرجات الزراعية التي تُعدّ أساس الزراعة البعلية في صطاف (سواء كان ذلك بما يتعلق بالأشجار المزروعة، السلاسل الحجرية وطرق ترميمها) هي ممارسات متشابهة بين الفترتين؛ الفترة حتى عام 1948 وما بعدها، إذ بعيدًا عن الجهات المختلفة المسؤولة عن تلك الممارسات –كما نظام الملكية المختلف– لا يمكن ملاحظة الفروقات في منهجية العمل التي لا تزال تعتمد على الطرق البدائية في العمل، إلا في حالة استخدام الجرار الزراعي مؤخرًا (في المناطق التي تسمح طوبوغرافيتها بذلك). ويرتبط التماهي من ناحية طبيعة أنواع الأشجار الموجودة فيها (ليس بالضرورة أن تكون ذات

[206] زيارة ميدانية

[207] أثناء القيام بزيارة ميدانية إلى صطاف تم ملاحظة قيام الصندوق القومي اليهودي بترميم جزء من النظام المائي الموجود في صطاف، وكانت بركة المياه الشرقية (بحسب مسمى البركة لدى أهل صطاف).

[208] السيد شعبان شاكر رشيد عبد الرزاق الفتياني. بتاريخ 25 كانون الأول 2017 تم عمل مقابلة مع الحاج شعبان في مدينة أريحا حيث يسكن حاليًا بعد نزوح عائلته عن قرية صطاف عام 1948.

الأشجار من فترة ما قبل عام 1948)، فالمدرجات الزراعية مرتبطةٌ أساسًا بزراعة أشجار الزيتون التي تفترش أنحاءً عديدةً منها، كما هنالك أشجار اللوز وأنواعٌ أخرى من الأشجار التي لا تزال تتواجد فيها. وكان في صطاف نوعان من الزيتون؛ أحدهما الزيتون الروماني والذي لا تزال كرومه موجودةً إلى يومنا هذا، والآخر حديثٌ نوعًا ما تمت زراعته على فترات مختلفة في أنحاء المدرجات الزراعية في صطاف، فيقول السيد إسماعيل **"الزيتون مزروع قديم وبعدين زرعوا جديد الناس"**، أما ممارسات الصندوق القومي اليهودي تجاه تلك الأشجار فكانت تبعًا لمنطقة وجودها؛ فإذا كانت ضمن المناطق التي تخضع لسيطرة متنزه صطاف، فكان يتم الاعتناء بها والمحافظة عليها كجزء من فكرة المتحف الطبيعي، أما إذا كانت خارجها فتم إهمالها وحتى تدميرها كما حدث لوادي صوبا الذي يقع بين قرية صطاف وصوبا كما في رواية شعبان الفتياني: –

"في الواد هذا كان كله (وادي صوبا أو وادي الشمالية) موارس، حبايل مجزأه لفلان وفلان وبين كل حصة أرباع (مقسمة إلى مربعات) مقسمة بسلسلة حجرية. هذول الحجار كنا نطلعهن من الأرض وين نروح فيهن، كنا نطلعهن ونسوي السلسلة على الحدود. اليهود بالجرافات مسحوا كل المعلومات هذه (دمروا هذه الجزئية من المشهد) وسوّوها (قاموا) أرض وحدة. زرعوا (اليهود بحسب قوله) فيها التفاح هلقد كل حبة (التفاح من الحجم الكبير)".[209]

ولم ينفِ "غيدي بشن" ما قاله "شعبان الفتياني" حول وادي صوبا الذي لا يعدّ جزءًا من متنزه صطاف، فيسرد بقوله: –

"لم يكن وادي صوبا جزءًا من صطاف، وهو ليس جزءًا من المتنزه، لكن صحيح الذي قلته عن تدمير المدرجات الزراعية فيه، إذ قام سكان كيبوتس تسوفا (صوبا) بتدمير المدرجات الزراعية فيه من أجل إقامة مشروع للزراعة على النمط الحديث، خاصة زراعة كروم العنب التي كانت سائدة آنذاك في ما بينهم".[210]

بالعودة إلى مصير المدرجات الزراعية الموجودة داخل حدود المتنزه، تجد المدرجات الزراعية على أحسن حال، وإذ تضررت إحداها يسارع موظفو الصندوق إلى إصلاحها وإعادة بنائها، خوفًا من انجراف التربة، وبالتالي انهيار فكرة المحافظة على مشهد المدرجات الزراعية، (**نحنا مسؤولين عن بناء السلاسل، نحنا بنرجعها متل ما كانت، إذا انهدت "تداعت وانهارت" بنرجع نبنيها**)،[211] هكذا كان رد موظفي الصندوق القومي اليهودي حول ممارساتهم تجاه السلاسل الحجرية والمدرجات الزراعية، فممارساتهم مرتبطةٌ

[209] مصدر سبق ذكره.
[210] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 22كانون الثاني 2018.
[211] مقابلة مع الموظفين العرب في الصندوق القومي اليهودي بمنطقة صطاف بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

تمامًا في المحافظة على شكل تلك السلاسل، وهذا ما جاء أيضًا في المقترح الرئيسي لإقامة متنزه صطاف الذي كان أحد بنوده ينص على تنظيف واسترجاع نظام المياه والمدرجات الزراعية.[212]

ولا تتناقض مخرجات الصورة الجوية حول الأشجار الموجودة ضمن المدرجات الزراعية، إذ تثبت أن مناطق كروم الزيتون لا تزال موجودة، فعند ترسيم كروم الزيتون من الصورة الجوية التي تعود لعام 1945 بلغت مساحة كروم الزيتون 370.3 دونمًا، بينما بلغت مساحة هذه الفئة ضمن صورة عام 2014 حوالي 808 دونمات. تعبّر هذه النتائج عن زيادة مطردة في مساحة كروم الزيتون الموجودة ضمن منطقة الدراسة، إذ ازدادت بأكثر من الضعف بمقدار 438 دونمًا، وهذه النتيجة تعكس أن الصندوق القومي اليهودي توسع في زراعة أشجار الزيتون (تعكس هذه الأرقام المناطق التي تضم متنزه صطاف وما يحيطه من الأراضي الزراعية؛ أي بالاعتماد على حدود وضعتها الدراسة لمنطقة معينة من صطاف، ولا تعكس بالضرورة جميع الأراضي التي كانت ضمن منطقة نفوذ القرية خلال فترة الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين 1917–1948). بينما أشجار الفاكهة (والأشجار الأخرى) فكانت في عام 1945 قد بلغت مساحتها 121 دونمًا، بينما في العام 2014 قد بلغت 175 دونمًا، بالتالي توجد زيادة مقدارها 54 دونمًا. وهذا دليل على أن الأشجار والمدرجات الزراعية التي كانت ضمن المتنزه (وبعض الأراضي المحيطة) قد تمت المحافظة عليها ضمن الممارسات الزراعية في أراضي الزراعة البعلية.

من وسط صطاف ابتدأت الدراسة زياراتها الميدانية؛ كذلك سرديتها، من الحبلات الزراعية المروية ومن ثم النظام المائي من جهة أعلى الغرب. بعد ذلك، وصلت المدرجات الزراعية البعلية التي تحتل قدرًا كبيرًا من جمالية المشهد، سواء بأشجارها او بسلاسلها. كانت هذه أهم الممارسات (جميعها مرتبطةٌ بالممارسات الزراعية المشكلة للمشهد الزراعي في صطاف) التي تتصف بالتماهي والتشابه؛ بين ما كان بالماضي وماذا يوجد بالحاضر، لكنها بذات الوقت تتصف بالاختلاف والتناقض من ناحية مسوغات كل جهةٍ تمارسها؛ إذ إن هناك تباينات شاسعةً ما بين مسوغات الممارسات لأهل القرية من جهة، ومسوغات الصندوق القومي اليهودي في هندسة وتشكيل المشهد من جهة أخرى.

ما بين الممارسات المتشابهة والممارسات المتناقضة صفوفٌ مرتبةٌ من الأشجار؛ أشجارٌ لا يشك المرء لوهلة أنها مصطفة على أطراف المدرجات الزراعية تحيط بها مثل السور العالي، لكنه عميقٌ لا يمكن من خلاله رؤية قمة الجبل، فبدل المراعي والمناطق

[212] مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.

القليلة الخضرة افترشت أشجار السرو والصنوبر المكان بنمط ذي تراتبية تعكس هندسة المشهد في المكان. وبهذا، لا يتناقض المشهد فقط على سبيل الجهة التي شكّلت المشهد فيه أو باختلاف أهدافها، بل أيضًا تتصف بالتناقض على مستوى الممارسات.

يعد التشجير إحدى الممارسات البنيوية المتناقضة التي نفذها الصندوق القومي اليهودي في تشكيله للمشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، إذ إن هذه الممارسة لم تكن موجودة قبل عام 1948، والتي تم استخدامها في مناطق محددة في صطاف. يقع هذا الاستخدام المحدد لممارسة التشجير في صطاف ضمن العلاقة المركبة ما بين الصندوق القومي اليهودي وصطاف، فتختلف النظرة والرؤية –التي تنعكس على شكل ممارسات– عن الممارسات التي كانت تنشط في قرى فلسطينية مهجرة أخرى. إن المقولة الرئيسية للدراسة المتمثلة في الحالة المركبة لمشهد صطاف الطبيعي يمكن تدعيمها بوضوح بكون المناطق التي تم تشجيرها هي مناطقُ كانت بالأساس مناطقَ رعويةً أو شديدة الانحدار، أو قمم الجبال بعيدًا عن مركز القرية، أو أغلب الأراضي الزراعية الموجودة فيها، سواء كانت المدرجات الزراعية البعلية أو الحبلات الزراعية المروية، إذ يُستدل من ترسيم المكان تبعًا للصور الجوية 1945 ومقارنتها بالترسيم للصورة الجوية 2014 لذات المكان بأن أغلب المناطق قليلة الخضرة في صورة عام 1945 كانت مناطقَ مفتوحةً شديدةَ الانحدار قليلةَ الأشجار، ومن ثم تحولت ذات المنطقة في أغلبها إلى مناطق حرجية مليئة بأشجار الصنوبر والسرو التي غطت المكان. في متنزه صطاف بلغت المساحة التي تم تشجيرها حوالي 505.6 دونمات (تم استثناء المناطق الموجودة خارج حدود المتنزه، والتي تبلغ مساحة التشجير فيها أضعاف هذه المساحة)، أما كامل المنطقة المفتوحة في صطاف فهي1253 دونمًا. ولا يخفي مسؤول الصندوق القومي اليهودي في صطاف "غيدي بشن" ذلك، إلا أنه يركز على نقطة مركزية (بالنسبة له)، وهي عدم تأثر منطقة وسط البلد أو أغلب الأراضي الزراعية بعملية التشجير التي أدّاها الصندوق في صطاف فيسرد قائلاً: –

"بإمكانك الملاحظة أنّه لا يوجد في صطاف هنا (مركز القرية المهجرة) أيُّ تشجيرٍ، إذ لا يوجد تشجير على المصاطب الزراعية. التشجير موجود في جميع مناطق القدس وليس في صطاف لوحدها. بدأ التشجير في صطاف خلال سنوات الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي؛ أي أن عملية التشجير حدثت في فترة متأخرة عن المناطق الأخرى في القدس. يوجد مناطق وبالتأكيد صطاف ليست من ضمنهم! صطاف ليست من ضمنهم! إنهم قاموا (الصندوق القومي اليهودي) بإخفاء معالم القرى العربية (الفلسطينية) المدمرة من اجل ألا تتم ملاحظتهم. لكن بالتأكيد ليس في صطاف. كما ترى أنت يمكنك رؤية كل شيء" [213]

[213] مقابلة مع غيدي بشن مسؤول الغابة والجمهور في صطاف، بتاريخ 22 كانون الثاني 2018.

ولا يمكن القول بأن عملية التشجير لم تكن جزءًا لا يتجزأ من فكرة المتنزه في صطاف، ذلك بأن إحدى وثائق الأرشيف الصهيوني بخصوص الميزانيات كشفت طلب 22 مليون شيكل من أجل حملة التشجير في صطاف، والتي تم تمويلها من قبل الصندوق القومي اليهودي ومؤسسات أخرى لم يتم ذكر أسمائها. وهذا ما يخالف ادعاء غيدي بشن بأن الممارسات المتناقضة التي تتمثل بالتشجير– (في الممارسات الأخرى لا يخفي غيدي بأنها جزء من فكرة المتنزه) –كانت قبل إقامة فكرة المتنزه (لم تكن جزءًا منه)، فالتشجير فكرة قديمة حديثة، وقد كانت جزءًا لا يتجزأ من فكرة هندسة المشهد في المكان مع ملاءمته لفكرة المتنزه. [214]

أما الممارسات المتناقضة الأخرى، فهي الممارسات التي ارتبطت عضويًا بوجود المتنزه، وعلى العكس من الممارسات الأخرى التي ارتبطت أغلبها بممارسات زراعية أو تشجيرية، فإن الممارسات هذه مرتبطةٌ ومعتمدةٌ على العنصر البشري كأداة أو ممارسة في تشكيل مشهد المكان، إذ يمكن للدراسة أن تطلق عليها "ممارسات التنزه" التي تتضمن مسالك المشي، الركض، الدراجات الهوائية، إضافةً إلى قسمي الإرشاد والتطوع والزراعة التشاركية. تشكّل هذه الممارسات العصب البشري لإنجاح فكرة "المتنزه" الطبيعي، أو كما يُطلق عليه "المتحف" المفتوح لجبال القدس، لذلك هي ممارساتٌ ترتبط ارتباطًا عضويًا بفكرة المتنزه التي تُعتبر أحد الأهداف الأساسية المنصوص عليها في مقترح إقامة المتنزه عام 1984. [215]

لا تقتصر الممارسات المتناقضة في المتنزه على الممارسات الزراعية، بل امتدت (منذ نشوء فكرة المتنزه) إلى بناء منظومة متكاملة من الممارسات مرتبطة مع "الجمهور"، ابتداءً من ممارسات مسالك التنزه في "أحضان" الطبيعة، وتنفيذ فعاليات "التواصل" مع المشهد الطبيعي لجبال القدس من خلال بناء السلاسل، وفعاليات زراعة الحقل (كما تم ذكرها بالأعلى)، كما وجود قسم للإرشاد أيضًا.

عند النظر إلى اللافتة التي تحوي خارطة الموقع، يمكن رؤية العديد من مسارات التنزه، هذه المسارات التي تختلف في الاتجاه وطول المسافة، لكنها تتقاطع في أمر واحد؛ أن تجعل فكرة المتنزه تطفو على السطح، بينما تهمل خلفها فكرة القرية الفلسطينية المهجرة، فعلى الرغم من كون صطاف حالةً من الحالات القليلة التي لم يتم تغيير اسم موقعها أو حتى محو فكرة وجود قرية عربية حتى عام 1948، إذ يتم ذكر ذلك في منشورات الصندوق حول صطاف، إلا أنه في ذات الوقت لا يتم التطرق إلى جزئية تهجير القرية من أهلها وإقامة المتنزه على أنقاض بيوتها. لكن ماذا لو قام "المتنزهون" بالتنزه خارج إطار "مسالك التنزه"؟ هل سيكون هنالك تغييراتٌ أو رؤى من خارج الإطار؟

---

[214] "طلب تعديل ميزانية التشجير في صطاف"، وثيقة أرشيفية رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.
[215] مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.

لا تقتصر فعاليات "الجمهور" على صطاف لوحدها، بل هذا الأمر يمتد إلى العديد من "المتنزهات" التي أُقيمت على قرى فلسطينية مهجرة أخرى، غير أن حالة صطاف تتميز بكون المشروع الذي فيها ذات ميزات أخرى، إذ ينشر ثقافة "متحفية" حول المشهد الطبيعي لجبال القدس، وينقل هذه التجربة إلى "الجمهور"، وهذا يعني أنه لا يتم مشاهدة المشهد فقط، بل يتعدى ذلك إلى المشاركة في تشكيله. ومن تلك الفعاليات، هناك فعاليات استقدام المتطوعين لتعليمهم فن بناء السلاسل الحجرية التي هي جزءٌ لا يتجزأ من المشهد الطبيعي في صطاف وجبال القدس، وقد بدأ هذا المشروع منذ نشوء فكرة المتنزه الذي يحوي "متحف الحقل".[216]

في هذه الجزئية وبعد استعراض الدراسة لفكرة تماهي ممارسات تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف أو تباينها وتناقضها ما بين الفترتين، خلال الفترة الانتدابية حتى عام 1948 وبين الفترة التي تليها حتى يومنا هذا، تستطيع الدراسة استعراض رؤيتها؛ وهو المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف خلال الفترة التي سبقت عام 1948 والفترة التي تلته، ذلك من خلال نظرتها إلى الممارسات التي شكلت ذاك المشهد.

منذ بداية معالجتها لتلك الممارسات التي شكلت المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف، اختارت الدراسة التوجه إلى معالجة الصندوق القومي اليهودي ضمن الهيكلية الاستعمارية للحركة الصهيونية. وهو ذات المؤسسة التي امتلكت أوجهًا متعددة متغيرة مع الزمان والمكان؛ فبدأ تاريخه كمؤسسةٍ مرتبطةٍ في شراء الأراضي بمنطقة بلاد الشام، خاصةً فلسطين من أجل توطين المهاجرين اليهود فيها، ومن ثم أُضيفت إلى مسؤولياته "استصلاح" الأراضي الزراعية، وتشجير جزء منها، لتتوسّع ممارساته في هذا المجال بعد عام 1948. أفضى هذا الأمر إلى اعتبار الصندوق القومي اليهودي "مؤسسةً بيئيةً" تمتلك العديد من الفروع حول العالم.[217] لذلك يقضي ادعاء الدراسة الأساسي بكون الصندوق القومي اليهودي هو المؤسسة المسؤولة عن هندسة المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في صطاف من خلال الممارسات التي نفذها لأجل ذلك (كما تم ذكرها سابقًا). وينبغي التركيز على خصوصية علاقة الصندوق تجاه ممارساته في صطاف، لكونها في بعض الأحيان غير واضحة كما في أمثلة أخرى. وهذا دور الدراسة في أن تفكك تلك العلاقة التي ترتكز على عدم تغيير المشهد، بل على استغلاله وتسويغه لأهداف قد وضعتها المؤسسة، جعلت من حالة صطاف ذات خصوصية. يعكس ما كان يطمح إليه الصندوق القومي اليهودي في مقترح إقامة متنزه بصطاف

---

[216] مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف

[217] Joanna Clairelong, *Planting Israel: Jewish National Fund Forestry and the Naturalization Zionism,* (The university of Edinhburgh, 2002) PP, 20.

صناعةَ مكانٍ جديدٍ يكون مرتبطًا بعلاقات قائمة على المكان. وهذا ما تراه الدراسة في تلك الممارسات (خاصة مشروع المتنزه) التي يؤدّيها الصندوق، حيث إنها تدخل في صناعة مكان جديد، لكن بطريقة مركبة من خلال هندسة المكان "القديم"، بدلًا من محوه كما في الكثير من الحالات الأخرى، فالصندوق لم يستخدم هذه الطريقة (قديمًا) إلا في حالات محددة؛ صطاف كانت أشهرها. ومن أجل توضيح هذه النقطة بشكل أكبر، ينبغي تتبع تلك الممارسات (وهذا ما قامت به الدراسة منذ الفترة الانتدابية حتى الزمن الحاضر)، إذ كان هناك مجتمع ينفذ العديد من الممارسات، خاصة الممارسات الزراعية التي شكلت جزءًا بنيويًا من المشهد، وكانت هذه الممارسات من أجل البقاء في المكان؛ أي أن تلك الممارسات في حينها كانت جزءًا من الحياة المعيشية للمجتمع في صطاف (كانت هذه الممارسات جزءً الا يتجزأ من تراكم حضاري امتد لآلاف السنوات في ذات المكان، بالتالي كان أهل صطاف جزءًا من هذا المشهد)، ومن ثم تم طرد هذا المجتمع أثناء حرب عام 1948 (في صطاف تم التهجر بطريقة غير مباشرة). بعد ذلك، تمت عدة محاولات لإسكان مهاجرين يهود في صطاف، لكنهم فشلوا لكونهم لم يمتلكوا المهارات اللازمة للقيام بالممارسات الزراعية التي كان ينفّها أهل صطاف، حتى جاء مشروع إقامة متنزه صطاف الذي "يوثق" المشهد الطبيعي والزراعي في جبال "يهودا"، لكنه احتوى على عناصر أخرى مثل تشجير وتحريج الأشجار اللازمة لمقومات المتنزهات في إسرائيل. يعمل المتنزه على تهميش دور سكان القرية في كونهم كانوا جزءًا من تشكيل المشهد في صطاف، حتى في الدراسات التي تناولت موضوع المشهد الأثري بصطاف تم استثناؤهم (يتم ذكر وجود قرية عربية قبل عام 1948)، وتم التركيز على الفترات التاريخية البعيدة كالفترة البرونزية والرومانية والبيزنطية.[218]

عند الوصول إلى قمة الجبل، هنا تكمن الحكاية؛ يكمن المشهد الذي في الأمام؛ مشهدٌ متنوعٌ مكونٌ من خليطٍ تحكم عناصره علاقة التراتبية؛ سواء الحبلات الزراعية والمدرجات الزراعية، قنوات وعيون الماء الرومانية، الغابات والأحراش التي تفترش الوسط الغربي حتى الأعلى ومن الشمال حتى الأعلى ومن الجنوب حتى الأسفل. هكذا هي المنهجية التي استخدمها الصندوق القومي اليهودي في استغلال المكان في صطاف، بصناعة مكان من ذات الممارسات التي كانت، ومن ثم تطعيمها بممارسات دخيلة، فهذه المنهجية المبتكرة أكسبت المشروع ميزة الانفراد والتميز عن المشاريع الأخرى في تشكيل المشهد وهندسة المكان، إذ ليس

[218] Shimon Gibson, Bridget Ibbs & Amos Klone, “The Sataf Project of Landscape Archaeology in the Judaean Hills: A Preliminary Report on Four Seasons of Survey and Excavation (1987–89)”, the Journal of the Council for British Research in the Levant 23 (1991): 50-51.

بعيدًا عن صطاف تقع قرية خربة اللوز التي تم تحريج أغلب أراضيها، دون المحافظة على الممارسات التي كانت فيها، بل على العكس تم تدميرها وطمسها.

لكن مع كل ذلك، يبقى الأمر الأخير الذي يكمن فيه مفتاح التناقضات بين فترة ما قبل عام 1948 وما بعده، وهو فكرة المتنزه ذاتها، فرغم محاولة "الحفاظ" على المشهد القديم لصطاف، إلا أنها لا تتسع لفكرة المحافظة على السكان الذين سكنوا المكان، والذين لسنوات طويلة حافظوا على الممارسات الزراعية والمشهد الطبيعي لصطاف واستعمالات الأراضي فيها. هنا يكمن جوهر التناقض؛ إذ لا يمكن الحفاظ على المشهد الزراعي لصطاف دون المحافظة على السكان الذين هم جزءٌ لا يتجزأ من المشهد في صطاف، وهذا بالذات ما تناقضه فكرة المتنزه في صطاف، إذ حلَّ المتنزه مكان السكان أنفسهم، فأصبح مكانهم هو هدف المشروع المناقض لوجود ذواتهم في المكان. وقد سبق إنشاء المتنزه بسنوات قليلة هدم مسطح البناء في القرية (بقيت أطلال بعض المنازل إلى جانب أجزاء من حوش الفتياني)، فتحولت مساحة 44 دونماً عام 1945 إلى 1.8 دونم؛ غالبها مساكن مسؤولي صطاف بالصندوق القومي اليهودي ومخازن لمواد الترميم (أصلها غرف من بيوت قديمة موجودة في حوش الفتياني).

لا يمكن النظر إلى فكرة المتنزه دون معالجة دور الجهة التي تكمن وراء تلك الفكرة، أي المؤسسة التي أسست لفكرة المتنزه وقامت بتطبيقها. إن هذا هو دور الصندوق القومي اليهودي الذي يُعتبر الجهة المؤسساتية التي تقف وراء المتنزه وما يتبعه من تفصيلات مختلفة. وفي محاولة الدراسة بربط فكرة فوكو –حول معالجة وتحليل ممارسات المؤسسات وعدم الاكتفاء بخطابها– بممارسات الصندوق القومي اليهودي، يمكن التقاط الفجوة والهوة الكبيرة بين الخطاب التي تحمله المؤسسة حول تطوير الأرض وإصلاحها، وما بين ممارساتها التي تهيمن عليها سياسات هندسة المكان من خلال تشكيل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض، من أجل مواءمته لأيديولوجيا الصندوق حول المكان.[219] وهكذا هي حالة صطاف، إذ إنه لم تتم المحافظة على معظم الممارسات التي اعتاد أهل صطاف أداءها، والتي تشكل جزءًا من المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض فيها بالوقت الحالي، إلا لكونها تدخل ضمن مشروع الصندوق كممارسات في متحف الحقل، والذي يُقصد به متحف مفتوح لتوثيق المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في "أرض إسرائيل" وبالتحديد جبال "يهودا". في جميع المنشورات التي نشرها الصندوق حول صطاف هيمنت فكرة التوثيق للنباتات والمشهد في "أرض إسرائيل" من خلال متنزه صطاف، أو كما تتم تسميته "بستان صطاف" أو "بستان صطاف التوراتي".[220]

---

[219] يعالج الفصل الثالث بتوسع حول إيديولوجية الصندوق القومي اليهودي.

[220] יוסי שפנייר, בוסתן עצי ארץ-ישראל בסטף,(ירושלים: קרן קימת לישראל).

ففي هذا البستان، لا يمكن للدور المؤسساتي للصندوق القومي اليهودي أن يتسع لفكرة ضم أهل صطاف إلى مشهد المتنزه، على اعتبارهم عنصرًا متناقضًا مع فكرة المتنزه التي تنطوي على كونها متحفًا للنباتات في "أرض إسرائيل". لكن ما دون ذلك هو مقبولٌ على الصندوق فعله في تحقيق أهدافه؛ أن يتم توظيف موظفين فلسطينيين ضمن عمله المؤسساتي (بعيدًا عن مواقع اتخاذ القرار)، والمحافظة على مسميات المكان، بالإضافة إلى المحافظة على جزءٍ من الممارسات التي يتم استخدامها في هندسة وتشكيل المكان. ولا تعارض دراسة (كادمان) ذلك، إذ تتطرق إلى مسألة ذكر أسماء القرى والمعلومات حولها بقولها (**يتم بالكاد ذكر اسم القرية العربية، الهوية العربية أو ساكنيها، أو أية معلومات حولهم**). [221]

أما عند الحديث عن مصطلح جغرافيا السلب، هذا المصطلح الذي استخدمته (ديفيس)، فهو مطبقٌ في صطاف، خاصةً في حالة المشهد الطبيعي فيها.[222] من خلال الحالة المركبة، أصبحت الممارسات في صطاف جزءًا من مشهد أكبر لا ينتمي إلى مشهد القرية الفلسطينية الذي كان حاضراً حتى نهاية الفترة الانتدابية على فلسطين؛ بل ينتمي إلى حقب بداية الزراعة خلال الفترة البرونزية، مرورًا بالعديد من الحقب التاريخية القديمة والوسيطة، من ثم القفز إلى الفترة الانتدابية والاكتفاء بذكر وجود قرية عربية حتى عام 1948، وبعد ذلك التوسع في ذكر الممارسات الزراعية ضمن نطاق المتنزه والفترات التي يمثلها.

[221] Noga, Kadman, *Erased from space and consciousness: Israel and the depopulated Palestinian villages of 1948*, (Indiana: Indiana University Press, 2015), p 116.
[222] Rochelle Davis, *Palestinian village histories: geographies of the displaced*, (Stanford: Stanford University Press, 2011), p 1.

ثانيًا: الخلاصة

من خلال معالجتها لموضوع المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة، استحضرت الدراسة رؤىً متعددة الأبعاد حول المشهد في صطاف؛ سواء كان ذلك من خلال منهجيتها التي تقوم على التنوع في المصادر والوسائل والأدوات، أو من خلال مجادلتها التي تعتمد على معالجة ممارسات تشكيل المشهد في صطاف، لا الخطاب. بالإضافة إلى ما سبق، حاولت الدراسة بقدر ما أمكنها تجنبَ تبني رواية أو سردية واحدة حول المكان؛ إذ حاولت الدمج بين سرديات وروايات تتناقض في ما بينها، خاصةً تضارب الروايات والسرديات بين أهل صطاف المهجرين من جهةٍ، وبين موظفي الصندوق القومي اليهودي من جهةٍ أخرى. أما استخدام توليفةٍ من المنهجيات المتعددة؛ سواء بضمها لروايات وسرديات التاريخ الشفوي، أو الوثائق الأرشيفية، ومقابلات موظفي الصندوق القومي اليهودي، والزيارات الميدانية، والخرائط والصور الجوية، فكان قد انعكس بشكل جلي في جعل الدراسة تتحلى بالنقدية البناءة لتتوصل إلى ثلة من النتائج التي تعكس مدى صحة ادعائها الأساسي تجاه الممارسات التي تشكل المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة؛ قبل عام 1948 وبعد. ارتكز ادعاء الدراسة الأساسي على وجود مشهدٍ مركبٍ ومتوترٍ من بين المشهدين: من جهة الممارسات التي كانت قبل عام 1948، وتتمثّل في ممارسة أهل صطاف في صنعهم للمكان، وهو يتركز في مشهد التنوع النباتي والممارسات الزراعية التي كانوا يمارسونها في صطاف. ومن جهة أخرى، مشهد المتنزه الذي أُقيم على أراضي صطاف، والذي يتميز بتركيبة أشجار دخيلة إلى جانب الأشجار التي تتم زراعتها في المكان.

توصلت الدراسة إلى أن المشهد المركب في صطاف يعود إلى كون أن صطاف قد شكلت حالةً استثنائيةً لدى الصندوق القومي اليهودي في استغلاله للمكان. فعلى النقيض من مصير الكثير من القرى الفلسطينية المهجرة (خاصة في منطقة القدس)، استغل الصندوق أجزاءً بنيويةً من صورة مشهد صطاف ما قبل عام 1948 في المشهد الجديد الذي عَمِد إلى تشكيله بعيد إقامة المتنزه على ذات المكان. لكن لا بد من التنبه إلى أن المشهد الحالي في صطاف ليس ذات المشهد الموجود في القرية قبل عام 1948، فاستغلال المكان مختلفٌ تمامًا؛ إذ استغل أهل صطاف المكان وشكلوا المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قريتهم، بما يتناقض مع استغلال الصندوق القومي اليهودي لذات الحيز المكاني. ومن أهم الجزئيات التي تتناقض ما بين المشهدين هي جزئية وجود

السكان، إذ لا يوجد تمثيل لسكان صطاف بأي نوعٍ من ممارسات تشكيل المشهد الموجودة حاليًا؛ سواء كانت الممارسات الزراعية في المدرجات الزراعية والحبلات الزراعية، أو ممارسات التنزه، أو ممارسات استحضار المشهد "القديم" لصطاف وجبال القدس كما يصوره الصندوق.

في صطاف، تطغى على المكان ممارسات هندسة المشهد؛ إذ تظهر جليًا للعيان كيفية التناسق والتراتبية ما بين المشهدين الموجودَيْن فيها؛ مشهد قرية صطاف القديم (حتى عام 1948)، ومشهد متنزه صطاف التي تهيمن عليه ممارسات التنزه؛ من مسالك للتنزه والأحراش. ويمكن ملاحظة ذلك في كيفية تحويل الصندوق القومي اليهودي أغلبية المناطق المفتوحة ذات المساحات الجبلية قليلة الخضرة إلى مساحات مغطاة بالأشجار الحرجية، بينما حافظ بل ورمّم السلاسل الحجرية في المدرجات الزراعية والحبلات الزراعية، كما حافظ على الممارسات الزراعية فيها. في مقابل المحافظة على المشهد الزراعي ومشهد السلاسل الحجرية والمدرجات الزراعية والحبلات الزراعية والنظام المائي، تم تدمير الجزئيات الأخرى التي تشكل جزءًا من صورة المشهد في صطاف، إذ تم هدم بيوت القرية خوفًا من عودة اللاجئين إليها بعد حرب حزيران عام1967 ولم تبقَ منه إلا الأطلال.

أحدثت ممارسات هندسة المشهد والتي قام ولا يزال يقوم بها الصندوق القومي اليهودي تشويهًا في المشهد الطبيعي الموجود بقرية صطاف المهجرة، وعلى الرغم من أن سياسة هندسة المشهد قد "حافظت" على أجزاء كبيرة من مشهد صطاف قبل عام 1948 إلا أن الممارسات الأخرى قد أحدثت تشويهًا في المشهد القائم؛ من سياسات التنزه وزراعة الحقل والتشجير. ومن خلال هندسة المشهد الذي يضم في داخله مشهدين متداخلين بمنهجية ذات تراتبية، يتم انتزاع هوية المشهد الذي كان قبل عام 1948 (خاصة هوية من كان يعيش فيه)، دون فقدان ممارساته، ومن ثم يتم تأطيره في هوية تقصي الهويات الأخرى، فأصبح المشهد في صطاف متعلقًا بحقبة معينة دون أخرى، وبسرديةٍ واحدةٍ دون السرديات المتبقية.

في نهاية الأمر، تحتمل هذه الدراسة الأولية حول المشهد الطبيعي واستعمالات الأرض في قرية صطاف المهجرة الصواب والخطأ، لكنها بذات الوقت حاولت أن تثبت ادعاءها حول ممارسات تشكيل المشهد بطريقة أكاديمية، بعيدًا عن الأحكام المسبقة أو تبني رواية معينة دون الأخرى، فالذي تبنته الدراسة هو ما أثبتته من خلالها فقط.

الملاحق

ملحق رقم (1): وثائق حول الاستيطان في صطاف عام 1950/1949. **قرار إسكان 50– 60 عائلة يهودية يمنية في صطاف**. ملف رقم S15\4970. الأرشيف الصهيوني.

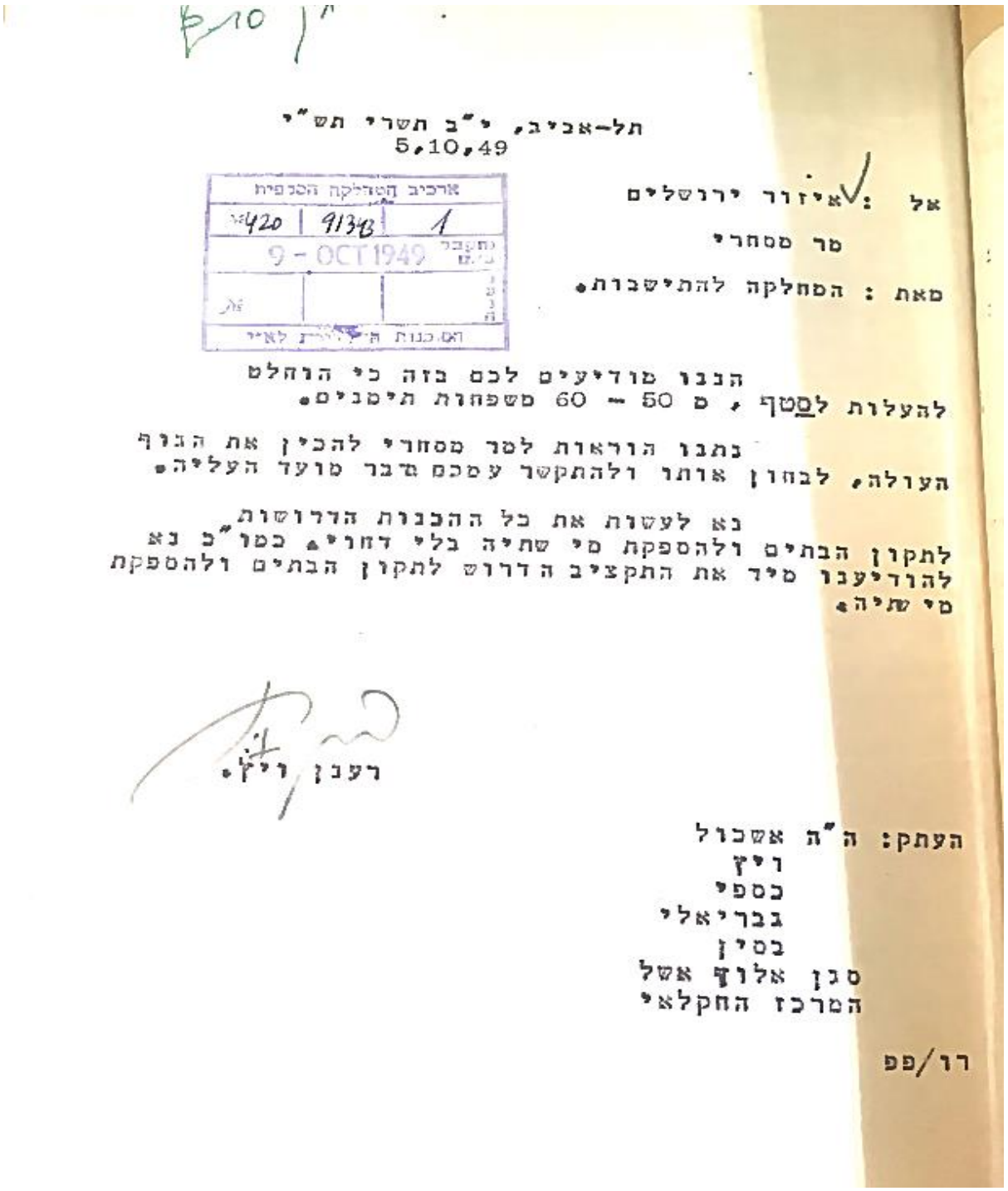

ב-10

תל-אביב, י"ב תשרי תש"י
5.10.49

ארכיב המדינה הכנפית
420 | 9136 | 1
9 - OCT 1949

אל: איזור ירושלים

מר מסחרי

מאת: המחלקה להתישבות.

הננו מודיעים לכם בזה כי הוחלט להעלות לסטף, ס 50 – 60 משפחות תימנים.

נתנו הוראות למר מסחרי להכין את הנוף העולה, לבחון אותו ולהתקשר עמכם מדבר מועד העליה.

נא לעשות את כל ההכנות הדרושות לתקון הבתים ולהספקת מי שתיה, כמו"כ נא להודיענו מיד את התקציב הדרוש לתקון הבתים ולהספקת מי שתיה.

רענן ויץ.

העתק: ה"ה אשכול
ויץ
כספי
גבריאלי
בסין
סגן אלוף אשל
המרכז החקלאי

רו/פפ

ملحق رقم (2): وثائق حول الاستيطان في صطاف عام 1950/1949. **طرح فكرة استيطان وحدة مقاتلة في صطاف.**
ملف رقم S15\4970. الأرشيف الصهيوني.

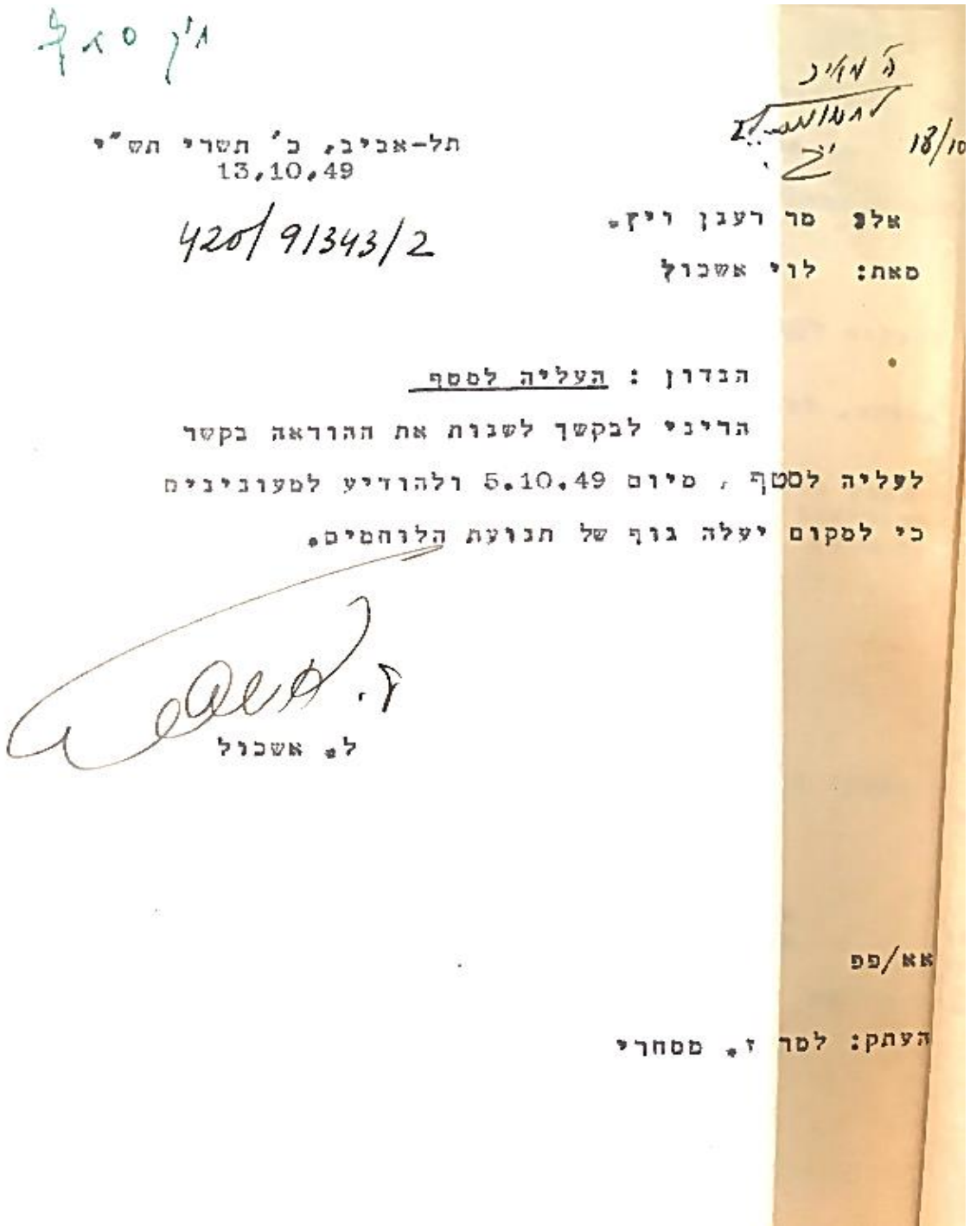

תל-אביב, כ' תשרי תש"י
13.10.49

420/91343/2

18/10

אל: סר רעגן ויץ.

מאת: לוי אשכול

הנדון: העליה לסטף

הריני לבקשך לשנות את ההוראה בקשר
לעליה לסטף, סיום 5.10.49 ולהודיע למעוניינים
כי למקום יעלה גוף של תנועת הלוחמים.

ל. אשכול

לא/פפ

העתק: לסר ז. מסחרי

ملحق رقم (3): وثائق حول الاستيطان في صطاف عام 1950/1949. **زيارة أفراد من وحدة المقاتلين إلى صطاف**. ملف رقم S15\4970. الأرشيف الصهيوني.

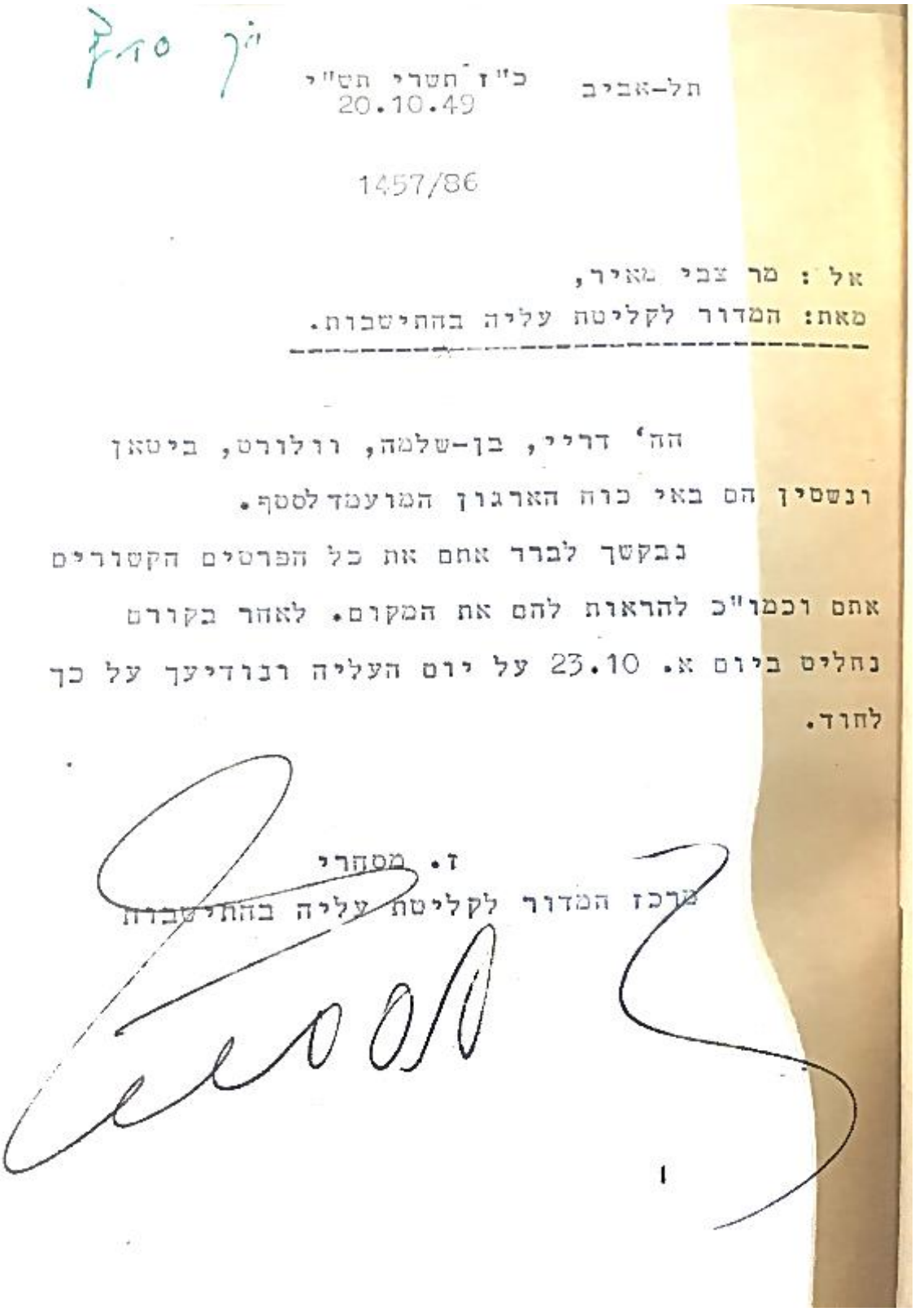

תל-אביב כ"ז תשרי תש"י
20.10.49

1457/86

אל: מר צבי מאיר,
מאת: המדור לקליטה עליה בהתישבות.

הה' דריי, בן-שלמה, וולורט, ביטאן ונשטין הם באי כוח הארגון המועמד לסטף.

נבקשך לברר אתם את כל הפרטים הקשורים אתם וכמו"כ להראות להם את המקום. לאחר בקורם נחליט ביום א. 23.10 על יום העליה ונודיעך על כך לחוד.

ז. מסהרי
מרכז המדור לקליטת עליה בהתישבות

ملحق رقم (4): وثائق حول الاستيطان في صطاف عام 1950/1949. **قرار السماح لوحدة المقاتلين بالاستيطان في صطاف**. ملف رقم S15\4970. الأرشيف الصهيوني.

מ/ 10 ק

תל-אביב, כ"ט תשרי תש"י
21.10.49

4120 | 91343 | 3
21 OCT 49

אל : איזור ירושלים

מאת : רענן ויץ

הננו מודיעים לכם בזה כי הוחלט
לאשר את עליית ארגון העולים החדשים והחיילים
המשוחררים בשם "אליהו" המשתייכים ללוחמים, לכפר
ס ט ף.

מר מסחרי נתבקש לקשור אותם אתכם.

נא לעשות את כל ההכנות לעליה למקום.

רענן ויץ

העתק: מר ל. אשכול כאן
מר י. ויץ, הק.פ.ל.
מר גבריאלי, כאן
מר מסחרי, כאן
מ/מ אגף.

רו/פפ

ملحق رقم (5): وثائق حول الاستيطان في صطاف عام 1950/1949. **خطر الصخور في صطاف وطلب إزالتها**.
ملف رقم S15\4970. الأرشيف الصهيوني.

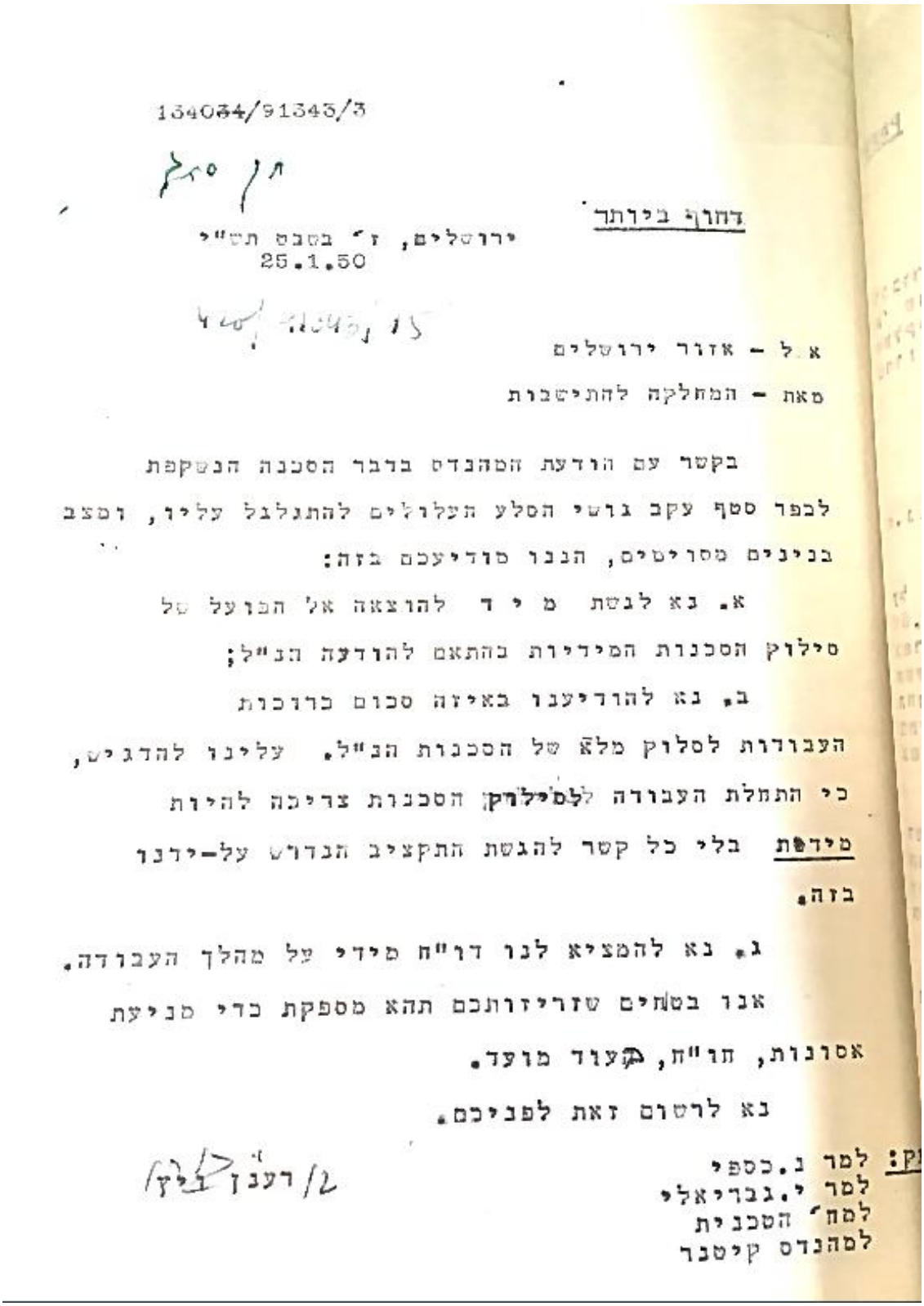

134034/91343/3

דחוף ביותר

ירושלים, ז' בשבט תש"י
25.1.50

א ל – אזור ירושלים

מאת – המחלקה להתישבות

בקשר עם הודעת המהנדס בדבר הסכנה הנשקפת לכפר סטף עקב גושי הסלע העלולים להתגלגל עליו, ומצב בניינים מסויטים, הננו מודיעכם בזה:

א. נא לגשת מ י ד להוצאה אל הפועל של סילוק הסכנות המידיות בהתאם להודעה הנ"ל;

ב. נא להודיענו באיזה סכום כרוכות העבודות לסלוק מלא של הסכנות הנ"ל. עלינו להדגיש, כי התמלת העבודה לסילוק הסכנות צריכה להיות מידית בלי כל קשר להגשת התקציב הנדרש על-ידנו בזה.

ג. נא להמציא לנו דו"ח מידי על מהלך העבודה.

אנו בטוחים שזריזותכם תהא מספקת כדי מניעת אסונות, חו"ח, בעוד מועד.

נא לרשום זאת לפניכם.

העתק: למר נ.כספי
למר י.גבריאלי
למח' הטכנית
למהנדס קיטנר

ملحق رقم (6): مقترح إقامة "متحف" زراعي في صطاف لتوثيق زراعة الجبل. **تفاصيل حول إعادة تأهيل موقع "صطاف"**. صدر بتاريخ 1 أيلول 1971. ملف رقم S15\50556. الأرشيف الصهيوني.

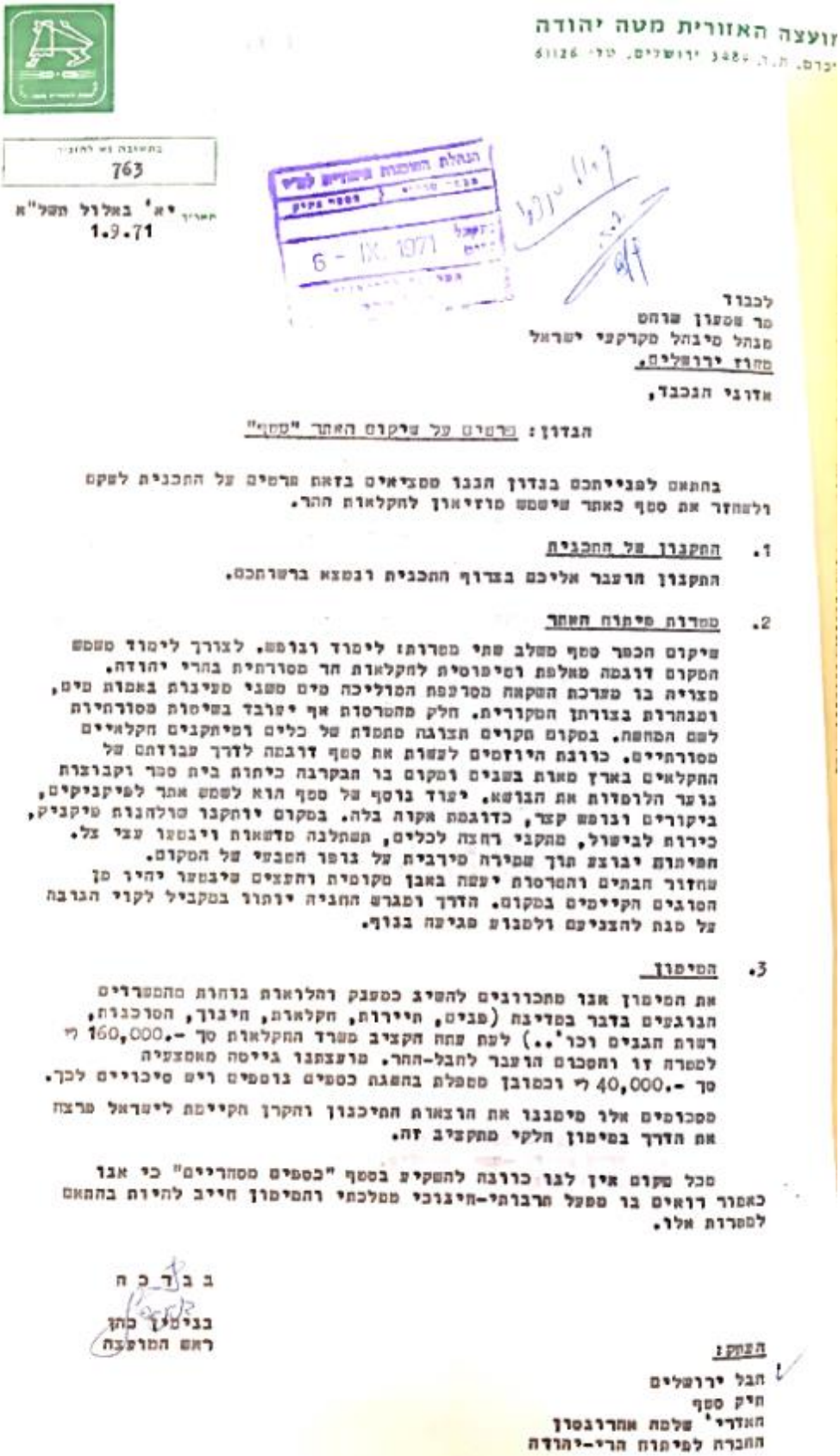

זועצה האזורית מטה יהודה
יבנה, ת.ד. 3482 ירושלים, טל' 61126

763

תאריך: א' באלול תשל"א
1.9.71

הנהלת השכונות והמושבים לענייני
מפקד מחוז
6 - IX. 1971

לכבוד
מר שמעון שרחם
מנהל מינהל מקרקעי ישראל
מחוז ירושלים.

אדוני הנכבד,

הנדון: הרשים על שיקום האתר "סטף"

בהתאם לפנייתכם בנדון הנכם מוצאים בזאת הרשים על התכנית לשקם ולשחזר את סטף באתר שישמש מוזיאון לחקלאות ההר.

1. התקנון של התכנית
התקנון הרשם מצורף התכנית ונמצא ברשותכם.

2. מטרות פיתוח האתר
שיקום הכפר סטף משלב שתי מטרות ליעד ונושא. לצורך ליעד ישמש המקום דוגמה מאלפת וסיפורית לחקלאות הר מסורתית בהרי יהודה. מצויה בו מערכת השקאה מסדנת המוליכה מים משני מעיינות באמות מים, ומבתרת בצורתן הסקורית. חלק מהטרסות אף יעובד בשיטות מסורתיות לשם המחשה. במקום מקוים תצוגה סטטית של כלים ומיתקנים חקלאיים מסורתיים. כוונת היוזמים לעשות את סטף דוגמה לדרך עבודתם של החקלאים בארץ מאות בשנים ומקום בו תבקרנה כיתות בית ספר וקבוצות נוער הלומדות את הנושא. יעוד נוסף של סטף הוא לשמש אתר לפיקניקים, ביקורים ונופש קצר, כדוגמת אקות בלה. במקום יותקנו טולחנות פיקניק, כירות לבישול, מתקני רחצה לכלים, משתלנה מדשאות ויבנטו עצי צל. חפירות יבוצע תוך שמירה סיבובית על גופי המבני של המקום. שחזור חבתים והטרסות יעשה באבן מקומית ותעצים שיבטיח יהיו מן הסוגים הקיימים במקום. הדרך ומגרש החניה יותוו בהקפיד לקוי הגובה של סגת להצניעם ולמנוע פגיעה בנוף.

3. התיפון
את התיפון אנו מתכוונים להשיג כשעבר והלואות נדחות מהשרדים הנוגעים בדבר במדינת (פנים, חיירות, חקלאות, חינוך, הסוכנות, רשות חנניים וכו'..) לעת עתה תקציב משרד החקלאות סך -.160,000 י לטטרת זו והסכום הרשם לחבל-ההר. מוערכנו ביישה מאמצעים סך -.40,000 י וכמובן מטפלת בהשגת כספים נוספים ויש סיכויים לכך.

מסכומים אלו מיועדו את הרצאות התיכנון והקרן הקיימת לישראל מרצה את הדרך בתיפון חלקי מתקציב זה.

מכל מקום אין לנו כוונה להשקיע בסטף "כספים מסחריים" כי אנו כאמור רואים בו מטפל תרבותי-חינוכי מטלכתי והתיפון חייב להיות בהתאם למטרות אלו.

ב ב ר כ ה
בנימין כהן
ראש המועצה

העתק:
חבל ירושלים
חיק סטף
מאדרי' שלמה אהרונסון
החברה לפיתוח הרי-יהודה

ملحق رقم (7): مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984. **مشروع المتنزه في صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

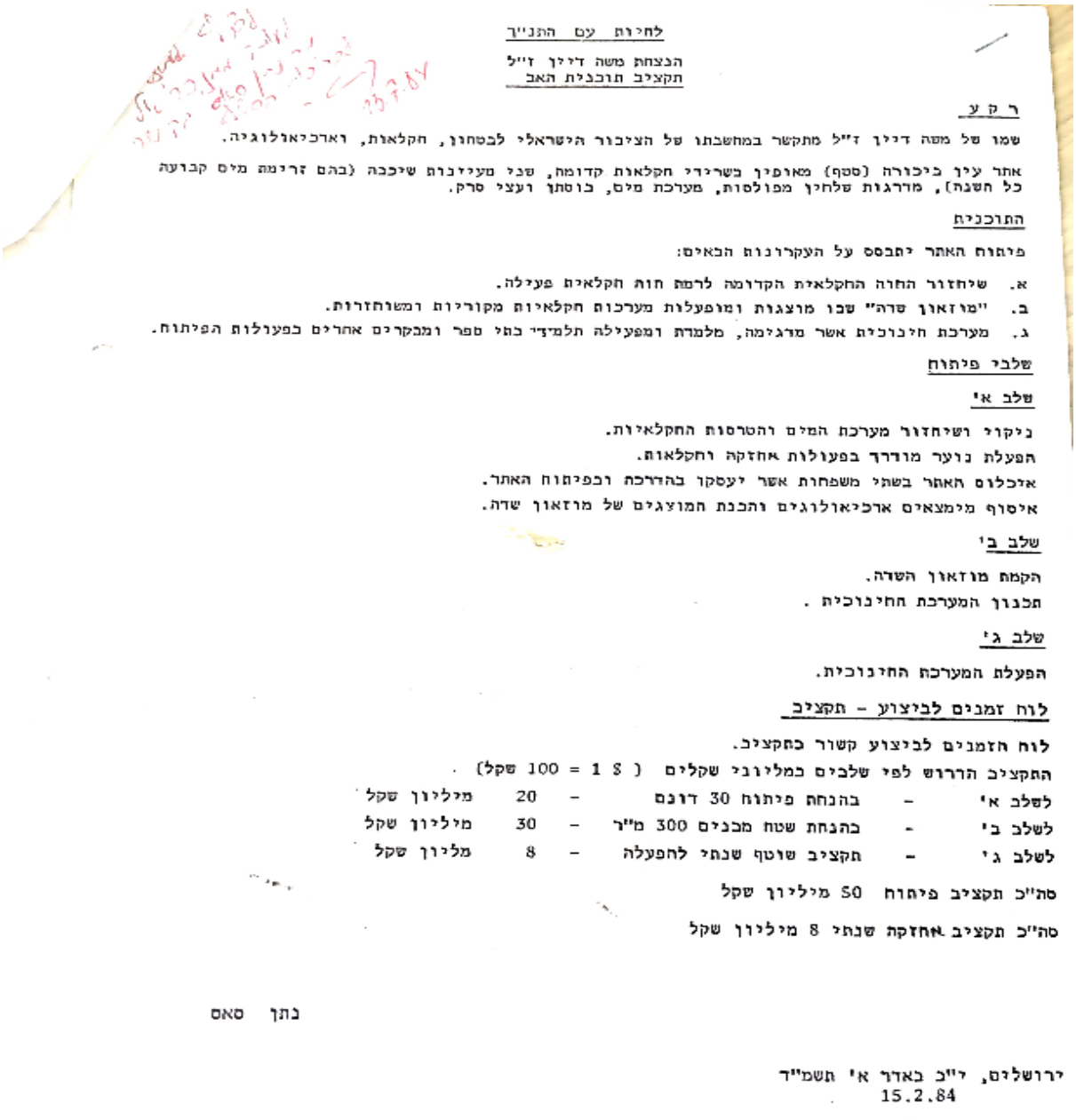

לחיות עם הנייר

הצעת משה דיין ז"ל
תקציב תוכנית האב

ר ק ע

שמו של משה דיין ז"ל מתקשר במחשבתו של הציבור הישראלי לבטחון, חקלאות, וארכיאולוגיה.

אתר עין כיכורה (סטף) מאופיין בשרידי חקלאות קדומה, שבי מעיינות שיכבה (בהם זרימת מים קבועה כל השנה), מדרגות שלחין מפולסות, מערכת מים, בוסתן ועצי סרק.

התוכנית

פיתוח האתר יתבסס על העקרונות הבאים:

א. שיחזור החוה החקלאית הקדומה לרמת חות חקלאית פעילה.
ב. "מוזאון שדה" שבו מוצגות ומופעלות מערכות חקלאיות מקוריות ומשוחזרות.
ג. מערכת חיבוריות אשר מדגימה, מלמדת ומפעילה תלמידי בתי ספר ומבקרים אחרים בפעולות הפיתוח.

שלבי פיתוח

שלב א'

ניקוי ושיחזור מערכת המים והטרסות החקלאיות.
הפעלת נוער מודרך בפעולות אחזקה וחקלאות.
איכלוס האתר בשתי משפחות אשר יעסקו בהדרכת ובפיתוח האתר.
איסוף וימצאים ארכיאולוגים והכנת חמוצגים של מוזאון שדה.

שלב ב'

הקמת מוזאון השדה.
תכנון המערכת החינוכית .

שלב ג'

הפעלת המערכת החינוכית.

לוח זמנים לביצוע - תקציב

לוח הזמנים לביצוע קשור בתקציב.
התקציב הרורוש לפי שלבים במליוני שקלים (1 $ = 100 שקל) .

לשלב א'	- בהנחת פיתוח 30 דונם	20	מליון שקל
לשלב ב'	- בהנחת שטח מבנים 300 מ"ר	30	מליון שקל
לשלב ג'	- תקציב שוטף שנתי לחפעלה	8	מליון שקל

סה"כ תקציב פיתוח 50 מיליון שקל

סה"כ תקציב אחזקת שנתי 8 מיליון שקל

נתן סאס

ירושלים, י"ב באדר א' תשמ"ד
15.2.84

ملحق رقم (8): مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984. **مشروع المتنزه في صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

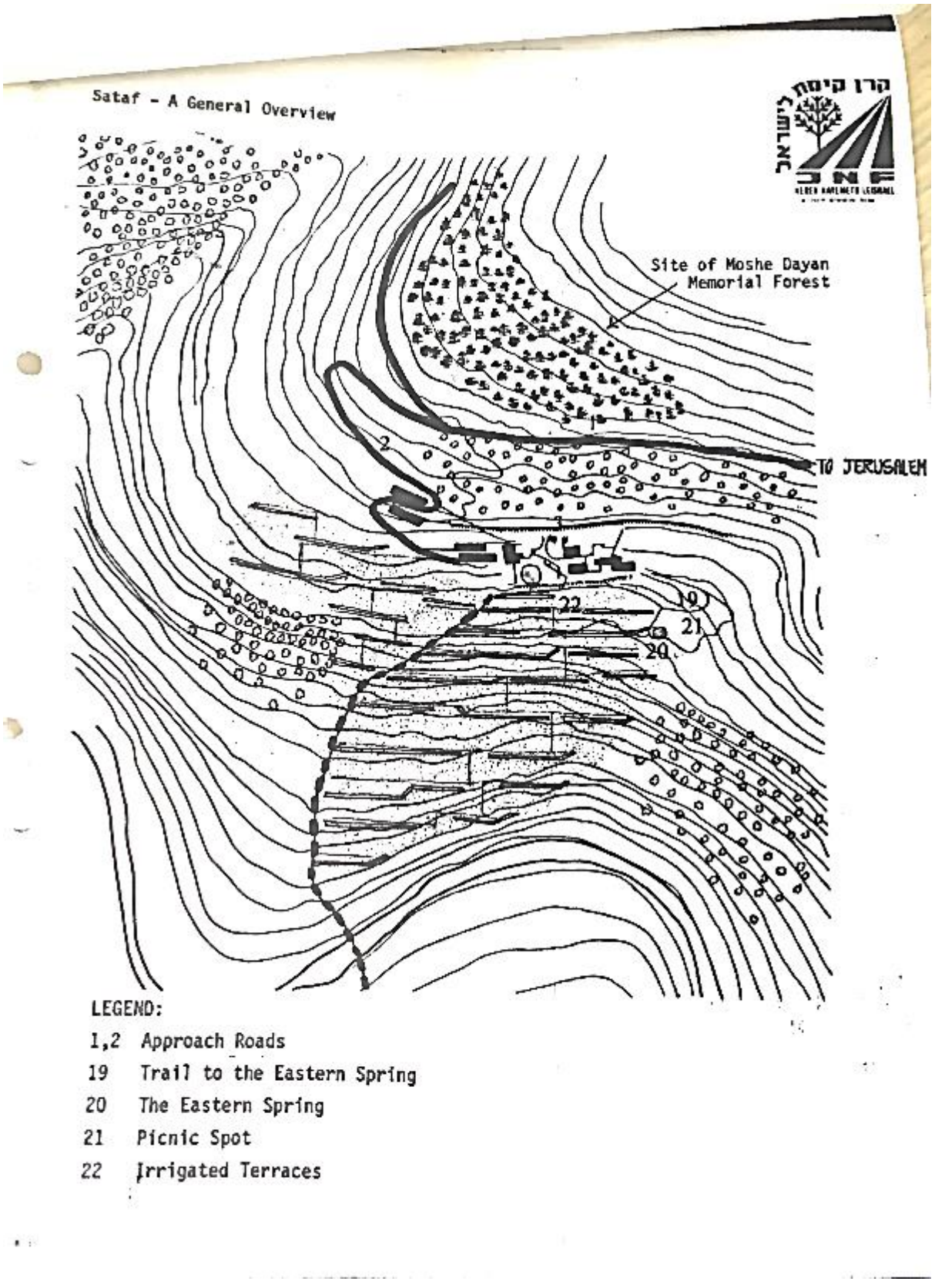

ملحق رقم (9): مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984. **مشروع المتنزه في صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

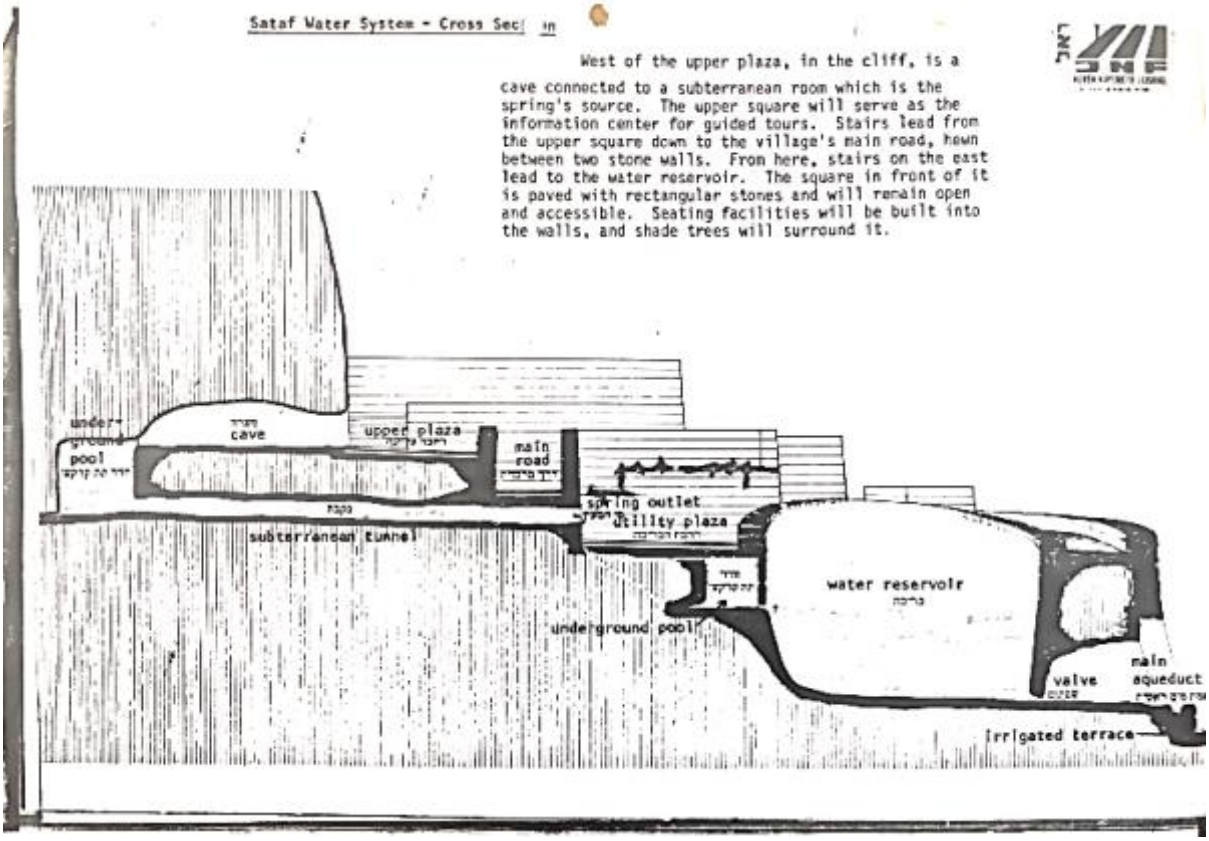

ملحق رقم (10): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 21 آب 1984. **بدء العمل في إنشاء المشروع الجديد بميزانية 1000000 شيكل**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

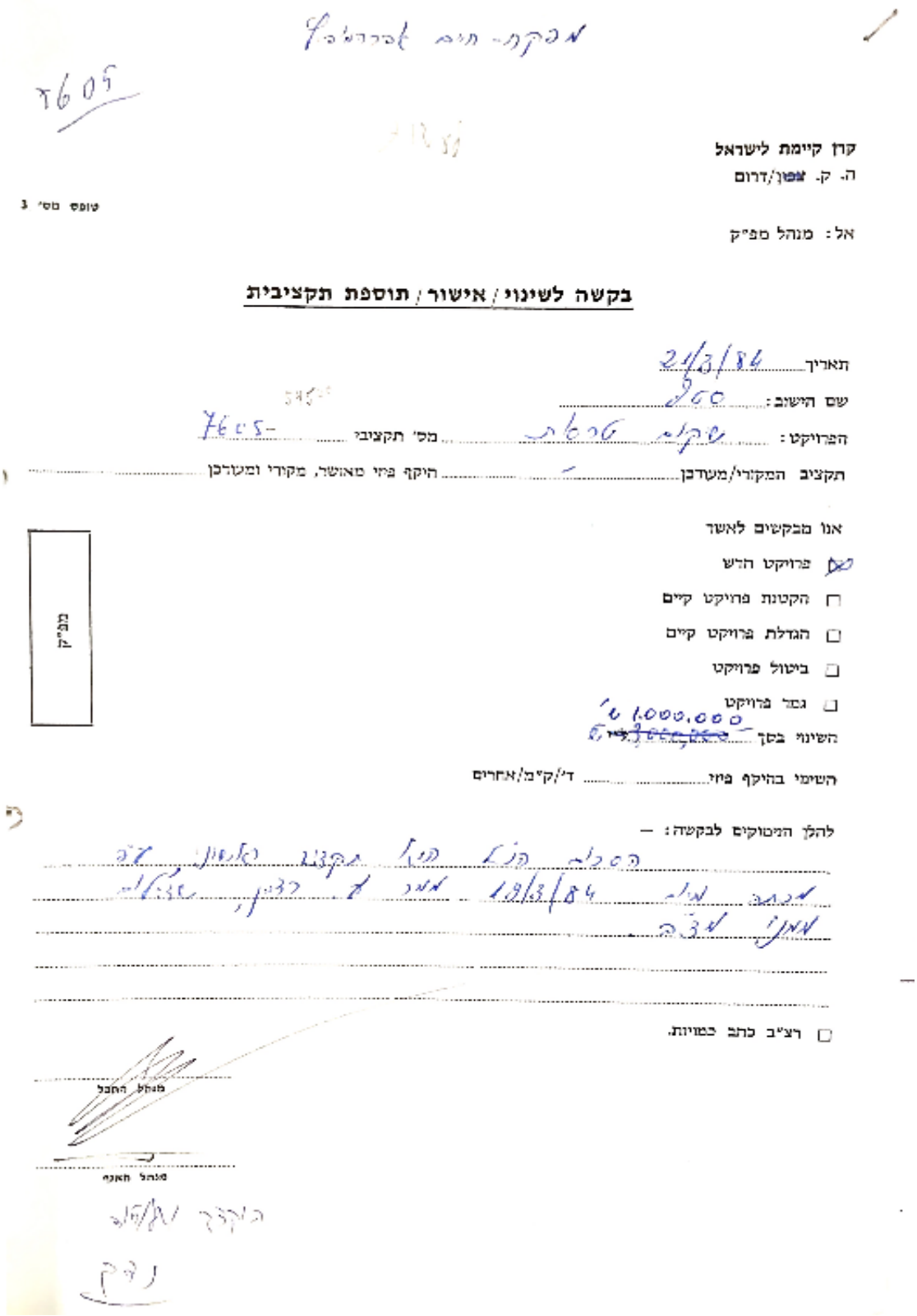

קרן קיימת לישראל
ה. ק. צפון/דרום

טופס מס' 3

אל: מנהל מפ"ק

בקשה לשינוי / אישור / תוספת תקציבית

תאריך 21/3/84
שם הישוב: [illegible]
הפרויקט: שקמה טרמית מס' תקציבי 7605-
תקציב המקורי/מעודכן [illegible] היקף פיזי מאושר, מקורי ומעודכן [illegible]

אנו מבקשים לאשר

☒ פרויקט חדש
☐ הקטנת פרויקט קיים
☐ הגדלת פרויקט קיים
☐ ביטול פרויקט
☐ גמר פרויקט

השינוי בסך ל 1,000,000

השימוש בהיקף פיזי [illegible] ד'/ק"מ/אחרים

להלן הנימוקים לבקשה: —

[illegible]

☐ רצ"ב כתב כמויות.

מנהל החבל

מנהל האגף

ملحق رقم (11): ميزانية إقامة متنزه الصادرة بتاريخ 14 تشرين الثاني 1984. **ميزانية من أجل تطوير صطاف بقيمة 2200000 مليون شيكل لقسم التشجير**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

שנת תקציב: 8 4 8 5

שינוי בתקציב (א')

אל: יו"ר הדירקטוריון, כאן
המנהל הכללי, כאן

אבקשכם לאשר שינוי תקציבי זה מהנימוקים הבאים:

פיתוח סטף לאגף היזעור במימון הסוכנות (הזמנה מיום 19.11.84)

הסוכנות/

מנהל המינהל

פירוט השינוי המבוקש:

שם הישוב: סטף

שם הפרוייקט: פיתוח

התקציב המקורי: 2,200,000

מס' תקציבי:

סוג השינוי: ☐ שינוי פרוייקט קיים ☐ פרוייקט חדש ☒ הגדלה
☐ מימון גורם חוץ ☐ ביטול פרוייקט קיים ☐ הקטנה

תקורה %

סכום השינוי (באלפי שקל) במילים: שבע מליון

2,000

שינוי מיזי — דונם/ק"מ/פיר

מימון או ייעוד

	מספר הזמנה	סכום השינוי באלפי שקל	ממון
קק"ל — רזרבה מס"ק (1)			
משרד חבינוי והשכון (2)			
האוצר (3)			
הנצחה (4)			
משרד הבטחון (5)			
הסוכנות (6)	4/00/מ/0027	2,000	6
ייעור (8)			
כימוס ה' (9)			
מנהל מקרקעי ישראל (5-8)			
אחרים/שונות (7)			

חתימת פרוי התקציבים:

אישור

יו"ר הדירקטוריון

המנהל הכללי

תאריך:

9.84

9.83

ملحق رقم (12): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 14 تشرين الأول 1984. **إقامة الكرافانات في صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

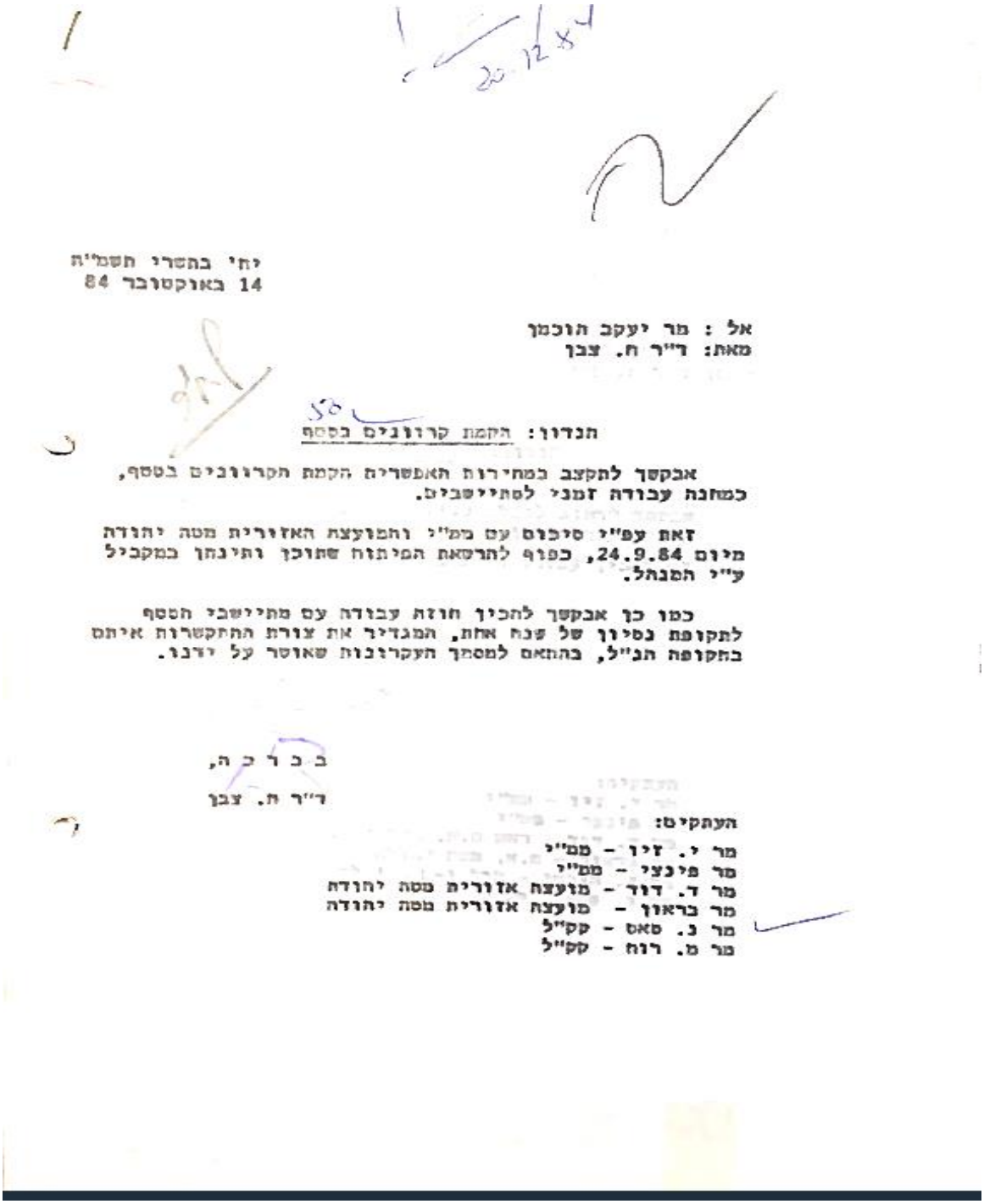

יח' בתשרי תשמ"ה
14 באוקטובר 84

אל : מר יעקב הוכמן
מאת: ד"ר ח. צבן

תנדון: הקמת קרוונים בסטף

אבקשך לתקצב במחירות האפשרית הקמת הקרוונים בסטף, כמחנה עבודה זמני לסתיישביט.

זאת עפ"י סיכום עם מפ"י והמועצה האזורית מטה יהודה מיום 24.9.84, כפוף להרשאת המימון שתוכן ותינתן במקביל ע"י המנהל.

כמו כן אבקשך להכין חוזה עבודה עם מתיישבי הסטף לתקופת נסיון של שנה אחת, המגדיר את צורת התקשרות איתם בתקופת הנ"ל, בהתאם למסמך העקרונות שאושר על ידנו.

ב כ ר כ ה,

ד"ר ח. צבן

העתקים:
מר י. זיו - מפ"י
מר פינצי - מפ"י
מר ד. דוד - מועצה אזורית מטה יהודה
מר בראון - מועצה אזורית מטה יהודה
מר נ. סאט - קק"ל
מר מ. רוח - קק"ל

ملحق رقم (13): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 11 كانون الثاني 1985. **ميزانية بقيمة 22 مليون شيكل من أجل التطوير والتشجير في صطاف.** ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

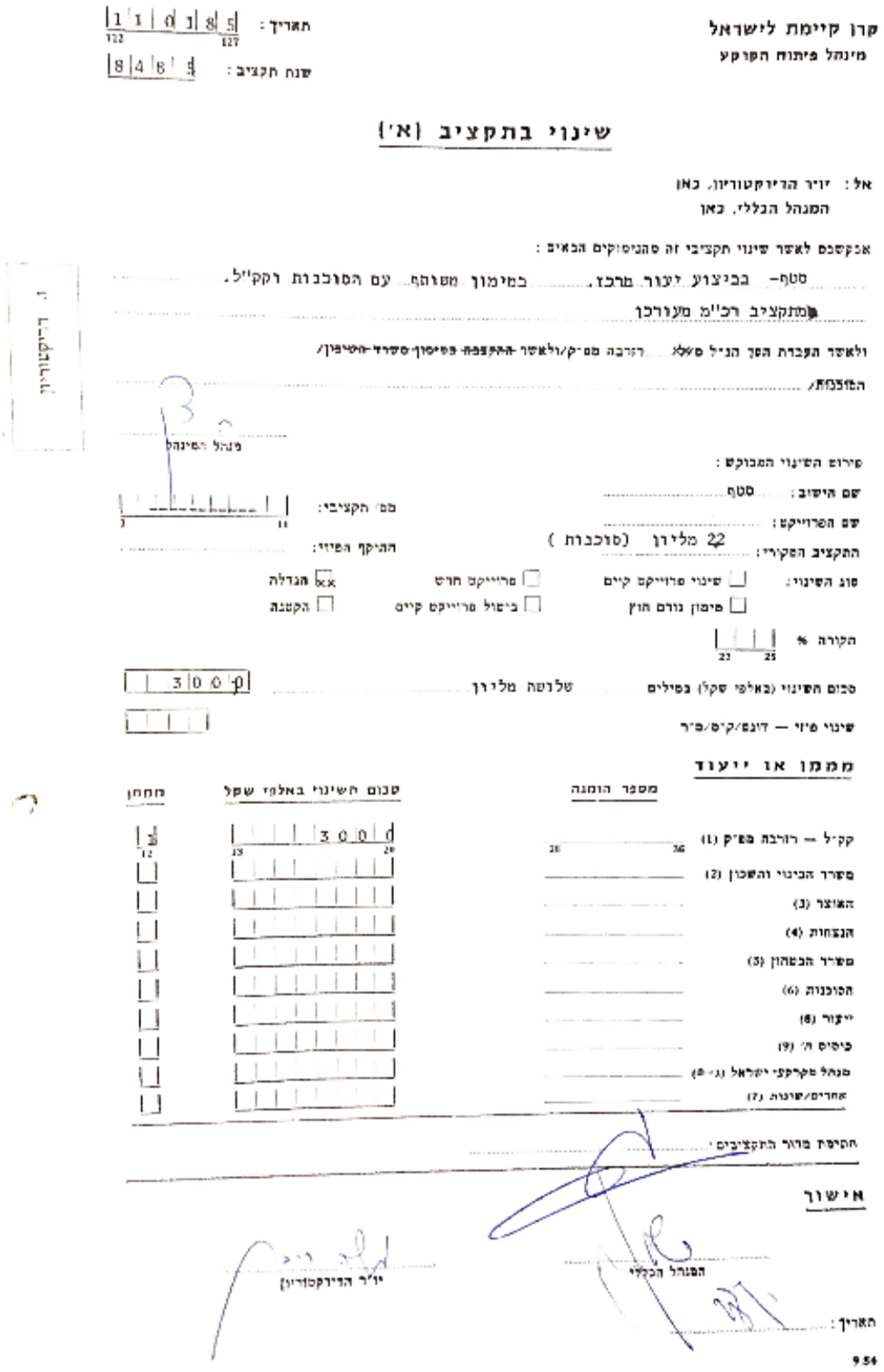

קרן קיימת לישראל
מינהל פיתוח הקרקע

תאריך: 11/03/85
שנת תקציב: 1985

שינוי בתקציב (א')

אל: יו"ר הדירקטוריון, כאן
המנהל הכללי, כאן

אבקשכם לאשר שינוי תקציבי זה שהנימוקים הבאים:

סטף – בביצוע לעבר מרכז במימון משותף עם המועצות רקק"ל.
מתקציב רכ"מ מעורכן

ולאשר העברת הסך הניל משלא הדרבה מס' ק/ולאשר ההקצפה פיסון סעיף-הסיפון/
המוסת/

מנהל השינוי

פרוט השינוי המבוקש:

שם היישוב: סטף
שם הפרוייקט:
התקציב המקורי: 22 מליון (סוכבות)
סוג השינוי: ☐ שינוי פרוייקט קיים ☐ פרוייקט חדש ☒ הגדלה
☐ פיסון נזרם חוץ ☐ ביטול פרוייקט קיים ☐ הקטנה
הקורה %
סכום השינוי (באלפי שקל) בפועל: 3000 שלושה מליון
שינוי פיזי – דונם/ק"מ/מ"ר

מספר הזמנה | סכום השינוי באלפי שקל | מחק

ממן או יועד

קק"ל – רזרבת מפ"ק (1)		3000
משרד הבינוי והשיכון (2)		
האוצר (3)		
הנגחות (4)		
משרד הבטחון (5)		
הסוכנות (6)		
ייצור (8)		
כיסוי ח' (9)		
מנהל מקרקעי ישראל (ג-ם)		
אחרים/שונות (7)		

הסיבות מהור התקציבים:

אישור

יו"ר הדירקטוריון

המנהל הכללי

תאריך:

9.84

ملحق رقم (14): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 30 كانون الثاني 1985. **ميزانية بقيمة 8 مليون شيكل من أجل تطوير المتنزه في صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

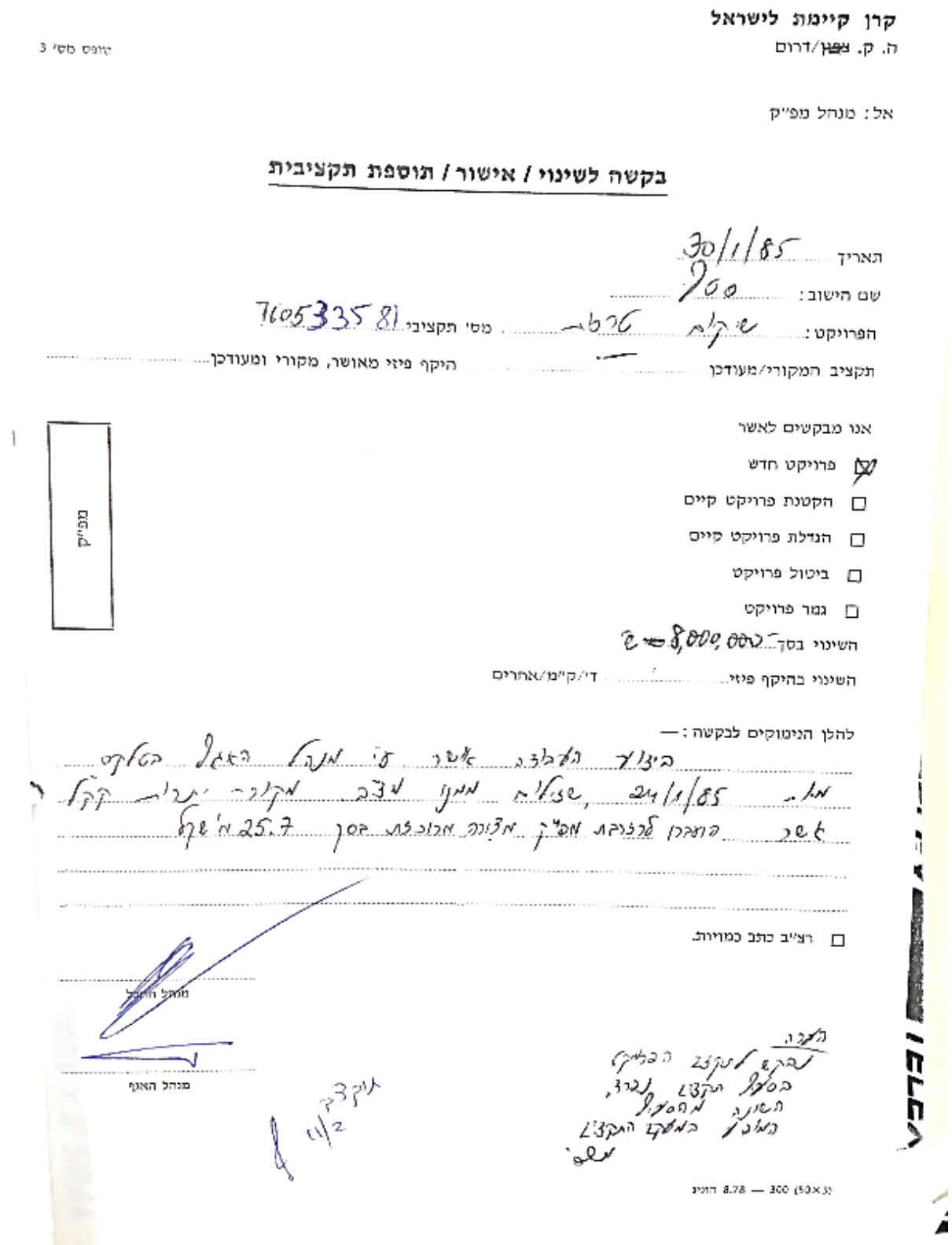

קרן קיימת לישראל
ה. ק. צפון/דרום

טופס מס' 3

אל: מנהל מפ"ק

בקשה לשינוי / אישור / תוספת תקציבית

התאריך 30/1/85
שם הישוב: [illegible]
הפרויקט: שיקמה [illegible] מס' תקציבי 76053581
תקציב המקורי/מעודכן [illegible] היקף פיזי מאושר, מקורי ומעודכן [illegible]

מפ"ק

אנו מבקשים לאשר
☒ פרויקט חדש
☐ הקטנת פרויקט קיים
☐ הגדלת פרויקט קיים
☐ ביטול פרויקט
☐ גמר פרויקט
השינוי בסך [illegible] ש"ח
השינוי בהיקף פיזי [illegible] דו"ח/אחרים

להלן הנימוקים לבקשה: —
[illegible]

☐ רצ"ב כתב כמויות.

מנהל המחוז

מנהל האגף

[illegible]

הדפסה 8.78 — 300 (3×50)

ملحق رقم (15): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 11 شباط 1985. **ميزانية بقيمة 8 مليون شيكل من أجل بناء المدرجات الزراعية في متنزه صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

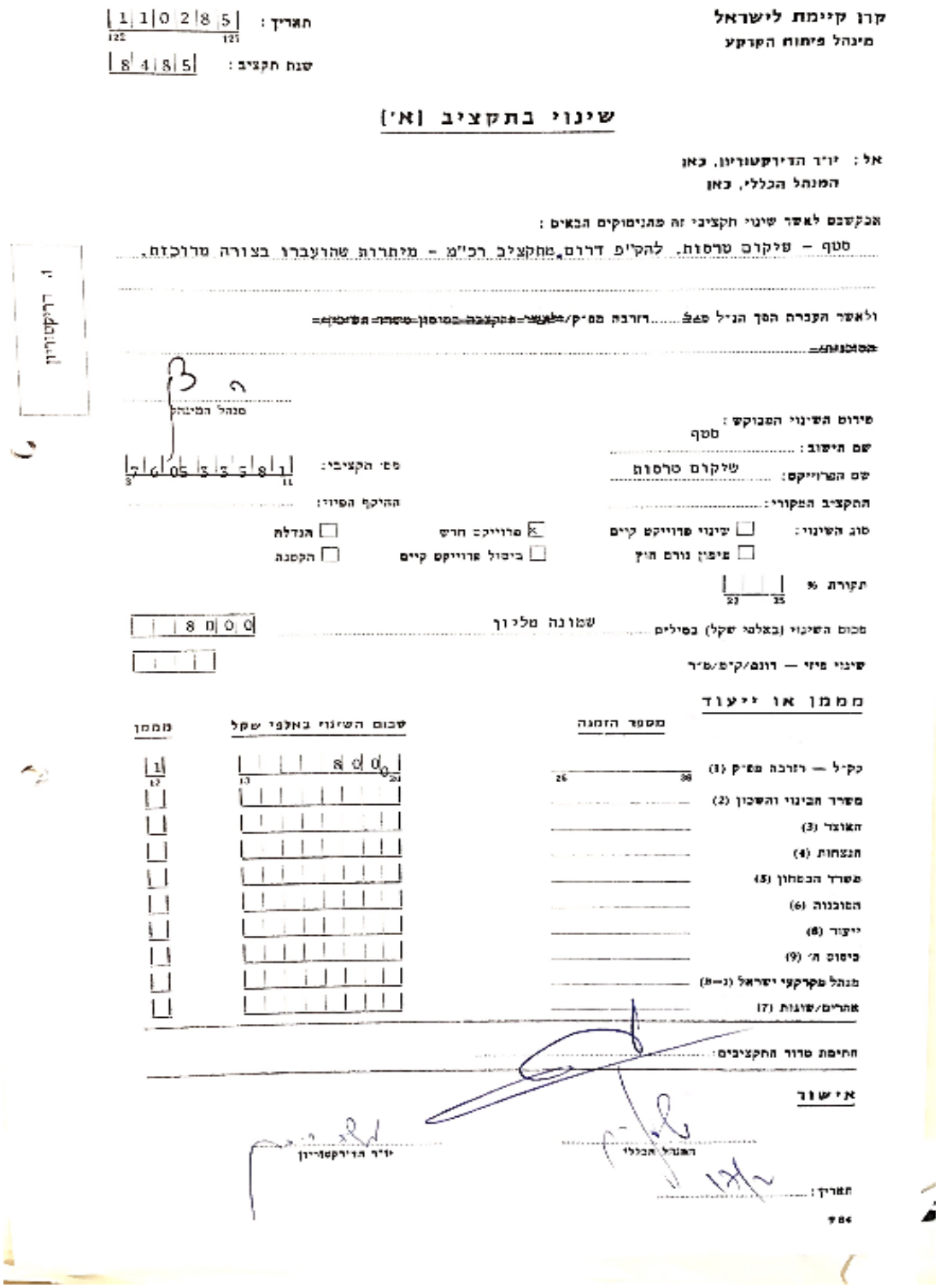

קרן קיימת לישראל
מינהל פיתוח הקרקע

תאריך: 11/02/85
שנת תקציב: 1985

שינוי בתקציב [א']

אל: יו"ר הדירקטוריון, כאן
המנהל הכללי, כאן

אבקשכם לאשר שינוי תקציבי זה מהנימוקים הבאים:

סטף – שיקום טרסות. להק"פ דרום, מתקציב רכ"מ – מיתרות שהועברו בצורה מרוכזת.

ולאשר העברת הסך הנ"ל מפ"ח/~~שנה~~/~~תקציב~~/~~סעיף~~/~~משנה~~

מנהל המינהל

פירוט השינוי המבוקש:
שם היישוב: סטף
שם הפרוייקט: שיקום טרסות
מס' הקציבי:
התקציב המקורי:
ההיקף הסיוני:

סוג השינוי: ☐ שינוי פרוייקט קיים ☒ פרוייקט חדש ☐ הגדלת
☐ מיפעון נורם חוץ ☐ ביטול פרוייקט קיים ☐ הקטנה

תקורת %

סכום השינוי (באלפי שקל) בסילים: 8000 שמונה מליון

שינוי פיזי – דונם/קים/מ"ר

ממן או ייעוד

	ממן	סכום השינוי באלפי שקל	מספר הזמנה
קק"ל – רזרבה מפ"ח (1)	1	8000	
משרד הבינוי והשיכון (2)			
האוצר (3)			
חנכחות (4)			
משרד הפחחון (5)			
הסוכנות (6)			
ייעוד (8)			
פיסום מ' (9)			
מנהל מקרקעי ישראל (2–9)			
אחרים/שונות (7)			

חתימת סדור התקציבים:

אישור

יו"ר הדירקטוריון

המנהל הכללי

תאריך:

ملحق رقم (16): **ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 25 آذار1985**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

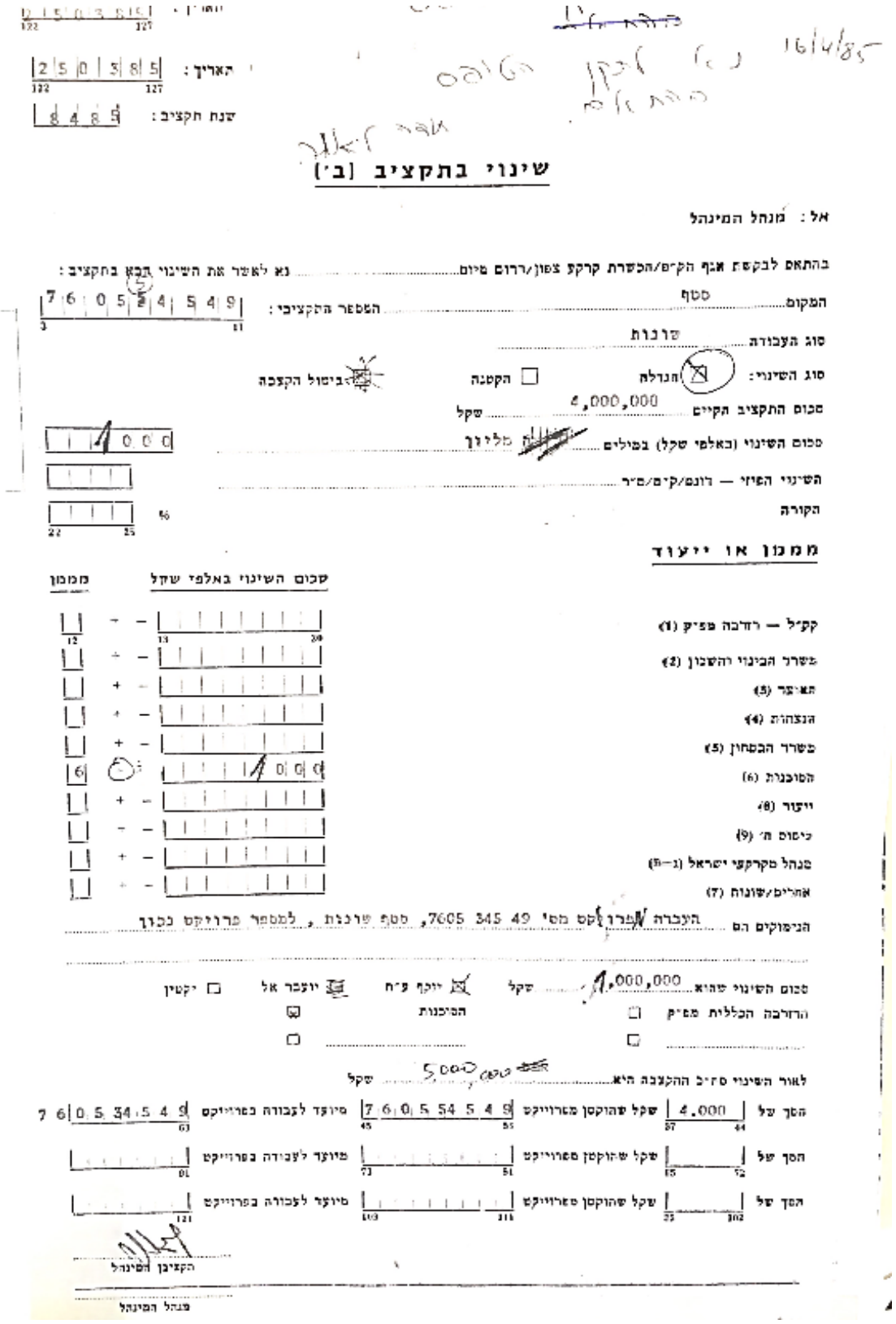

שינוי בתקציב [ב']

אל: מנהל המינהל

בהתאם לבקשת אגף הקיט/הכשרת קרקע צפון/דרום מיום ..... נא לאשר את השינוי הבא בתקציב:

המקום: סטף

מספר התקציבי: 7605454549

סוג העבודה: שונות

סוג השינוי: ☒ הגדלה ☐ הקטנה ביטול הקצבה

סכום התקציב הקיים: 4,000,000 שקל

סכום השינוי (באלפי שקל) במילים: 1000 מיליון

השינוי השיזי — דונם/קמ/מ"ר: ....

הקורה: %

ממקור או ייעוד

ממקור	סכום השינוי באלפי שקל	
		קק"ל — רזרבה מפרק (1)
		משרד הבינוי והשכון (2)
		תיירות (3)
		הנצחות (4)
		משרד הבטחון (5)
6	1000	הסוכנות (6)
		ייעור (8)
		כיסוי מ' (9)
		מנהל מקרקעי ישראל (ג—ה)
		אחרים/שונות (7)

הנימוקים הם: העברה מפרוייקט מס' 7605 345 49, סטף שונות, למספר פרוייקט נכון

סכום השינוי מהוא: 1,000,000 שקל יוקף ע"ח הסוכנות ☒ יועבר אל ☐ יקטין

הרזרבה הכללית מפרק ☐ .....

לאור השינוי סיים ההקצבה היא: 5,000,000 שקל

הסך של	4,000	שקל שהוקצו מפרוייקט	7605545549	מיועד לעבודה בפרוייקט	7605545549
הסך של		שקל שהוקצו מפרוייקט		מיועד לעבודה בפרוייקט	
הסך של		שקל שהוקצו מפרוייקט		מיועד לעבודה בפרוייקט	

הקציין המינהל

מנהל המינהל

ملحق رقم (17): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر ب تاريخ20 أيار 1985. **ميزانية بقيمة 11 مليون شيكل لمتنزه صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

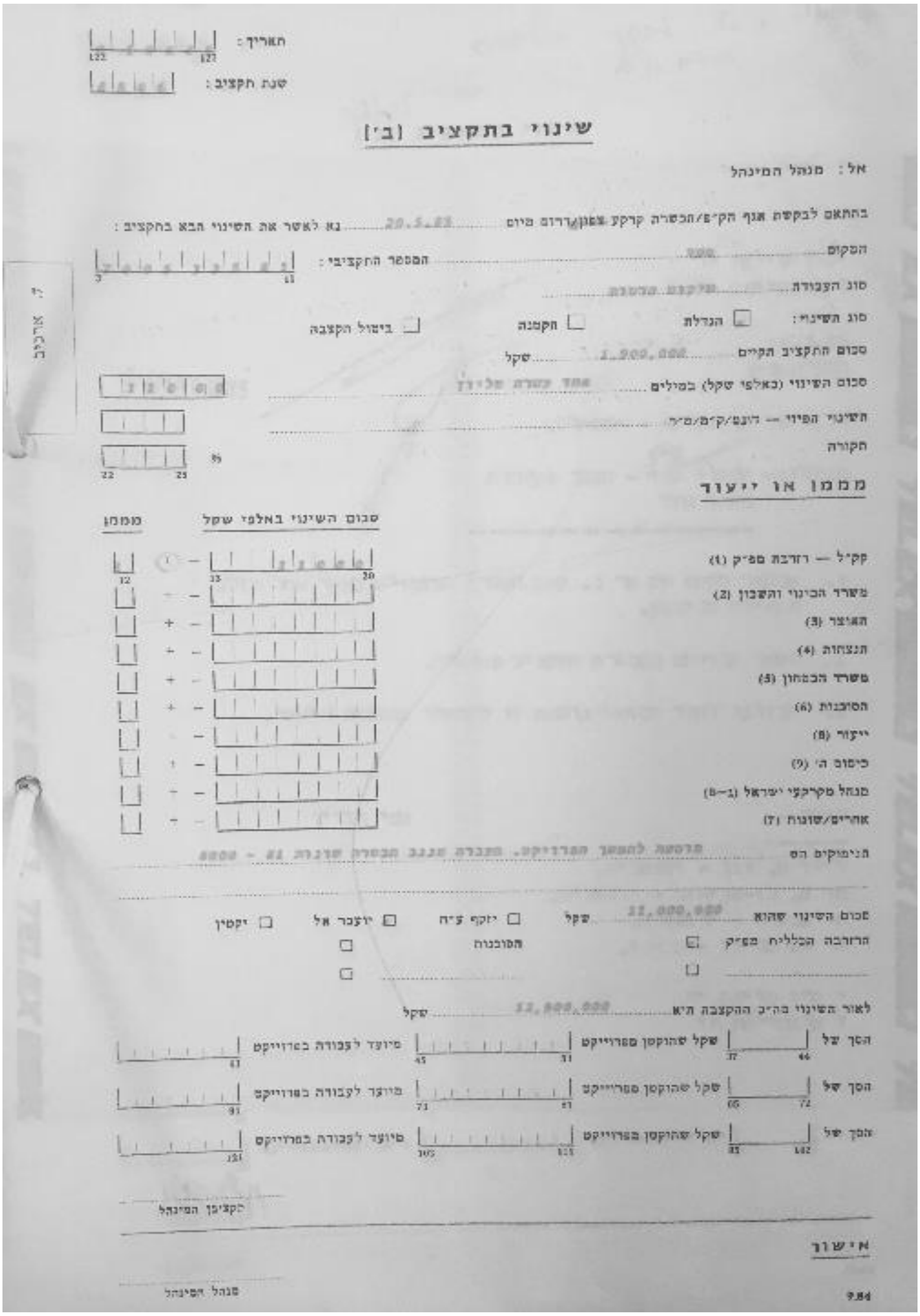

תאריך :

שנת תקציב :

שינוי בתקציב [ב']

אל : מנהל המינהל

בהתאם לבקשת אגף הק"פ/הכשרה קרקע ... מיום 20.5.85 בא לאשר את השינוי הבא בתקציב :

המקום ... המספר התקציבי :

סוג העבודה ...

סוג השינוי : הגדלת ☐ הקטנה ☐ ביטול הקצבה ☐

סכום התקציב הקיים 1,900,000 שקל

סכום השינוי (באלפי שקל) במילים ...

השינוי הפיזי — דונם/ק"מ/מ"ר ...

תקורה

ממון או ייעוד

סכום השינוי באלפי שקל — ממון

קק"ל — רזרבת מפ"ק (1)

משרד הבינוי והשיכון (2)

האוצר (3)

תנצחות (4)

משרד הבטחון (5)

הסוכנות (6)

ייעור (8)

כיסוי ה' (9)

מנהל מקרקעי ישראל (ג–8)

אחרים/שונות (7)

הנימוקים הם ...

סכום השינוי שהוא 11,000,000 שקל ☐ יוקף צ"ח ☐ יוצבר אל ☐ יקטין

הרזרבה הכללית מפ"ק ☐ הסוכנות ☐

לאור השינוי בה"כ ההקצבה תיא ... שקל

הסך של ... שקל שהוקטן מפרוייקט ... מיועד לעבודה בפרוייקט

הסך של ... שקל שהוקטן מפרוייקט ... מיועד לעבודה בפרוייקט

הסך של ... שקל שהוקטן בפרוייקט ... מיועד לעבודה בפרוייקט

הקציבן המינהל

אישור

מנהל המינהל

9.84

ملحق رقم (18): ميزانية إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 20 أيار 1985. **ميزانية بقيمة 11 مليون شيكل لمتنزه صطاف.** ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

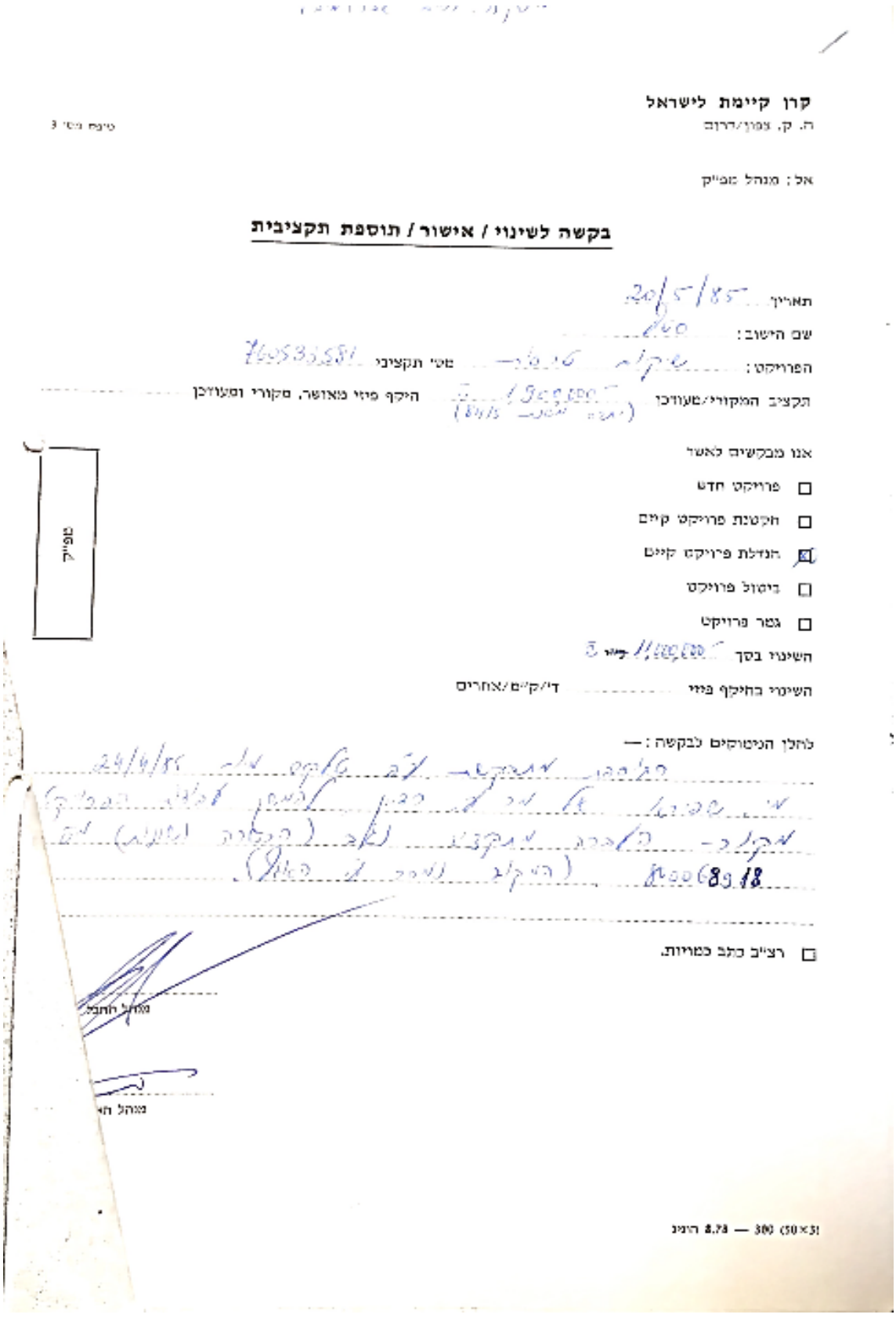

קרן קיימת לישראל
ה. ק. צפון/הרוס

אל: מנהל מפ"ק

בקשה לשינוי / אישור / תוספת תקציבית

תאריך 20/5/85
שם הישוב: [illegible]
הפרויקט: שיקום טיילת
טופ תקציבי 760583581
תקציב המקורי/מעודכן [illegible] היקף פיזי מאושר, מקורי ומעודכן [illegible]

אנו מבקשים לאשר

- ☐ פרויקט חדש
- ☐ הקטנת פרויקט קיים
- ☒ הגדלת פרויקט קיים
- ☐ ביטול פרויקט
- ☐ גטר פרויקט

השינוי בסך 11,000,000 ש"ח
השינוי בחלקו פיזי ..... ד/ק"מ/אחרים

מפ"ק

לחלן הנימוקים לבקשה: —

24/4/85 [illegible]
[illegible]
[illegible] (המקורי [illegible] 89.18

☐ רצ"ב כתב כמויות.

מנהל תחבר

מנהל תח

הדפוס 8.78 — 300 (50×3)

ملحق رقم (19): مشروع إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 1 كانون الأول 1985. **إسكان الأشخاص المختارين من قبل الصندوق القومي اليهودي في منطقة صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

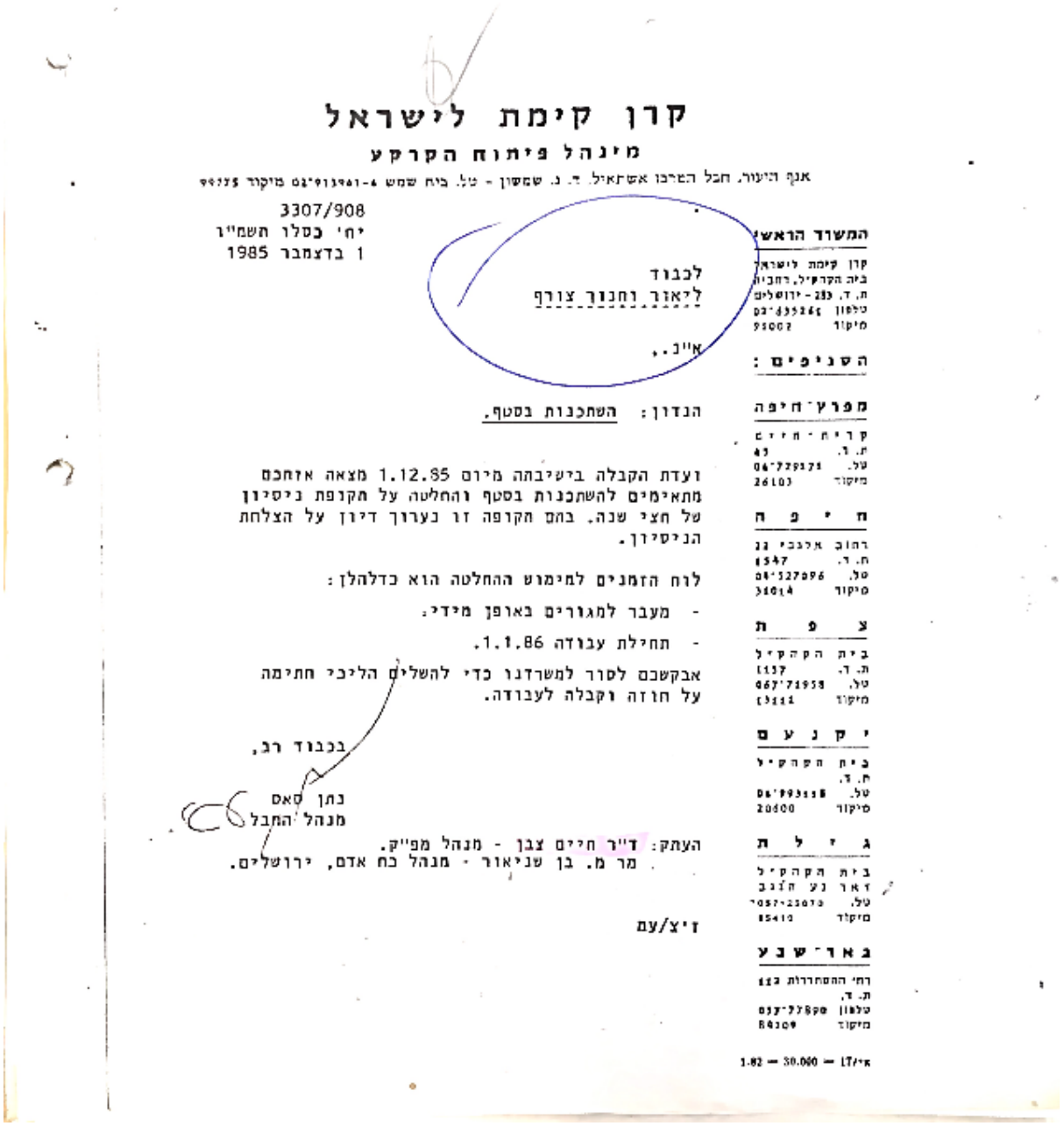

קרן קימת לישראל

מינהל פיתוח הקרקע

אנף היער, חבל המרכז אשתאול ד. נ. שמשון - טל. בית שמש 4-[illegible] מיקוד [illegible]

3307/908
יח' כסלו תשמ"ו
1 בדצמבר 1985

לכבוד
לֵיאוֹר וְחָנוֹךְ צוּרֶף

א"נ.,

הנדון: השתכנות בסטף.

ועדת הקבלה בישיבתה מיום 1.12.85 מצאה אזחכם מתאימים להשתכנות בסטף והחליטה על הקנפת ניסיון של חצי שנה. בתם הקופה זו נערוך דיון על הצלחת הניסיון.

לוח הזמנים למימוש ההחלטה הוא כדלהלן:

- מעבר למגורים באופן מידי.
- תחילת עבודה 1.1.86.

אבקשכם לסור למשרדנו כדי להשלים הליכי חתימה על חוזה וקבלה לעבודה.

בכבוד רב,

נתן סאס
מנהל המבל

העתק: דר' חיים צבן - מנהל מפ"ק.
מר מ. בן שניאור - מנהל כח אדם, ירושלים.

ז'צ/עם

המשרד הראשי
קרן קימת לישראל
בית הקרקעות
ת. ד. 283 - ירושלים
טלפון [illegible]
מיקוד 91002

הסניפים:

מפרץ חיפה
קרית חיים
ת. ד. 43
טל. 04-729171
מיקוד 26103

חיפה
רחוב אלנבי 32
ת. ד. 1547
טל. 04-527096
מיקוד 34614

צפת
בית הקהקיל
ת. ד. 1137
טל. 067-71958
מיקוד [illegible]

יקנעם
בית הקהקיל
ת. ד.
טל. 04-893558
מיקוד 20600

גלית
בית הקהקיל
דאר נע הגליל
טל. 057-23013
מיקוד 15410

באר שבע
רחי ההסתדרות 222
ת. ד.
טלפון [illegible]
מיקוד 84109

א/ז-LT — 30.060 — 1.82

ملحق رقم (20): مشروع إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 1 كانون الأول 1985. **إسكان الأشخاص المختارين من قبل الصندوق القومي اليهودي في منطقة صطاف**. ملف رقم KKL5/63603. الأرشيف الصهيوني.

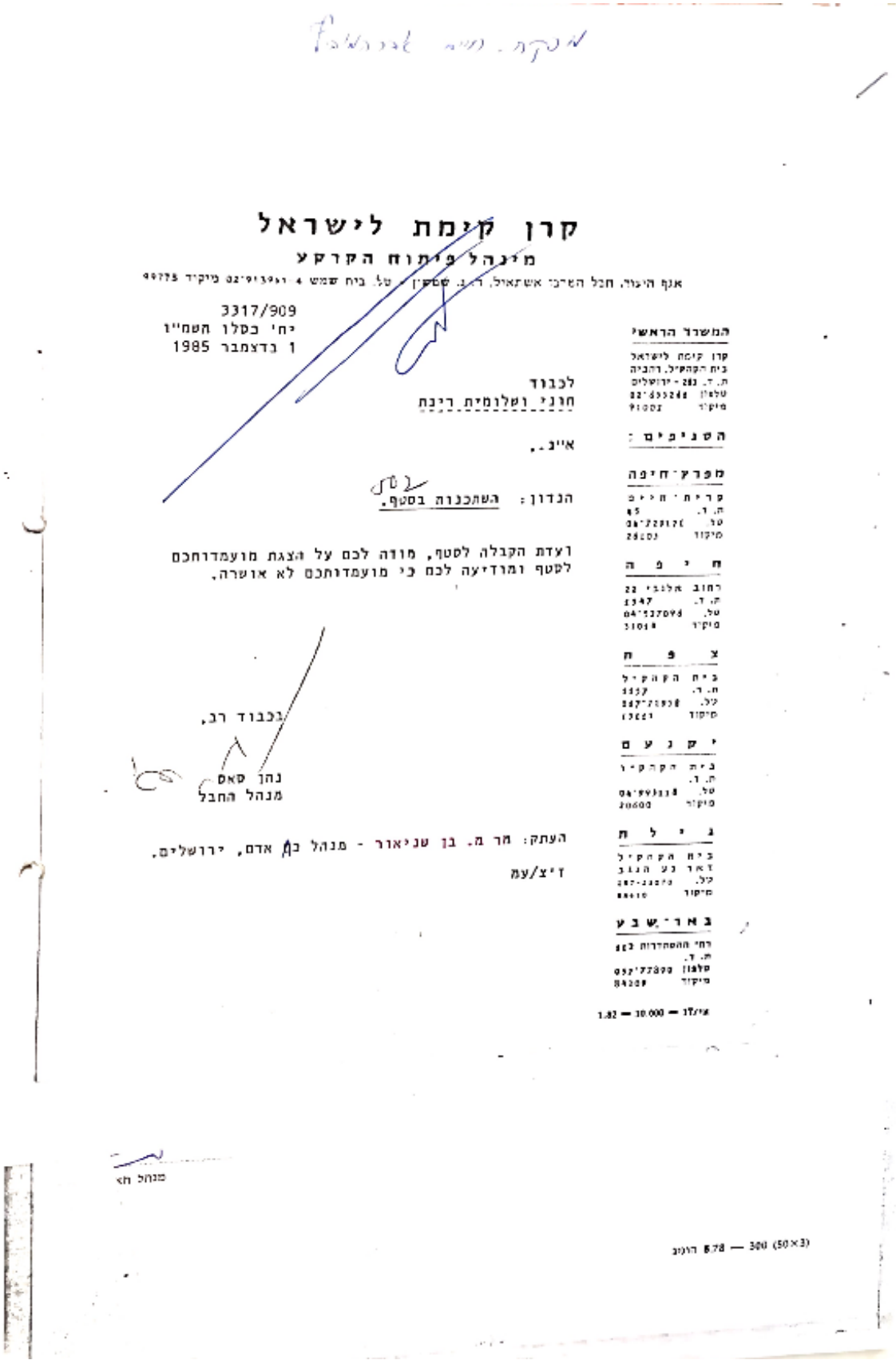

קרן קימת לישראל

מינהל פיתוח הקרקע

3317/909
יח' בסלו תשמ"ו
1 בדצמבר 1985

לכבוד
חנני ושלומית רינת

א"נ,

הנדון: השתכנות בסטף.

ועדת הקבלה לסטף, מודה לכם על הצגת מועמדותכם לסטף ומודיעה לכם כי מועמדותכם לא אושרה.

בכבוד רב,

נחן סאס
מנהל החבל

העתק: מר מ. בן שניאור - מנהל כפ אדם, ירושלים.

ז'צ/עמ

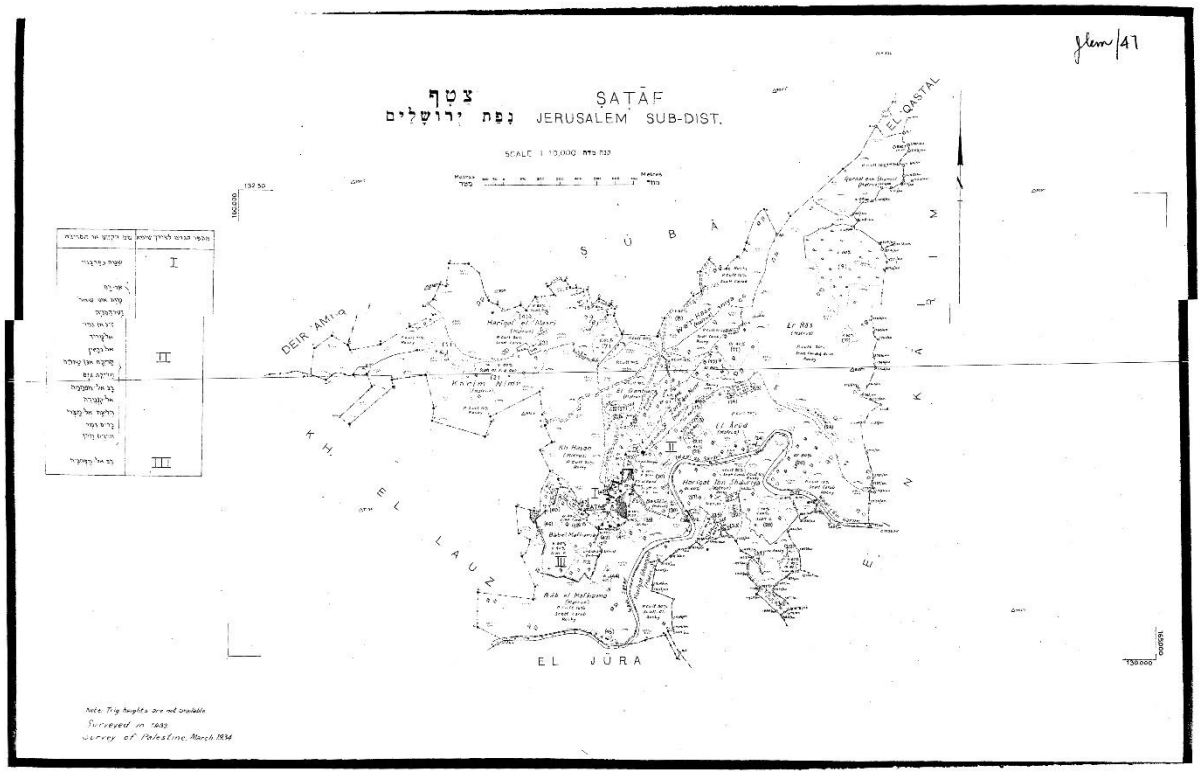

خارطة رقم (1): خارطة صطاف لعام 1933 التابعة لمشروع مسح فلسطين. من أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

خارطة رقم (2): خارطة مسالك التنزه في صطاف. من موقع الصندوق القومي اليهودي. تاريخ الدخول 5 نيسان 2018.
http://www.kkl.org.il/files/forests/center_maps/sataf-general-map-2013.pdf

Agriculture Level_3	Area_1945	Area_2014	Result
Fruit trees and berry plantations	120964	174954	53990
Olive groves	370289	807711	437422
Permanently irrigated land	70868	34012	36856
Artificial surfaces_level_3			
Continuous urban fabric	44254	1809	42445
Road	15274	94908	79634
Forests and semi-natural areas level_3			
Sparsely vegetated areas	1252741	0	1252741
Mixed forest	0	505626	505626

التغييرات التي طرأت على استعمالات الأرض بين الصورة الجوية عام 1945 والصورة الجوية 2014

صورة رقم (1): مشهد قرية صطاف المهجرة قبل تدميرها بعد حرب 1967. ملتقط الصورة: جاد برودنتال،1966. موقع ذاكرات (زوخروت).

صورة رقم (2): أحد بيوت قرية صطاف المهجرة قبل تدميرها بعد حرب 1967. ملتقط الصورة: جاد برودنتال،1966. موقع ذاكرات (زوخروت).

صورة رقم (3): مدخل أحد بيوت قرية صطاف المهجرة قبل تدميرها بعد حرب 1967. ملتقط الصورة: جاد برودنتال،1966. موقع ذاكرات (زوخروت).

صورة رقم (4): شرفة منزل في قرية صطاف المهجرة قبل تدميرها بعد حرب 1967. ملتقط الصورة: جاد برودنتال،1966. موقع ذاكرات (زوخروت).

صورة رقم (5): أطلال منزل في قرية صطاف المهجرة. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (إلى الشمال من وسط البلد)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (6): أطلال منزل في قرية صطاف المهجرة. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (إلى الشمال من وسط البلد)، بتاريخ 22 شباط 2017.

صورة رقم (7): منزل يتبع لعائلة الفتياني في قرية صطاف المهجرة. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (بالقرب من البساتين)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (8): حوش الفتياني الذي تم ترميم أجزاء منه كمخازن تابعة لمتنزه صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (بالقرب من البساتين)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (9): إحدى الغرف التي يتم استخدامها كمخازن تابعة لمتنزه صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (بالقرب من البساتين)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (10): بقايا منزل في قرية صطاف المهجرة. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (بالقرب من البساتين)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (11): نافذة إحدى بيوت صطاف المطلة مباشرةً على مستشفى هداسا عين كارم. خلال زيارة ميدانية إلى الموقع (بالقرب من البساتين)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (12): مشروع بستان الحقل في متنزه صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين، بتاريخ 22 شباط 2017.

صورة رقم (13): لافتة تحمل أسم ‘‘شلومو إيلان" صاحب فكرة مشروع "بستان الحقل" في صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 22 شباط 2017.

صورة رقم (14): الحبلات الزراعية في بستان صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (15): الزراعة الشبكية في الحبلات الزراعية بمتنزه صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (16): زراعة الخضراوات في الحبلات الزراعية. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (17): زراعة الخضراوات في الحبلات الزراعية. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (18): حراثة الأرض بالطريقة البدائية. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (19): قسيمة أرض تابعة لأفراد يقومون بزراعتها مقابل استئجارها بمبلغ رمزي من الصندوق القومي اليهودي. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (20): قسائم أرض تابعة لأفراد يقومون بزراعتها مقابل استئجارها بمبلغ رمزي من الصندوق القومي اليهودي. خلال زيارة ميدانية إلى البساتين (الجنان)، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (21): المدخل المؤدي إلى عين صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى وسط البلد، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (22): جزء من منظومة القنوات الرومانية في صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى وسط البلد، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (23): بركة البلد في صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى وسط البلد، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (24): بركة الشرقية (الباكورة بتسمية المتنزه). خلال زيارة ميدانية إلى وسط البلد، بتاريخ 22 شباط 2017.

صورة رقم (25): جزء من منظومة القنوات المائية في صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى وسط البلد، بتاريخ 22 شباط 2017.

صورة رقم (26): إحدى برك تجميع المياه ضمن منطقة الحبلات الزراعية المخصصة للأفراد. خلال زيارة ميدانية إلى وسط البلد، بتاريخ 5 نيسان

صورة رقم (27): مشهد المدرجات الزراعية التي تفترشها كروم الزيتون. خلال زيارة ميدانية إلى منطقة باب المفحمة، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (28): مشهد المدرجات الزراعية التي تفترشها كروم الزيتون. خلال زيارة ميدانية إلى منطقة باب المفحمة، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (29): مشهد أشجار التين وخلفها الأحراش في صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى المنطقة الواقعة بين البساتين وباب المفحمة، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (30): كروم الزيتون تتخللها أطلال بعض البيوت. خلال الزيارة الميدانية إلى منطقة القنطرة، بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

صورة رقم (31): مشهد شجرة زيتون رومانية في صطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى أخر منطقة باب المفحمة (بالقرب من خربة اللوز)، بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

صورة رقم (32): مشهد أشجار اللوز في صطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى منطقة القنطرة، بتاريخ 22 شباط 2017.

صورة رقم (33): مدخل المتنزه في صطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى المتنزه، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (34): لافتات إرشادية للاتجاهات تم وضعها من قبل الصندوق القومي اليهودي في صطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 5 نيسان

.2018

صورة رقم (35): لافتة إرشادية حول مسالك التنزه التابعة للصندوق القومي اليهودي. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 5 نيسان

.2018

صورة رقم (36): لافتة إرشادية حول مسالك التنزه التابعة للصندوق القومي اليهودي. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 5 نيسان

.2018

صورة رقم (37): مشهد الحراثة البدائية في البساتين. من موقع الصندوق القومي اليهودي. تاريخ الدخول 6 نيسان 2018.

http://www.kkl.org.il/forestsearch/sataf.aspx

صورة رقم (38): الجرار الزراعي التي يستخدمه عاملو الصندوق القومي اليهودي في حراثة بعض الأماكن في المتنزه. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 5 نيسان 2018.

صورة رقم (39): أحراش الصنوبر الموجودة في صطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى موقع متنزه صطاف، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (40): مشهد أحراش الصنوبر في صطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 17 كانون الأول 2018.

صورة رقم (41): ترميم السلاسل الحجرية لمنع انجراف التربة. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

صورة رقم (42): مشهد طريق وسط أحراش الصنوبر بصطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى متنزه صطاف، بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.

صورة رقم (43): مشهد بانورامي للمناطق المحيطة بصطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى منطقة العروض، بتاريخ 17 كانون الأول 2017.

صورة رقم (44): مشهد بانورامي لصطاف. خلال الزيارة الميدانية إلى منطقة دير الحبيس مقابل صطاف، بتاريخ 26 كانون الأول 2017.

صورة رقم (45): مشهد الغابات الحرجية وقفت غروب الشمس في صطاف. خلال زيارة ميدانية إلى دير الحبيس، بتاريخ 26 كانون الثاني 2018.

قائمة المصادر والمراجع

*أدبيات عربية ومعربة

- أبوخضير، ناصر الدين.2016. "أسماء قرى القدس، دراسة لغوية دلالية". مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. المجلد 13 العدد 2.
- بشير، نبيه. 2004. *حول تهويد المكان*. حيفا: مدى الكرمل.
- حوش، ليوناردو وعبد الله اللحام. 1993. *النباتات في فلسطين وطرق تصنيفها*. المجلد الثامن. القدس: مؤسسة أمرزيان.
- الخالدي، وليد. 1997. *كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الدباغ، مصطفى مراد. 1991. *بلادنا فلسطين*. كفر قرع: دار الهدى.
- شرّاب، محمد حسن. 1996. *معجم بلدان فلسطين*، الطبعة الثانية. عمّان: مؤسسة الاهلية للنشر والتوزيع.
- صايغ، فايز. 1965. *الاستعمار الصهيوني في فلسطين*. بيروت: مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية.
- العامري، سعاد وفراس رحال. 2003. *مناطير قصور المزارع في ريف فلسطين*. رام الله: مركز المعمار الشعبي- رواق.
- عرّاف، شكري. 1996. *القرية العربية الفلسطينية " مبنى واستعمالات الأراضي"* ، الطبعة الثالثة. معليا: دار نشر إلى العمق.
- فايتس، يوسف. 2010. *مذكرات سمسار أراضي صهيوني*، ترجمة إلياس شوفاني. دمشق: دار الحصاد.
- كريتشمر، دافيد. 2002. *المكانة القانونية للعرب في إسرائيل*، ترجمة نسرين مغربي. القدس: معهد فان لير.
- لين، وولتر.1990. *الصندوق القومي اليهودي*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- ولعة، صالح. 2010. *المكان ودلالاته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف*. إربد: عالم الكتب الحديث.

*مقابلات التاريخ الشفهي

- مقابلة مع عزيزة خضر محمد حسين. مخيم الدهيشة. بتاريخ 1 كانون الثاني 2018.
- مقابلة مع ثريا أحمد. بيت ساحور. بتاريخ 1 كانون الثاني 2018.
- مقابلة مع شعبان شاكر رشيد عبد الرزاق الفتياني. أريحا. بتاريخ 25 كانون الأول 2017.
- مقابلة مع عوض عبد الكريم سلامة. مخيم الدهيشة. بتاريخ 1 كانون الثاني 2018.
- مقابلة مع عبد اللطيف الفتياني (بمساعدة ابنه السيد طه الفتياني). عمان. بتاريخ 9 كانون الثاني 2018.
- مقابلة مع محمد عبد الهادي شعلان. بيت ساحور. بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.
- مقابلة مع إسماعيل عبيد الله (تم إجراء المقابلة من قبل مشروع التاريخ الشفهي حول قرى فلسطين المهجرة). الأردن. بتاريخ 21 حزيران 2007.
- مقابلة مع يوسف كنعان (تم إجراء المقابلة من قبل مشروع التاريخ الشفهي حول قرى فلسطين المهجرة). الأردن. بتاريخ 28 حزيران 2007.

*مقابلات الصندوق القومي اليهودي

- مقابلة مع غيدي بشن مسؤول صطاف في الصندوق القومي اليهودي حول الغابة والجمهور. بتاريخ 2 كانون الثاني 2018. (باللغة العبرية).
- مقابلة جماعية مع العاملين العرب التابعين للصندوق القومي اليهودي في صطاف. بتاريخ 2 كانون الثاني 2018. (باللغة العربية).
- مقابلة مع غيدي بشن مسؤول صطاف في الصندوق القومي اليهودي حول الغابة والجمهور. بتاريخ 22 كانون الثاني 2018. (باللغة العبرية).

* زيارات ميدانية

- زيارة ميدانية إلى صطاف بتاريخ 22 شباط 2017.
- زيارة ميدانية إلى صطاف بتاريخ 17 كانون الأول 2017.
- زيارة ميدانية إلى صطاف بتاريخ 2 كانون الثاني 2018.
- زيارة ميدانية إلى صطاف بتاريخ 22 كانون الثاني 2018.
- زيارة ميدانية إلى صطاف بتاريخ 26 كانون الثاني 2018.
- زيارة ميدانية على صطاف بتاريخ 5 نيسان 2018.

الأدبيات باللغة الإنجليزية

- Abrams, Lynn. 2010. *Oral history theory*. New York: Routledge Taylor & Francis Group.
- Abu-Lughod, Ibrahim A., Roger Heacock, and Khaled Nashef. 1999. *The landscape of Palestine: equivocal poetry*. Birzeit: Birzeit University.
- Amara, Ahmad, Ismael Abu-Saad, and Oren Yiftachel. 2012. *Indigenous (In) Justice: Human Rights Law and Bedouin Arabs in the Naqab/Negev*: Cambridge: Harvard University Press.
- Avery, Thomas Eugene. 1979. *Forester's guide to aerial photo interpretation*. Washington: U.S. Govt. Print. Off.
- Benvenisti, Meron. 2002. *Sacred landscape: the buried history of the Holy Land since 1948*. Berkeley: University of California Press.
- Best, Robin Hewitson. 1981. *Land use and living space*. London and New York: Methuen & Co.
- Bier, Jesse. 2017. *Mapping Israel, mapping Palestine: how occupied landscapes shape scientific knowledge*.
- Bohm, Adolf. 1918. *The Jewish National Fund*. Hague: Head Office of the Jewish National Fund.
- Burchell, Graham, Michel Foucault, Colin Gordon, and Peter, Ph. D. Miller. 1991. *The Foucault effect: studies in governmentality: with two lectures by and an interview with Michel Foucault*. London: Harvester Wheatsheaf.
- Campbell, James B. 1983. *Mapping the land: aerial imagery for land use information*. Washington, D.C.: Association of American Geographers.
- Cohen, Shaul Ephraim. 1993. *The politics of planting: Israeli-Palestinian competition for control of land in the Jerusalem periphery*. Chicago: The University of Chicago Press.

- Davis, Rochelle. 2011. *Palestinian village histories: geographies of the displaced*. Stanford, Calif: Stanford University Press.
- Dodge, Martin. 2016. *Mapping: critical concepts in geography Volume 1 Volume 1*. London and New York: Routledge, Taylor & Francis Group.
- Eardley, A. J. 1977. *Aerial photographs: their use and interpretation*. Ann Arbor, Mich: University Microfilms International.
- Gavish, Dov. 2005. *A survey of Palestine under the British mandate, 1920-1948*. London: New York: Routledge Curzon.
- Gregory, Derek. 2012. *The dictionary of human geography*. Malden: Wiley-Blackwell.
- Jewish National Fund. 1918. *The Jewish National Fund library The Jewish National Fund and the objects of the land donations*. The Hague: Head of the Jewish National Fund.
- Jewish National Fund. 1973. *Report on the legal structure, activities, assets, income and liabilities of the Keren Kayemeth Leisrael, Jewish National Fund*. Jerusalem: Keren Kayemeth Leisrael.
- Kadman, Noga, and Dimi Reider. 2015. *Erased from space and consciousness: Israel and the depopulated Palestinian villages of 1948*.
- Kats, Yosef. 2016. *The land shall not be sold in perpetuity: the Jewish National Fund and the history of state ownership of land in Israel*. Boston: Walter de Gruyter GmbH.
- Lehn, Walter. 1982. *The Jewish National Fund: an instrument of discrimination*. London: EAFORD.
- Levin, Moshe. 1957. *The story of the Jewish National Fund*. Jerusalem: Jewish National Fund.
- Makhzoumi, Jala. 2016. *Ecological landscape design and planning*. London and New York: Taylor & Francis.
- Mannion, Antoinette M. 2002. *Dynamic world: land-cover and land-use change*. London: Arnold.
- Masalha, Nur. 2012. *The Palestine Nakba: Decolonising History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory*. London: Zed.
- Raheb, Mitri. 2014. *Palestinian Identity in relation to time and space.* Beit Jala: Diyar Publisher.
- Smith, Neil. 2010. *Uneven development: nature, capital, and the production of space: with a new afterword by the author and a foreword by David Harvey*. London: Verso.
- Thompson, Ian. 2009. *Rethinking landscape: a critical reader*. London: Routledge.
- Thomson, Alistair. 2007. *Four paradigm transformers in oral history*. University of California Press. University of California Press.
- United States. 1973. *Aerial-photo interpretation in classifying and mapping soils*. Washington, D.C.: USDA.

Articles

- Abu Sitta, Salman. 2009. Dividing War Spoils: Israel's Seizure, Confiscation and Sale of Palestinian Property. *Palestine Land society*.
- Amara, Ahmad. 2013. "The Negev Land Question between Denial and Recognition". *Journal of Palestine Studies.* 42 (4): 27-47.
- Braverman, Irus. 2009. "Planting the Promised Landscape: Zionism, Nature, and Resistance in Israel/Palestine". *Natural Resources Journal.* 49 (2): 317-365.
- Gibson, Shimon, Bridget Ibbs and Amos Klone. 1991. "The Sataf Project of Landscape Archaeology in the Judaean Hills: A Preliminary Report on Four Seasons of Survey and Excavation (1987–89)". *The Journal of the Council for British Research in the Levant* 23: 50-51.
- Leon, Dan. 2012. The Jewish National Fund: How the Land Was 'Redeemed'. *Palestine- Israel Journal*.
- Taylor, Alan R. 1972. "Zionism and Jewish History". *Journal of Palestine Studies*, Vol. 1, No. 2.
- Vasiliev, I., S. Freundschuh, D. M. Mark, G. D. Theisen, and J. McAvoy. 1990. "What is a map?" *Cartographic Journal, The.* 27 (2): 119-123.
- Weedon, Chris, and Glenn Jordan. 2012. "Collective memory: theory and politics". *Social Semiotics.* 22 (2): 143-153.

Websites

- *About KKL- JNF- First decade: 1901-1910,* (Jewish National Fund), Access: November 20, 2017. http://www.kkl-jnf.org/about-kkl-jnf/our-history/first-decade-1901-1910/
- *About KKL- JNF- Fourth Decade: 1931-1940,* (Jewish National Fund), Access: November 20, 2017. http://www.kkl-jnf.org/about-kkl-jnf/our-history/fouth-decade-1931-1940/
- Sataf Pictures. KKL, Access: November 25, 2017. http://www.kkl.org.il/forestsearch/sataf.aspx
- National library of Israel, collection of Survey of Palestine Maps. Access: January 10, 2017. http://web.nli.org.il/sites/nlis/he/Maps/pages/results.aspx#query=any,contains,maps
- Sataf map. KKL. Access: June 25, 2017. http://www.kkl.org.il/files/forests/center_maps/sataf-general-map-2013.pdf
- The Map library and Aerial Photograph Archive, Sataf Aerial Photograph number 5098, The Hebrew University of Jerusalem. Access: July 20, 2017. http://ccg.huji.ac.il/aerialphotos/
- Hebrew University, Aerial Photography Archive. Access: October 15, 2017. http://ccg.huji.ac.il/ajax/Aerial%20PH2.htm
- European Environment Agency, CORINE Land Cover. Access: February 10, 2018. https://www.eea.europa.eu/publications/COR0-landcover

Master Thesis

- Claire long, Joanna. 2005. *Planting Israel: Jewish National Fund forestry and the Naturalization of Zionism*. The University of British Columbia.

Maps & Aerial photographs

- Hebrew University, Aerial Photography Archive. Access: October 26, 2017. http://ccg.huji.ac.il/ajax/Aerial%20PH2.htm
- The Map library and Aerial Photograph Archive, Sataf Aerial Photograph number 5098, The Hebrew University of Jerusalem. Access: October 26, 2017. http://ccg.huji.ac.il/aerialphotos/
- Birzeit University, Jerusalem Aerial photography-2014, Geography Department.
- Sataf map.1933. Palestine studies Archive.

مصادر باللغة العبرية

- צבא" הגנה לישראיל, קריאת מפה וצילומי- אוויר, (מרץ 1949).
- שפנייר,יוסי. 2009. בוסתן עצי ארץ-ישראל בסטף,(ירושלים: קרן קימת לישראל).

- יוד, רחל. 2014. מתרבות חומרית לתרבות רוחנית לאורך שביל הבעל – סטף. מדינת ישראל: משרד החינוך מינהל חברה ונוער אגף של"ח וידיעת הארץ. http://meyda.education.gov.il/files/noar/sataf.pdf (جرى تصفح الموقع بتاريخ 3 آذار2018)
- מתנדבים למען הסטף, קרן קימת לישראל. /http://www.kkl.org.il/volunteers/volunteering-possibilities/sataf (جرى تصفح الموقع بتاريخ 6 آذار2018).

- צל הנוף סטף- הרי ירושלים, קרן קימת לישראל.

وثائق الأرشيف الصهيوني (باللغة العبرية)

- مقترح إقامة "متحف" زراعي في صطاف لتوثيق زراعة الجبل، صدر بتاريخ 1 أيلول 1971، ملف رقم S15\50556، الأرشيف الصهيوني.

- الاستيطان في صطاف ومن ثم إلغائه، صدر بتاريخ 13 تشرين الأول 1949، ملف رقم S15\49708، الأرشيف الصهيوني.
- مقترح إقامة متنزه صطاف الصادر بتاريخ 15 شباط 1984، وثيقة رقم ملف رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني.
- وثيقة أرشيفية حول إقامة كرافانات مؤقتة مؤرخة بتاريخ 14 تشرين الأول 1984، ضمن ملف رقم KKL5/63603.
- "رسالة إسكان الأشخاص المختارين من قبل الصندوق القومي اليهودي في منطقة صطاف"، وثيقة أرشيفية رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.
- "طلب تعديل ميزانية التشجير في صطاف"، وثيقة أرشيفية رقم KKL5/63603، الأرشيف الصهيوني- القدس.